عبد واحد قال فيه ربه ﷻ

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}

محمد ﷺ

جمع و ترتيب
راجي رحمته ربه الرحمن / أبو عبد الرحمن
سلطان على

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران : ١٠٢) .﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء : ١) .﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب : ٧١) .

أما بعد .....

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أخي القارئ الكريم فبين يديك هذا الجزء من كتاب ((رياض النعيم في ظل الرحمن الرحيم)) ، وهو يتناول الجانب العمليّ ممثلًا فى رسول الله ’ ، الذي جعله الله ﷻ قدوة للسائرين ، و أسوة حسنة للتابعين فقال ﷻ { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:٢١) .

فنعمت القدوة ونعمت الأسوة بحسن التأسي به ’ ، فهو ’ الأسوة الحسنة ،وينبغي على من يؤمن به ’ أن يحسن التأسي به فيكون عنوانًا لمتابعة الرسول ’ ، فى حُسن سمته وهديه ، في الظاهر بمتابعة سنته ’ وإشاعة الأخلاق الكريمة ، وباطنًا بتزكية قلبه بصدق الإيمان ، بمعرفة

الله ﷻ أسماءًا وصفاتًا ، معرفة حقيقة لا مجرد أمانيّ ، ولا مناظرات كلامية ، ولا كلمات جوفاء ، بل تتحول معرفتنا بالله ﷻ إلى يقين قلبي يحرق مكاشفات الصوفية المارقة ، وبرهان عقلي يرد على تيارات الإلحاد الحاقدة ، وخلق قرآني يقمع نزعات الفلسفات النفعية الساقطة ، وعمل يجمع الدنيا بالآخرة يسحق قوى العلمانية المتوقدة.

وهذا الذي بين يديك ليس لي فيه كثير عمل ، بل آيات كريمات من كتاب رب الأرض والسماوات حوت بعض أوصاف الرحمة الكونية ' ، وسنن نبوية جرت على لسان خير البرية ' ، ومواكبة لبعض لفتات من حياته الشريفة ' ، مع الملائكة عليهم السلام في السماء والأرض ، وإخوانه من الرسل والنبيين عليهم السلام في بلاغهم وفضلهم وشهادته لهم ، وبين أصحابه رضي الله عنهم في جهدهم وجدهم ، في فرحهم وترحهم ، في ضيق عيشهم ورغده ، وهو يتلمس بهم طرق الرحمة والرفق ،بل كانوا يتنافسون في تراحمهم بعضهم البعض ، وبين نسائه أمهات المؤمنين وبناته رضي الله عنهن كيف كان يترفق ويرأف بهن ' ، ورفيقًا بالقوارير من نساء أمته ' ، مرورًا برحمته بخدمه ومواليه والأعراب والجن وعموم الأمة والعصاة والحيوان والنبات والجماد إلى رحمته ' بأعدائه الكفار والمنافقين ، وصدق فيه قول ربه ﷻ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } (الأنبياء:١٠٧) .

وإليك خطة البحث :

١) بعض خصائص الرحمة المحمدية من عدة جوانب وهي:

١. رحمته ' ربانية النبع.
٢. الرحمة جوهر رسالته ومادتها.
٣. رحمته ' ذروة الكمال الإنساني :
- رحمته ' حقيقة.
- رحمته ' عامة.
- التوازن الأخلاقي.

٢)خُلق الرحمة في حياة الرحمة المهداة رسول الله ﷺ .

- في تفسير قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء :١٠٧).

وقد أكثرت ها هنا من النقل عن أهل العلم المفسرين قديمًا وحديثًا، ليس استكثارا للتسويد الصفحات ، بل لبيان العناية الفائقة منهم رحمهم الله تعالى بشخص رسول الله ' وما يخصه ، إذ المفسرين على مناهج شتا ، والتفسير من الفتوحات الربانية ، فربما يتكلم المفسر بما لا يتكلم به صاحبه ، ويفتح الله ﷻ لهذا ما لا يفتح لغيره ، فأردت ألا يفوتني وإياك أخي القارئ شيء من ذلك .

- في معنى اسمه ﷺ (نبي الرحمة) ، وقوله ﷺ (إنما أنا رحمة مُهداة) .

عولت فيه على أقوال علماء الحديث الموضحين معانيه رحمهم الله وجزاهم عنا خيرًا.

- في تنوع صنوف رحمته ﷺ:

فى هذا الباب لن يستطيع أحد الاستقصاء فضلًا عن الإحاطة لأنه ﷺ كما قال ﷻ فيه {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}(الأنبياء:١٠٧)، لذا سأكتفى بالإشارة إلى ذكر طرف من رحماته ﷺ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالملائكة عليهم السلام .
٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأنبياء والرسل عليهم السلام.
٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم .
٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنساء.
٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأطفال.
٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بخدمه ومواليه.
٧) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأعراب .
٨) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجن
٩) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأمة في الدنيا والآخرة.
١٠) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالعصاة .
١١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالحيوان
١٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنبات.
١٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجماد.
١٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالكفار .

١٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالمنافقين.

وكل ذلك من كتب السنة النبوية المشرفة مُعرجًا على شروحها من جهابذة علماء الحديث ،ثم ما كان في كلام العلماء رحمهم الله في كتبهم .

ثم ختمت بهذا الباب (**رحمته ﷺ بعيون الآخرين**)و هذا الجزء ليس على شرط الكتاب ولكن من أجل إحقاق الحق، وتبيان الفضل والصدق، فقد نطقت ألسنة الكفار من المستشرقين الغربيين بفضل الرحمة المحمدية والمنحة الربانية .

وقد منّ الله عليّ بهذا الجمع فسميته :

(عبدٌ واحدٌ قال فيه ربه ﷻ)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}

محمد '

فليس لي فيه مزية افتخار ، إلا توفيق الله ﷻ لي بحسن الاختيار ، فان يكن ذلك فمن فضله وامتنانه ، وإن تكن الأخرى فاصفح عن أخ لك ظهر بين يديك عور حاله ، وما ستره الله عنك أعظم ، فالحمد له على ما ستر والشكر له على جميل ما أذاع و نشر .

وصل اللهم علي الرحمة المهداة والنعمة المسداة وعلى آل بيته الطيبين وعلى أصحابه أهل الرحمة في الدنيا والآخرة والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

وكتبه

حامدًا ربه ﷻ مصليًا على نبيه ﷺ

أبو عبد الرحمن سلطان عليّ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

خصائص الرحمة المحمدية

إن رسول الله ' خاتم الرسل والنبيين ﷺ ، وله من الخصائص ما لا غيره من الأنبياء والرسل ﷺ ، فخص بالمنح الإلهية ، والمواهب الربانية ، فله الشفاعة العامة والخاصة ، وله المقام المحمود ، وحوض الكوثر المورد ، شاهد للأنبياء بالبلاغ ، وعلى الأمم بالإنذار ، فقامت بشهادته حجة رسل ﷺ ، وقامت بأمته حجة الإرسال والنُذُر .

وكان مما تفضل به علينا ربنا أن جعلنا من أمته ، الأمة المرحومة به ﷺ ، فربنا رحمن رحيم ، ونبيه ' رءوف رحيم ، وكتابه رحمة وهدى للعالمين ، لذا كانت لرحمة الله ﷻ فى رسولنا أتم الأثر ، فجعله ربنا لنا رحمة فقال فيه { وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا }(التوبة: من الآية٦١) ، وهو الرحمة الخاصة والمنة الكبرى قال ﷻ فيه {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (آل عمران:١٦٤) ، لأن رحمة الله ﷻ عامة شاملة فدخل فيها المؤمن والكافر فى الدنيا ،وخاصة تامة فخص بها المؤمن فى الدنيا والآخرة ، خَصّ خليله ' بقبسٍ منها ، بل وجعله أثر من آثار رحمته ﷻ العامة والخاصة فقال فيه ﷻ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}(الأنبياء:١٠٧)، ونحن ها هنا نحاول إستجلاء بعض خصائص الرحمة المحمدية من عدة جوانب وهي:

١. رحمته ' ربانية النبع.
٢. الرحمة جوهر رسالته ومادتها.
٣. رحمته ' ذروة الكمال الإنساني :
   - رحمته ' حقيقة.
   - رحمته ' عامة.
   - التوازن الأخلاقي.

رحمته ﷺ رواية الشيء

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم ،بل إن أجل صفاته ﷻ الرحمة، فالرحمة صفة من صفات الله ﷻ ثابتة بالكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة،فقد نطق بثبوتها آي الذكر الحكيم اسماً و وصفاً و فعلاً وكذا السنة المطهرة.(١)

قال ﷻ مسمياً نفسه:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة:١) وقال ﷻ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة:٣) وقال ﷻ (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) (الإسراء:١١٠)

وسماه به رسوله ﷺ ونقل ذلك عنه أصحابه ﷺ ،ونقل عنهم من بعدهم ﷺ :

- عن أبي هريرة ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :(قال الله ﷻ : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ،فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال

---

(١) قال الشيخ العثيمين ؛:إذا قال قائل: ما هو الطريق لإثبات الصفة مادمنا نقول: إن الصفات توقيفية؟ فنقول: هناك عدة طرق لإثبات الصفة:

الطريق الأول: دلالة الأسماء عليها، لأن كل اسم، فهو متضمن لصفة ولهذا قلنا فيما سبق: إن كل اسم من أسماء الله دال على ذاته وعلى الصفة التي اشتق منها.

الطريق الثاني: أن ينص على الصفة، مثل الوجه، واليدين، والعينين.. وما أشبه ذلك،

الطريق الثالث: أن تؤخذ من الفعل، مثل: المتكلم، فأخذها من (وكلم الله موسى تكليماً (النساء: ١٦٤)

هذه هي الطرق التي تثبت بها الصفة وبناء على ذلك نقول: الصفات أعم من الأسماء، لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة متضمنة لاسم.(شرح الواسطية صـ٩٣) بتصريف بسيط- وقال ؛: وقد دل على ثبوت رحمة الله تعالى: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل:فأما الكتاب، فجاء به إثبات الرحمة على وجوه متنوعة، تارة بالاسم، كقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١٠٧]، وتارة بالصفة، قوله: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ [الكهف: ٥٨]، وتارة بالفعل، كقوله: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ [العنكبوت: ٢١]، وتارة باسم التفضيل، كقوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٩٢].وبمثل هذه الوجوه.. جاءت السنة(صـ١٦٥،١٦٦)،فسبحان الله قد ثبتت صفة الرحمة لله ﷻ بالطرق الثلاثة فكيف أنكرها من أنكر؟ وكيف أوّل من تأوّل؟

الله: حمدني عبدي ،وإذا قال العبد { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } قال الله : أثنى علي عبـــدي ....) الحديث (١).

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ ،أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (قَالَ اللَّهُ أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِـــيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِنَ اسْمِي مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) (٢) .

وقال ﷻ وصفاً نفسه بالرحمة:

{ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَـــوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:١٢)

{ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:٥٤)

ونسبها إلى ذاته الكريمة:

فقال ﷻ { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَـــا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } (الأنعام:١٣٣)

وقال ﷻ { وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُـــمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً} (الكهف:٥٨)

وقال ﷻ { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُـــمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } (لأعراف:١٥٦)

وقال ﷻ { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَـــذَابٌ أَلِيمٌ } (العنكبوت:٢٣)

وعلمنا رسول الله ﷺ أن نستغيث بها إذا حزبنا أمر:

فكان ﷺ إذا حزبه أمراً يقول: « يَا حيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ »(٣)

---

(١) رواه مالك واحمد والستة إلا البخاري

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث أبي هريرة والحاكم والبيهقى

(٣) رواه الترمذي وحسنه الألباني ـــ سبحان الله ـــ كيف خفي على من أنكر وصفه ﷻ بالرحمة ومن أوّلها أو قال إنها من المجازات استغاثة نبي الرحمة ﷺ بها ؟ أكان يستغيث بالنعمة المخلوقة ؟ أما بالثواب والأجر ؟ أما بماذا كان يستغيث؟ أليست رحمة الله ﷻ التي هي صفته ﷻ

بل وأوصى بالتوسل والاستغاثة بها صباحاً ومساءاً: فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ~:

(ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)(١)

ونرتجيها حال الكرب فقال ﷺ:

(دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ).(٢)

وأخبر ﷻ عن نفسه أنه يرحم و أن الرحمة فعله :

فعلى لسان نوح عليه السلام { قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ }(هود: من الآية٤٣)

وقال عن نفسه ﷻ { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (هود:١١٩)

وقال ﷻ { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة:٧١)

وقال ﷻ { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً } (الإسراء:٥٤)

وأما الحديث:

فَقد قَالَ رسول الله ﷺ: « إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » (٣)

وقال ﷺ « لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ » (٤).

---

(١) رواه النسائي والبزار بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٦٦١

(٢) رواه أحمد و أبو داود البخاري في الأدب وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٣٨٨

(٣) متفق عليه

(٤) متفق عليه

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ،ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ » .(١).

صفة الرحمة الثابتة لله ﷻ من الصفات الفعلية الذاتية ،ونقصد بذلك أن" الصفات الفعليَّة من حيث قيامها بالذات تسمى صفات ذات ، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال ، ومن أمثلة ذلك صفة الكلام ؛ فكلام الله عَزَّ وجَلَّ باعتبار أصله ونوعه صفة ذات ، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعل(٢)".

قال ﷻ {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} (الإسراء:٥٤) وقال ﷻ { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} (العنكبوت:٢١) وقال ﷻ { وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ }(الشورى: من الآية٨)وقال ﷻ { لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ }(الفتح: من الآية٢٥) وقال ﷻ { يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الإنسان :٣١).

لذا فقد أثنى عليه بها الملائكة المقربون عليهم السلام، فقال ﷻ على لسان ملائكته المادحين (٣) { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٩)} (غافر٧:٩) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي و قَالَ:هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وصححه الألباني

(٢) صفات الله صـ٣٠،٣١للشيخ علوي السقاف حفظه الله

(٣) قال مقيده عفا الله عنه وعن والديه : لو تأمل المتأمل في ثنائهم (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً)ألا يدل على صفتي الرحمة والعلم ، والعلم صفة ذاتية وهنا الرحمة كذلك كونها متعلقة بذاته الرحمية،وتأمل تضرعهم ودعائهم (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ألا يدل على الرحمة المتعلقة بأعماله وأفعاله الرحيمة .

ورجاها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام،فقال ﷻ على ألسنتهم الذاكرة الطاهرة {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً } (الإسراء:٥٧)

فقد سألها الأبوان عليهما السلام { قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (الأعراف:٢٣) وسألها خير أبنائهما من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فقال ﷻ حاكياً عن نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ و إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (هود:٤٧) وقال ﷻ حاكياً عن موسى عليه السلام { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (الأعراف:١٥١) وعن سليمان عليه السلام { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } (النمل:١٩) وبها توسل يعقوب عليه السلام { قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف:٦٤) وابنه يوسف عليه السلام { قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف:٩٢)

وأيوب عليه السلام { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (الأنبياء:٨٣) وأمر خليله محمد ﷺ أن يدعوه ويتوسل إليه بها فقال ﷻ آمراً إياه { وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } (المؤمنون:١١٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ’ يَقُولُ « لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » . قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « لاَ ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)(١).

وتوسل به الصالحون من أتباع الأنبياء عليهم السلام فها هو موسى عليه السلام و أمته { وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } (الأعراف:١٥٥) ، وكذلك كافة الصالحين { إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ }

(١) متفق عليه

(المؤمنون:١٠٩) ، ورسول الله ﷺ وأمته { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة:٢٨٦) وقال ﷻ { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } (الزمر:٩)

وتشبث بها- أمثالي- المقصرون ما لا عمل لهم إلا تمنى رحمة أرحم الراحمين كيف لا وقد دعانا إليها ربنا ﷻ فقال { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (الزمر:٥٣) وقال ﷻ { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ }(الأعراف: من الآية١٥٦) وقال ﷻ على لسان خليله إبراهيم عليه السلام { قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } (الحجر:٥٦).

إذاً فـ (قد دل على ثبوت رحمة الله تعالى: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل:

فأما الكتاب، فجاء به إثبات الرحمة على وجوه متنوعة، تارة بالاسم، كقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١٠٧]، وتارة بالصفة، قوله: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ [الكهف: ٥٨]، وتارة بالفعل، كقوله: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ [العنكبوت: ٢١]، وتارة باسم التفضيل، كقوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٩٢].

وبمثل هذه الوجوه.. جاءت السنة.

وأما الأدلة العقلية على ثبوت الرحمة لله تعالى، فمنها ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله ﷻ ، ومنها ما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، كله دال على إثبات الرحمة عقلاً.

فالناس في جدب وفي قحط، الأرض مجدبة، والسماء قاحطة، لا مطر، ولا نبات، فيتزل الله المطر، وتنبت الأرض، وتشبع الأنعام، ويسقي الناس. حتى العامي الذي لم يدرس، لو سألته

وقلت: هذا من أي شيء؟ فسيقول: هذا من رحمة الله ولا يشك أحد في هذا أبداً ،فرحمة الله ﷻ ثابتة بالدليل السمعي والدليل العقلي (١).

ورحمة رسول الله ﷺ إنما هي أثر من هذه الرحمة الإلهية فأسبغ علينا رحمته الظاهرة والباطنة بإرساله ﷺ إلينا ، فقال ﷻ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}(الأنبياء:١٠٧) ، وقال ﷻ { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } (التوبة:١٢٨) .

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ : أن رسول ﷺ :

« أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِىُّ التَّوْبَةِ وَنَبِىُّ الرَّحْمَةِ »(٢) .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مُهداة)(٣) .

---

(١) الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله شرح العقيدة الواسطية صـــ١٦٦

(٢) صحيح الجامع ١٤٧٣ رواه أحمد ومسلم عن أبي موسى زاد (الطبراني) : (ونبي الملحمة) أي نبي الحرب وسمي به لحرصه على الجهاد ووجه كونه نبي الرحمة ونبي الحرب أن الله بعثه لهداية الخلق إلى الحق وأيده بمعجزات فمن أبى عذب بالقتال والاستئصال فهو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة وظاهر تخصيص المصنف الطبراني بهذه الزيادة أنها لا تعرف لأعلى منه والأمر بخلافه فقد خرجه أحمد عن حذيفة بلفظ ونبي الملاحم قال الزين العراقي وإسناده صحيح(أفاده المناوي).

(٣)المستدرك حـــ١٠٠ جـــ١وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبول ، وهو فىالمصنف مرسلاً، مسند الشهاب، البيهقي فى شعب الإيمان ، الدارمي فى سننه ، وصححه الالباني في صحيحته برقم ٤٩٠ ، و صحيح الجامع برقم ٢٣٤٥ (ابن سعد والحكيم) وقال المناوي: ابن سعد في الطبقات والحكيم في النوادر عن أبي صالح مرسلا أبو صالح في التابعين كثير فكان ينبغي تمييزه ك في الإيمان عنه أي عن أبي صالح عن أبي هريرة يرفعه قال الحاكم على شرطهما وتفرد الثقة مقبول انتهى تركها عليه الذهبي.

(فائدة): قال الرامهرمزي عقب الحديث :[و اتفقت ألفاظهم (يعني : الرواة عن أبى الخطاب) في ضم الميم من قوله :(مُهداة) إلا أن البرتي قال :(مِهداة) بكسر الميم ، من الهداية ، وكان ضابطاً فهماً متفوقاً في الفقه واللغة، والذي قاله أجود في الاعتبار ، لأنه بُعث هادياً كما قال ﷻ (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: من الآية٥٢) وكما قال ﷻ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ)(النحل: من الآية٤٤) و (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)(إبراهيم: من الآية١)وأشباه ذلك ، ومن رواه بضم الميم ، إنما أراد أن الله أهداه إلى الناس ،وهو قريب](أفاده الشيخ الألباني السلسلة الصحيحة م١ جـــ٢ ص٨٨٥)

فظهرت آثار هذه الرحمة فى آيات منها على سبيل المثال لا الحصر:

- رحمته ﷻ به بالنبوة { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)} [الزخرف/٣١-٣٣].

- رحمته ﷻ به بالرسالة { بسم الله الرحمن الرحيم حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا **إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦)} [الدخان/١-٦].

- رحمته ﷻ به بتنزيل القرآن الكريم {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)} [القصص/٨٦] وقال ﷻ { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)} [الشورى/٥٢].

- رحمته ﷻ به بالهداية التامة والعلم النافع {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} (النساء:١١٣) .

- رحمته ﷻ به باللين وطيب الأخلاق { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)}[آل عمران/١٥٩] ، وقال ﷻ {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤) عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : ((أَتَيْتُ عَائِشَةَ ~ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ : أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ' قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(١)).

---

(١) رواه أحمد وغيره وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح

- رحمته ﷻ به بمنحه إسمين من أسمائه { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } (التوبة:١٢٨) ، وقوله ﷺ (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مُهداة)(١) ، عَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ _ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ _ كَانَ جَرِيئاً عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ' عَنْ أَشْيَاءَ لاَ يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَوَّلُ مَا رَأَيْتَ فِى أَمْرِ النُّبُوَّةِ فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ' جَالِساً وَقَالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّى لَفِى صَحْرَاءَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ وَإِذَا بِكَلاَمٍ فَوْقَ رَأْسِى وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ أَهُوَ هُوَ قَالَ نَعَمْ. فَاسْتَقْبَلاَنِى بِوُجُوهٍ لَمْ أَرَهَا لِخَلْقٍ قَطُّ وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ فَأَقْبَلاَ إِلَىَّ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِعَضُدِى لاَ أَجِدُ لأَحَدِهِمَا مَسًّا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَضْجِعْهُ. فَأَضْجَعَانِى بِلاَ قَصْرٍ وَلاَ هَصْرٍ. وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ افْلِقْ صَدْرَهُ. فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِى فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى بِلاَ دَمٍ وَلاَ وَجَعٍ فَقَالَ لَهُ أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ. فَأَخْرَجَ شَيْئاً كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا فَقَالَ لَهُ أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ. فَإِذَا مِثْلُ الَّذِى أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ ثُمَّ هَزَّ إِبْهَامَ رِجْلِى الْيُمْنَى فَقَالَ اغْدُ وَاسْلَمْ. فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ »(٢).

الرحمة جوهر رسالته ﷺ وماهيتها.

(١)سبق تخريجه

(٢) مسند أحمد بن حنبل [جزء ٥ - صفحة ١٣٩] -و قال الهيثمي رواه عبد الله (أي في زوائد المسند)ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان - وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف - قوله " ابن عشر سنين وأشهر " : الذي صح من أحاديث شق الصدر الحادثة التي وقعت للنبي ' وهو مسترضع في بني سعد والحادثة التي فيها شق صدره ' يوم الإسراء و لم يرد في شواهد هذا الحديث ما يؤيد أن ذلك كان وعمره ' عشر سنين.

كيف لا تكون جوهر الرسالة الرحمة ؟!

بل حُق لنا أن نقول ، إن جوهر الرحمة الرسالة ، فولا أن الله ﷻ أرحم بنا من أمهاتنا لتركنا فى ظلمات الضالة ، والعمى. ونضرب لذلك مثالًا ، لو أن أبًا وأمًا غاية فى الشفقة والحنو على أولادهما ، وهذه الشفقة والرحمة ظهرت آثارها فى طيب العيش ، ونا عم الملبس ،وكريم العطاء ، من صنوف المشتهيات البدنية والنفسية ، غير أنهما تركا تعليم أولادهما القراءة والكتابة ، فلم يدخلوهم مدراس ، ولا اعتنوا بتربية عقولهم ، وصقل أذهانهم ، فضلًا عن زجرهم لجُرمٍ ارتكبوه ، أو لقبيحٍ اقترفوه ، فلم يعنوا إلا بالأبدان والأجسام ، وأهملوا العقول والأفهام .

فبماذا نحكم عليهما ، بالرحمة أما بالسفة وعدم الحكمة ؟!

ولله المثل الأعلى تعالى الله ﷻ عن ذلك علوًا كبيرًا ، فما خلق إلا بعلم يقتضى الحكمة التامة ورحمة تقتضى الإحسان العام { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر/٧] ، لذا (فالله ﷻ قد أعذر إليه(أي إلى عبده) وأزال عذره بالكلية ولو كان معذورًا في نفس الأمر عند الله لما عاقبه البتة ، فإن الله ﷻ أرحم وأغنى وأعدل من أن يعاقب صاحب عذر ، فلا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب إزالة لأعذار خلقه لئلا يكون لهم عليه حجة(١)) قال ﷻ { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) } [النساء/١٦٥]

و(رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم فمن أعطى اسم الرحمن حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها

---

(١)مدارج السالكين [جزء ١ - صفحة ١٨٨] .

لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب وأدرك منه أولو الألباب أمرًا وراء ذلك(١).

(فبرحمته أرسل لنا رسوله ﷺ و أنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى وأرشدنا من الغي ، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته و أفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا ، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم ، وأرشدنا لمصالح ديننا و دنيانا(٢).

فمن رحمات الرسالة الرحمانية المصدر الرحيمة المخبر :

١. رحمة رفع الآصار والأغلال فال ﷻ { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)}[الأعراف/١٥٦، ١٥٧].

٢. رحمة الهداية من الضلال والغواية فقال ﷻ { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)} [الشورى/٥٢].

٣. بل وجعل من تمام رحمته تمام الهداية فى طاعته ﷺ فقال ﷻ {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}(النور:٥٤)

٤. رحمة العلم من بعد الجهالة فقال ﷻ {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة:١٥١) وقال ﷻ { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }(النحل: من الآية٤٤) وقال ﷻ { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (هود:٤٩) .

---

(١) ابن القيم مدارج السالكين [جزء ١ - صفحة ٨]

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة جـ٢

٥. رحمة الألفة والمحبة من بعد الفرقة والعداوة فقال ﷻ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران:١٠٣) ، وقال ﷻ { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (لأنفال:٦٣)

٦. رحمة الوفاق والإجتماع عند الخِلاف والتنازع فقال ﷻ { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (النحل:٦٤) و قال ﷻ { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء: من الآية٥٩).

٧. رحمة الأمن عند الخوف فقال ﷻ { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)} [البقرة/ ١١٢] ، والإطمئنان والسلامة عند اجتماع كلمة الكفر على حرب أهل الإسلام { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)} [آل عمران/١٧٢، ١٧٥] .

٨. رحمة إحياء القلوب بعد موتها فقال ﷻ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) }[الأنفال/٢٤] وقال ﷻ { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)} [يس/٦٩، ٧٠].

٩. رحمة أنوار الولاية بعد ظلمات الكفر والغواية فقال ﷻ { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)} [البقرة/٢٥٧]، وقال ﷻ { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)}[الأنعام/١٢٢].

١٠. رحمة عزة شأن بعد الذلة وهوان فقال ﷻ { الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)} [النساء/١٣٩] ، وقال ﷻ { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)}[المنافقون/٨] ، قال عمر ــ : (إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره) وفى رواية (أنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله(١)) وعَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ــ (إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِى عَلِمْتُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلاَلَةِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالإِسْلاَمِ وَبِمُحَمَّدٍ ' (٢)).

١١. رحمة البر والرحمة بالناس وإن كانوا كفارًا فقال ﷻ { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) }[الممتحنة/٨] وقال ﷻ { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)} (التوبة:٦) وعَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ ~ قَالَتْ : ((ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' عَامَ الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ قَالَتْ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ فَقُلْتُ أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتُهُ فُلَانَ ابْنَ هُبَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ وَذَاكَ ضُحًى (٣)) وقال ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم ، قالوا : كلنا يرحم ،قال : ليس برحمة أحدكم

---

(١)رواه الحاكم في المستدرك [جزء ١ - صفحة ١٣٠] وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) رواه البخاري .

(٣) متفق عليه

صاحبه ، يرحم الناس كافة))وفى رواية ((لا يدخل الجنة منكم إلا رحيم ، قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ، قال : ليس رحمة أحدكم نفسه و أهل بيته حتى يرحم الناس (١)) .

١٢. رحمة الجهاد بأهل العناد ، وليس هذا لنبل غايته ،ولا لسمو وسائله ، فحسب.فكم من غاية نبيلة كانت سببًا لحروب قذرة ، لم ترع فيها حرمة ، و لم تحترم فيها إنسانية ، بل لم تعرف البشرية حروب أدنس ولا أفسد منها، ولكن لشرف السبيل والمصدر فهي إلهية النبع فالجهاد ليس لهوًا من رأس فارغ يحب أن يرى رؤوسًا مقطّعة ، وأشلاءًا مبعثرة(٢)، ففكرة الجهاد فكرة رحيمة بل هي رسالة الرحمة لكل الأمم قال ﷻ { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }(الأنفال:٣٩) ، ولأهمية المقصد للمُجَاهَد لا للمُجَاهِد فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ :عَنْ النَّبِيِّ ’ قَالَ : ((عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ)) ، وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ فى قوله ﷻ { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }قَالَ :خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ (٣))، ((٤) فالدين ينبه إلى أن هذا العدو للنوع الإنساني ولذرية آدم يوجد على الأرض نفسها ، وحق على كل إنسان أن يعاديه ويحترس منه ويتعاون مع بني نوعه في معاداته ومحاربته يقول القرآن : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } ويقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } . وقد قسم الإسلام العالم البشري إلى قسمين فقط ، أولياء الله وأولياء الشيطان ، وأنصار

---

(١) السلسلة الصحيحة – (ج ١ / ص ١٦٦) برقم ١٦٧و قال رواه البيهقي والحافظ العراقى فى مجالس إملائه

(٢)وقد حلل ذلك الأستاذ ((جود)) تحليلاً فلسفياً نفسياً فقال : ((إن العواطف التي هي مشتركة والتي يمكن إثارتها بسهولة هي عواطف المقت والخوف التي تحرك جماعات كبيرة من الدهماء ، بدل الرحمة والجود والكرم والحب ، فالذين يريدون أن يحكموا على الشعب لغاية ما ، لا ينجحون حتى يلتمسوا له ما يكرهه ويوجدوا له من يخافه ، وإذا أردتُ أن أوحد الشعوب ينبغي أن أخترع لهم عدواً على كوكب آخر – على القمر مثلاً – تخافه هذه الشعوب ، فلم يعد من دواعي العجب أن الحكومات القومية في هذا العصر في معاملتها لجيرانها إنما تقاد بعواطف المقت والخوف ، فعلى تلك العواطف يعيش من يحكمونها ، وعلى تلك العواطف يقوى الاتحاد القوم)) نقلا عن ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟صـ ١٧٢(لأبي الحسن الندوي ‘) .

(٣) رواهما البخاري

(٤)نقلًا عن ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟(صـ ١٧٣:١٧٤/ لأبي الحسن الندوي ‘)

الحق وأنصار الباطل ، ولم يشرع حرباً ولا جهاداً إلا ضد أنصار الباطل وأولياء الشيطان أينما كانوا ومن كانوا ، فقال : { الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } . وهذه الحروب التي لم يشهد التاريخ أيمن منها وأقل إراقة للدماء وذهاباً بالنفس ، ولا أعود منها على الإنسانية بالصالح العام والخير المشترك والسعادة جمعاء فلا يربو عدد المقتولين من الفريقين (المسلم والكافر) في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التي ابتدأت من السنة الثانية للهجرة ، ودامت إلى السنة التاسعة على ألف وثمانية عشر نفساً ١٠١٨ المسلمون منهم ٢٥٩ والكفار ٧٥٩(١) أما المصابون في حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ الكونية فيبلغ عددهم على الأصح واحداً وعشرين مليون نسمة(٢) ٢١ ,٠٠٠,٠٠٠ عدد المقتولين منهم سبعة ملايين ٧ ,٠٠٠ ,٠٠٠ وقدر المستر مكستن (Maxton) عضو البرلمان الإنجليزي أن المصابين في الحرب الثانية الكبرى ١٩٣٩ .... لا يقل عددهم عن خمسين مليون ٥٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ وقد كلف قتل رجل واحد في الحرب الأولى عشرة آلاف جنيه ، أما مجموع نفقاتها فيبلغ ٣٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه أما نفقات الحرب الثانية لساعة واحدة فمليون من الجنيهات ١,٠٠٠,٠٠٠(٣)ثم كانت الحروب الدينية الإسلامية حاقنة للدماء عاصمة للنفوس والأموال وفاتحة عهد السعادة والغبطة في العالم ، أما حرب التنافس والحمية الجاهلية التي تدعى الحرب الكبرى فقد كانت مقدمة حروب متسلسلة ؛ وإليك ما قال المستر لويد جورج بطل الحرب الكبرى ورئيس الوزارة الإنجليزية حينئذ : ((لو رجع سيدنا المسيح إلى العالم لما عاش إلا قليلاً ، إنه سيرى الإنسان لا يزال بعد ألفي سنة مشغوفاً بالشر والإفساد والقتل والفتك بين نوعه ، والنهب والإغارة ، بل إن أكبر حرب

---

(١) عولنا في هذه الأعداد على إحصاء مؤلف السيرة النبوية الشهيرة القاضي محمد سليمان المنصور فوري في المجلد الثاني من كتاب سيرة رحمة للعالمين ولم يغادر من الغزوات والبعوث والمناوشات صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، أما احصاءات غيره من المؤلفين فإنها تمثل عدداً أقل من هذه الأعداد .

(٢) وقد حقق المستر هـ . تاونسند E. H. Tawansend في مقالة له نشرتها صحيفة هندو الانكليزية اليومية (٣١ يناير ١٩٤٣ م) أن عدد المصابين في الحرب الكبرى لا يقل عن ٣٧,٥١٣,٨٨٦ المقتولون منهم ٨,٥٤٣،٥١٥ .

(٣) من مقالة لتاونسند في صحيفة هندو .

في التاريخ قد استغرقت دم جسم الإنسانية وأهلكت الحرث والنسل حتى أصابت الناس مجاعة ، وماذا يرى السيد المسيح يا ترى ؟ هل يرى الناس يتصافحون كالإخوان والأصدقاء ؟ لا . بل يراهم يتهيأون لحرب أشد هولاً من الأولى وأعظم فتكاً وتعذيباً ؛ يراهم يتسابقون في اختراع الآلات الجهنمية ويبتدعون وسائل التعذيب(١))) .

ويحقُّ لنا أن نسأل: كيف يجرؤ متقول بنعته ' بالقسوة والغلظة ؟!،وهو بالرحمة أُرسل، ومن أجلها بُعِث، فهي جوهر رسالته ومادتها، كما قال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}؟، فرسالته ' رحمة كلها حتى الحزم والقوة والعدل والشجاعة التي بلغ فيها منتهاها، تتجلى فيها رحمته، فإليها كان يدعو وبها، فهي أسلوبه ومنهجه وسياسته، وهي مناط نجاحه وتوفيقه في دعوته، رحمة لم يكن يصطنعها ويتملق بها من حوله بل فُطِر عليها، ولا نستطيع أن نقول أنها كانت بعضاً منه، لأن هذا التعبير فيه قصورٌ مخلٌّ، فقد كانت الرحمة تسري في أوصاله كالماء في العود الرطب وكالروح في الجسد، ولهذا اجتمع عليه أصحابه، وأحبوه حباً لم ير مثله قط، ولم يُسمع بمثله قط، وكأني بك ترغب أن ترى بعض صور هذا الحب(٢).

---

(١) وقد صدقت فراسته ووقع تحت أعيننا ما تنبأ به وقد فاقت هذه الحرب الجارية الماضية فتكاً بالأرواح للعمران وتدميراً للبلدان ووقائع تشيب لهولها الولدان وغلاء في السلع وارتفاعاً في الأسعار وأصابت الناس مجاعات شديدة في كثير من الأقطار .

(٢) أ/ محمد على الخطيب (الرحمة المهداة) البحث الفائز بالجائزة الرابعة من موقع الألوكة بمسابقة : (انصر نبيَّك ﷺ وكن داعياً)، فرع البحث العلمي- وقد استفدت منه كثيرًا فى الفقرة من الخصائص (فجزاه الله خيرًا).

رحمته ﷺ ذروة الكمال الإنساني(١).

بلغ رسول الله ’ ذروة الكمال الإنساني في سائر أخلاقه وخصاله وفي جميع جوانب حياته، وهو وجهٌ آخر من وجوه إعجازه الأخلاقي. ولو كان تفوق رسول الله ’ في جانب الكرم والسخاء لكان أمراً مألوفاً جرت به العادة، فحاتم الطائي كان مضرب المثل في الكرم حتى إنه ذبح فرسه وقدمه طعاماً لضيفانه، وعنترة كان مثالاً في الشجاعة والفروسية، لم يبل في الحروب أحدٌ بلاءه، وقيس بن سعد بن عبادة بلغ الذروة في الدهاء، ولولا الورع ما غلبه خصومه في خصومة قط، والأحنف بن قيس اشتهر بالحلم، وأخباره في ذلك غريبة عجيبة، بيد أن تفوق محمد ’ كان شاملاً لكافة هذه الجوانب، وبلغ ذروتها، وتربع على عرشها دون منازع.

وسوف نتناول ذلكم الكمال من جوانب ثلاث:

- رحمته ﷺ حقيقة.
- رحمته ’ عامة.
- التوازن الأخلاقي.

- **رحمته ﷺ حقيقة :**

١. عملية حية وليست نظرية :

رحمته ’ وشفقته ليست مجرد تعاليم نظرية أو كما يقال حبراً على ورق (كشأن فلاسفة الأخلاق أصحاب الأبراج العاجية)، شأنها كشأن سائر خصاله وخلاله التي ترجمها إلى الحياة العملية بدقة تدعو إلى التقدير والتدبر والمقارنة مع كثير من زعماء الكلام والخطباء الثرثارين المتشدقين بل مؤسسات الشعارات الجوفاء التي تتغنى بالحرية والمساواة والإخاء وهي من ألدِّ

(١) السابق.

أعدائها، ولعل من المناسب أن نستحضر شهادة حبيبة رسول الله وابنة حبيبه وزوجته السيدة عائشة ~ عندما سئلت عن خلقه، فأجابت بعبارة وجيزة بليغة معبرة: " كان خلقه القرآن " رواه أحمد، ومَنْ أعرفُ بالرجل من زوجه وأهله؟ والأمثلة من سيرته تؤكد شهادة زوجته وتوثقها، وأعماله ' تصدِّقُ أقواله ولا تخالفها، وهذا من دلائل نبوته ' ، وهي عندي أعظم من الخوارق وأشد تأكيداً لصدقه '.

٢. **رحمة مجردة من الأغراض:**

لقد كانت رقة الرسول محمد ' ورحمته وشفقته من عوامل نجاحه التي استعملها واستغلها واستفاد منها في دعوته، قال الله تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:١٥٩) ، ورحمته ' بعدٌ من أبعاد فطنته حيث اتخذها شِبَاكاً ؛ لصيد القلوب والاستيلاء عليها، ومفتاحًا ربانياً فتح به مغاليق أقفال صدئة موصدة لا أمل البتة بفتحها، ولا يعني هذا أنه كان يتصنع الرحمة، ويتخذها ذريعة للوصول إلى مآربه السياسية ، بل كانت طبيعته وفطرته التي فطره الله عليها ؛ وكان حرياً بها، وهذا من مظاهر حكمته سبحانه، والحكمة تعني وضع الشيء في موضعه، ولذلك خصَّ محمداً ' بهذا الفضل، واجتباه من بين سائر الناس بالرسالة الخاتمة، وبعثه رحمة للعالمين.

وشتان ما بين رحمة خالصة فطرية إنسانية وأخرى تحركها الأغراض، وتقوم على المصالح ، فإذا وصلت إلى مآربها اختفت مظاهر هذه الرحمة الصناعية، ليرجع ذاك الرحيم المزعوم إلى طبيعته الوحشية الغالبة من قسوة وفتك وغلظة وفظاظة.

و لم يكن هذا من قبيل الأخلاق الماسونية الخادعة التي اتخذت من " الإنسانية" وشعاراتها الزائفة المتمثلة في " الحرية والعدالة والمساواة " ستارًا لخداع الإنسان، وشباكاً لاستلاب عقله، والاستيلاء على مقدراته وتدمير مقوماته.

- **رحمته ﷺ عامة :**

١. **عامة غير عنصرية :-**

و لم تكن شبيهة بالأخلاق التوراتية والتلمودية، لأن ما يرد في النصّ التوراتي من وصايا تدعو إلى المحبة والخير والعدالة فإنّها وصايا عنصرية ضيقة تخصّ اليهود فقط شعب الله المختار كما ينعتون أنفسهم أو أبناء الله وأحباءه، ولا يجوز أن تطبقّ على الأجانب والأغيار.

إن الرحمة الإنسانية التي كان الرسول ' يمثلها لم تكن من هذا النوع أبدًا، ويجب ألا تخلط بها. اليهودي يحقُّ له أن يسرق الأغيار، وأن يزني مع نسائهم، وأن يقرضهم بالرّبا، ويشهد بالزور، ويسرق، ويشتهي النساء الأجنبيات، ويغدر، ويغتصب كل من هو غير يهودي فقط، لكنّه لا يحقّ له هذا مع اليهودي، لأنّ اليهوديّ أخوه الودود بينما الأجنبي عدّوه اللدود. وهذا دون شّك يعبّر عن انعدام الرحمة الإنسانية التي يزخر بها ديننا الإسلامي. وإنّ الباحث في النصوص التوراتية يجدها تكرّس هذه النزعة وتنسبها إلى "يهوه" حتى تأخذ صفة الشرعية والديمومة، ونقرأ فيها على سبيل المثال: " للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها " (التثنية ٢٣: ٢٠).

"إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. ولا تتسّلط عليه بعنف وإلى آبائه يرجع، وأمّا عبيدك الذين يكونون لك. فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماءً وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين في أرضكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم. الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر وأمّا إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسّلط إنسان على أخيه بعنف" (سفر اللاويين / ٢٥:٤٦).

إن هذه النصوص المقدسة عندهم تغذي نزعة العنصرية والعزلة والتسّلط والفوقية وضرورة القسوة والانتقام واستعباد الشعوب والأمم، ومثل هذه النصوص لا تجدها في القرآن ولا في السنة، وما ورد من نصوصٍ تأمر بالشدة والغلظة مع الآخر إلا لغاية وحكمة مشروعة ، أن يكون هذا محارب معتدٍ على حقوق المسلمين وحرماتهم، أو عقبة كئود في طريق الدعوة وسكتها إلى قلوب الناس ، أما أهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين من اليهود والنصارى فهؤلاء ينشر عليهم الإسلام ظله وحمايته، ويكفل لهم جميع حقوقهم، وحسبهم أن من ظلمهم فقد خاصم رسول الله ' نفسه!. هكذا أعلن نبي الرحمة والتسامح إذ قال ' : "ألا

من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه (أي أنا الذي أخاصمه وأحاجه) يوم القيامة " رواه أبو داود. (ومعاهداً) ذمياً من أهل العهد أي الأمان والميثاق. وإذا كان الأمر كذلك، ألا يحق لنا أن نتعجب من الدعوة إلى تغيير نصوص القرآن الداعية إلى الكراهية بزعمهم، بينما تفوح رائحة العنصرية البغيضة من حروف " الكتاب المقدس " زعموا؟

وإذا كان الإسلام يثير الكراهية الدينية، ويؤجج نار الصراع البغيض بين البشر – كما يزعم بعضهم – فكيف يبيح القرآن إذن للمسلم الزواج باليهودية والنصرانية والأكل من ذبائح أهل الكتاب؟ كيف يدعونا إلى كراهيتهم ثم يبيح لنا مصاهرتهم، ألا ساء ما يفترون؟ كيف يرخص لنا البر بهم والقسط إليهم ثم يحضُّ على نهبهم أو قتلهم بعد عقد أمان كما يدَّعون؟ أليست هذه جسور متينة من العلاقات يبنيها الإسلام، لتقوية وشائج القربى وأواصر المودة بين بني البشر، لرحمته بالدعوة إلى الإسلام دين الرحمة ؟ ولكن العيب كامنٌ في القراءة المبتورة للنصوص، والفهم الناقص الذي لا يرى اللوحة مكتملة، ولكن ينظر إلى جزءٍ منها، منفصلاً عن بقية الأجزاء، فيظهر مشوشاً مشوهاً إلى حدٍّ كبيرٍ!

٢. كونية شاملة(١):–

١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالملائكة عليهم السلام .

٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم .

٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنساء.

٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأطفال.

٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بخدمه ومواليه.

٧) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأعراب .

٨) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجن

٩) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأمة في الدنيا والآخرة.

---

(١) هذا ما سنتناوله فى الصفحات القادمة وهو موضوع الكتاب .

١٠) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالعصاة .
١١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالحيوان
١٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنبات.
١٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجماد.
١٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالكفار .
١٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالمنافقين.

- **التوازن الأخلاقي.**

وخاصية أخرى تميز كمال محمد ’، وهو التوازن في أخلاقه، فهو رحيم دون ضعف، متواضع بغير ذلة، محاربٌ لا يغدر، سياسيٌّ لا يكذب، يستخدم الحيلة في الحرب ولكن لا ينقض العهود والمواثيق، آمن خصومه بصدقه وأمانته، يجمع بين التوكل والتدبير، وبين العبادة والعمل، وبين الرحمة والحرب، وبين إدارة شؤون أسرته الكبيرة، فقد جمع بين تسع زوجات، وإدارة المجتمع والدولة، ويعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقه، ولم تشْكُ واحدة من أزواجه يوماً من سوء عشرته، ولكن اشتكين ذات مرة من خشونة العيش، فخيَّرهنَّ بين البقاء معه أو أن يسرحهن سراحاً جميلاً فاخترنه دون تردد!. والمقصود أن صفات رسول الله ’ وخصائصه تعمل ضمن منظومة متناسقة متناغمة، تتشابك جميعها لتأدية أغراضها، فلا تتوسع صفة أو تقوى على حساب أخرى، ولا تعمل إحداها ضد الصفة التي تقابلها. ووجه العظمة يتجلى لك من خلال الموازنة مع الناجحين في الحياة كالمشاهير والأبطال والحكماء والمصلحين على سائر الأزمان واختلاف المكان، حيث يقتصر نجاحهم ونبوغهم على مجالاتٍ وميادين معينة، فهذا في السياسة، وذاك في الأدب، والآخر في الرياضة مثلاً، ولكنهم يفشلون في مجالات غيرها، وقد تكون أكثر أهمية منها، وقد تجد الرئيس الناجح في إدارة شؤون دولته المترامية الأطراف غير إنه فاشل في علاقاته الزوجية وفي إدارة بيته مثلاً.

ومظهرٌ آخر للتوازن هو ثبات أخلاقه، فرسول الله ﷺ هو رسول الله ﷺ في رضاه وغضبه، وفي سلمه وحربه، وفي عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وفي بيته وسوقه ومسجده، مع أزواجه وأولاده، ومع أصحابه، وفي جميع أحواله وشؤونه. وهذا الثبات قليلٌ في الناس أو

نادرٌ، فترى الشخص في رضاه فإذا ما غضب صار شخصاً آخر كأنه ليس هو، وترى الشخص ضحَّاكاً بسَّاماً بين زملائه فإذا دخل بيته عبس وبسر، وتتعرف على الرجل في الحضر فتراه في وجه، ويجمعك به السفر فيسفرُ لك عن وجه آخر، وترى زعيماً ما يفيض في السلم رقة وحناناً فإذا ما اشتعلت الحرب تحول إلى وحش فاتك! وترى السخي الجواد في الرخاء فإذا أصابته شدة ضنَّ بماله، وأمسك عن الإنفاق، أما رسول الله ' فقد كان سخياً نديا في سائر أحواله، وكان رحيماً في سائر أحواله، وعلى ذلك فقس بقية الشمائل المحمدية، ولعلك الآن وصلت إلى الفكرة التي أحاول تقديمها إليك. كان رسول الله ' يملك القدرة على الجمع بين النقائض أو هكذا تبدو للناس، وهذا معجزة بحد ذاته ولكن ليست من الخوارق التي اشتهرت عن الأنبياء عليهم السلام، وسيرته ' غنية بالأمثلة والشواهد التي تدلُّ على توازنه الخلقي، منها ما رواه البخاري عَنْ خَارِجَةَ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ ~ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ قَدْ بَايَعَتْ النَّبِيَّ ' أَخْبَرَتْهُ: ((أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ـ طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتْ الْأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ' فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ' وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ الْيَقِينُ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ قَالَتْ فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ذَاكِ عَمَلُهُ(١))). فالرسول ' دخل على عثمان لما مات وذرفت عيناه بالدموع حزناً على فقد رجلٍ من أصحابه، ولكنه في الوقت نفسه لم يأذن لأم العلاء أن تقول كلاماً تفجره العاطفة، ويخالف الشرع، ونهاها عنه، وهنا وجه الاستشهاد بقصة عثمان بن مظعون إذ جمع الرسول بين الرحمة التي تجلت في مشاعر الحزن على صاحبه والعاطفة الجياشة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضبط اللسان والجوارح بميزان الشرع الحنيف في موقف تطغى فيه العاطفة، وتستولي على النفوس، عندما أنكر على أم العلاء قولها في رثاء ابن مظعون: " فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله!".

---

(١) رواه البخاري ٢٤٩٠

وإذا كان بعض الناس قد تحجرت عاطفته، فلا تتحرك لشيء، ولا ترقُّ لشيء، قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، لكن رسول الله ’ يفيض عاطفة ورحمة، فيفرح حتى يشرق وجهه، ويحزن، حتى إنه مرَّ عامٌ عليه يسمى عام الحزن، ويغضب حتى تحمرَّ وجنتاه، ويبكي حتى تبتل لحيته، ويضحك حتى تبدو نواجذه، وذاك هو الإنسان!.

بيد أنك تجد رسول الله ’ في جميع أحواله: في غضبه وفرحه وحزنه وضحكه وبكائه، موزوناً معتدلاً، لا يخرجه الانفعال عن حده: فلا الفرح يبطره، ولا الحزن ينسيه، ولا يستطيع الغضب أن يغتصب منه زمام أمره وقياد نفسه. ويحضرني في هذا المقام قصة من حياة رسول الله ’، لتقارن فيها بين صورة رسول الله ’ في فرحه وأخرى في حزنه. في الأولى منهما يستقبل مولوده الذكر الوحيد بعد أن فقد جميع أولاده، وفي الأخرى يودعه وهو ينازعه الموت. يروي لنا خادمه ((أَنَس بْنِ مَالِكٍ ـ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ(أي الخليل)". ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ (حداد) يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ’ فَقُلْتُ يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ’ فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ’ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ فَقَالَ أَنَسٌ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ’ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ’ فَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ(١)) وما أخالك إلا عرفت ما أريده من إيراد القصة في هذا الموضع، ومحل الاستشهاد فيها، غير إن هناك شاهدٌ آخر في القصة أعظم مما ذكرت، ويدخل في دلائل نبوته ’، فقد روى الْمُغِيرَةُ بْنَ شُعْبَةَ ـ : ((انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ !(٢)). فبماذا أجاب رسول الله ’ ؟ وهل جاراهم فيما اعتقدوه ؟ أليست هذه الحادثة فرصة سانحة ؛ ليثبت رسول الله ’ مركزه بين الناس، ويدعم دعواه بالنبوة ولو جاء ذلك على حساب الحقائق العلمية والكونية؟ لو كان رسول الله ’ كذَّاباً – حاشا له – لفعل ذلك دون تردد،

(١) رواه مسلم

(٢) رواه البخاري

ولكن الصادق الأمين ' صحح للناس اعتقادهم الخاطئ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ (١))

(١) بقية الحديث السابق

الجزء الرحمة في حياة الرحمة المهداة رسول الله ﷺ .

هيا بنا نعيش الرحمة خُلقاً وسجيةً مع الرحمة المُهداة ﷺ ، كيف لا وهو من هو في رحمته وشفقته بالخلق أجمعين ؟!

ونتناول في هذا الجزء من الكتاب التعبد العمليّ لهذه الأسماء الحسنى الذي هو غاية التوحيد[1] :-

- في تفسير قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء :١٠٧).
- في معنى اسمه ﷺ (نبي الرحمة) ، وقوله ﷺ (إنما أنا رحمة مُهداة) .
- في تنوع صنوف رحمته ﷺ:

في هذا الباب لن يستطيع أحد الاستقصاء فضلًا عن الإحاطة لأنه ﷺ كما قال ﷻ فيه {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}(الأنبياء:١٠٧)، لذا سأكتفى بالإشارة إلى ذكر طرف من رحماته ﷺ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالملائكة عليهم السلام .
١٧) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأنبياء والرسل عليهم السلام.
١٨) ذكر طرف من رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم .
١٩) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنساء.
٢٠) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأطفال.
٢١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بخدمه ومواليه.

---

(١) يقول شيخنا الفاضل حفظه الله واجزل مثوبته الشيخ /ياسر برهامي :ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ومحبته ودعائه بها ، والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ،ثم قال:التعبد بالأسماء والصفات حقيقة التوحيد : وذلك بأن يمتلئ القلب بأجل المعارف باستحضار معاني الأسماء الحسنى والصفات العُلى ، وبتأثر القلب بآثارها ومقتضياتها ويدعو الله بها . إ.هـ منة الرحمن ص١٦،٢١

٢٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأعراب .

٢٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجن

٢٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأمة في الدنيا والآخرة.

٢٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالعصاة .

٢٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالحيوان

٢٧) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنبات.

٢٨) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجماد.

٢٩) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالكفار .

٣٠) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالمنافقين.

ويرحم الله القائل:

هو النعـــمة العظمى هو الرحمـــة التي تجلى بها الرحمن في السر والجـــــهر

أيروم مخلـــــوق ثنـــاءك بعـــدمـــا أثنى على أخلاقـــــك الخـــــلّاق؟[1]

(١) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٣٨٤/٨، ٣٩٠ .

إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧)

قول ابن جرير ': (١)

وقوله: {وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ': وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أُريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: عُني بها جميع العالم المؤمن والكافر. ذكر من قال ذلك:

وبسنده إلى سعيد بن جُبير عن ابن عباس في قول الله في كتابه:{ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} قال: من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِيَ مما أصاب الأمم من الخَسْف والقذف.

وبسنده إلى ابن عباس في قوله:{ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}قال: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عُوفِيَ مما أصاب الأمم قبل.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر. ذكر من قال ذلك:

وبسنده إلى ابن زيد قال، في قوله: وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قال: العالمون: من آمن به وصدّقه. قال: {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إلى حِينٍ} قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين. والعالَمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ' رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما

(١) جامع البيان ج١٧ ص١١٥،١١٦

كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان يتزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله. (١)

(١) قد تابع ابن جرير ، جمع من المفسرين كالبغوي والقرطبي وابن الجوزي وابن كثير رحمهم الله ولكن صحة الأثر إلى ابن عباس ﷺ فيه نظر – و ان كان معناه صحيح وتؤديه النصوص والادلة العامة – كما حققه الاخ الفاضل عبد الله زقيل أكرمه الله في هذه الإجابة علي سؤال إليك نصها(السؤال :
قرأت في تفسير عماد الدين أبي الفداء الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير عليه رحمات الله عند تفسير قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) في سورة الأنبياء الآية ١٠٧ قوله : (... فإن قيل : فأي رحمة حصلت لمن كفر به؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس في قوله : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. قال : من آمن بالله واليوم الآخر، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف. الطبري ٥٥٢/١٨) فما تعليقك على ذلك ؟
الجواب : ما نقلتَه من كلام ابن كثير فالجواب عليه ما يلي :
أولاً : بعد الرجوع إلى سند الرواية عن ابن عباس في " تفسير ابن جرير " فهي كما يلي :
١ – حَدَّثَنِي إِسْحَاق بْن شَاهِين ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاق بْن يُوسُف الْأَزْرَق ، عَنْ الْمَسْعُودِيّ ، عَنْ رَجُل يُقَال لَهُ سَعِيد ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر ، عَنْ اِبْن عَبَّاس ، فِي قَوْل اللَّه فِي كِتَابه : " وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ " قَالَ : مَنْ آمَنَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر كَتَبَ لَهُ الرَّحْمَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاَللَّهِ وَرَسُوله عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَم مِنْ الْخَسْف وَالْقَذْف .
٢ – حَدَّثَنَا الْقَاسِم ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْن ، قَالَ : ثنا عِيسَى بْن يُونُس ، عَنْ الْمَسْعُودِيّ ، عَنْ أَبِي سَعِيد ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر به .
٣ – وقال ابن كثير في " تفسيره " : وَهَكَذَا رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث الْمَسْعُودِيّ عَنْ أَبِي سَعْد وَهُوَ سَعِيد بْن الْمَرْزُبَان الْبَقَّال عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ .
فكما ترى أن المسعودي – وهو متكلم فيه من جهة حفظه فقد اختلط – مرة يقول : عَنْ رَجُل يُقَال لَهُ سَعِيد . ومرة : عَنْ أَبِي سَعِيد . ثم بين ابن كثير كما في رواية ابن أبي حاتم من هو هذا الرجل بقوله : عَنْ أَبِي سَعْد وَهُوَ سَعِيد بْن الْمَرْزُبَان الْبَقَّال . وسَعِيد بْن الْمَرْزُبَان الْبَقَّال ضعفه العقيلي ، وابن الجوزي ، والدارقطني ، والذهبي ، وابن حجر ، ولا عبرة بمن وثقه . فالسند إلى ابن عباس معلول في هذه الروايةِ .
وقال ابن كثير أيضا : وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَبْدَان بْن أَحْمَد عَنْ عِيسَى بْن يُونُس الرَّمْلِيّ عَنْ أَيُّوب بْن سُوَيْد عَنْ الْمَسْعُودِيّ عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس " وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ" قَالَ مَنْ تَبِعَهُ كَانَ لَهُ رَحْمَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَمَنْ لَمْ يَتْبَعهُ عُوفِيَ مِمَّا كَانَ يُبْتَلَى بِهِ سَائِر الْأُمَم مِنْ الْخَسْف وَالْمَسْخ وَالْقَذْف .
قال الهيثمي في " المجمع " (١٧٠/٧) : رواه الطبراني وفيه أيوب بن سويد ، وهو ضعيف جداً ، وقد وثقه ابن حبان بشروط فيمن يروي عنه وقال : إنه كثير الخطأ . والمسعودي قد اختلط .ا.هـ.
الخلاصة : أن الأثر لا يثبت عن ابن عباس ﷺ.
ثانيا : وأما ما قاله أهل العلم في تفسير هذه الآية : { وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء : ١٠٧] ، فقد

قول القاضي عياض ':

و قال الله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

قال أبو بكر بن طاهر : زين الله تعالى محمدا ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه رحمة و جميع شمائله و صفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه و الواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله يقول : { و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } فكانت حياته رحمة و مماته رحمة كما قال À: ((حياتي خير لكم و موتي خير لكـــم(١)) وكما قالﷺ ((إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا و سلفا (٢)) و قال السمرقندي : رحمة للعالمين : يعني للجن و الإنس

و قيل : لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية و رحمة للمنافق بالأمان من القتل و رحمة للكافر بتأخير العذاب

قال ابن عباس ù : هو رحمة للمؤمنين و للكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم مـــن الأمـــم المكذبة))(٣).

بينوا أن الآيات الأخرى بينت المقصود من الرحمة بالنسبة للكافر ، وكذلك سنة المصطفى ﷺ

فالأمم السابقة كان يحل بها العذاب بمجرد التكذيب والآيات في ذلك كثيرة منها :

قال تعالى في شأن نوح : { فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ } [الأعراف : ٦٤] . وقال تعالى في شأن هو :{ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ٧٢] . والآيات كثيرة .

وأما من السنة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً . رواه مسلم . وهذه الرحمة هي للمؤمن ، والمنافق ، والكافر .

قال القاضي عياض في " الشفا " (٩١/١) : " للمؤمن رحمة بالهداية ، وللمنافق رحمة بالأمان من القتل ، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب " .ا.هـــ. وقال أبو نعيم في " دلائل النبوة " : فأمن أعداؤه من العذاب مدة حياته عليه السلام فيهم ، وذلك قوله تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ " [الأنفال : ٣٣] ، قلم يعذبهم مع استعجالهم إياه تحقيقا لما نعته به .ا.هـــ.

(١) حديث ضعيف السلسلة الضعيفة برقم ٩٧٥.

(٢) رواه مسلم .

(٣) الشفا جـــ١ صـــ٢٠.

قول ابن القيم ': (١)

وأصح القولين في قوله تعالى{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}(٢) أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان :

أحدهما :أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة وأما أعداؤه فالمحاربون له عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره وأما الأمم النائية عنه فإن الله ﷻ رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

الوجه الثاني : أنه رحمة لكل أحد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض ومما يحمد عليه ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فإن من نظر في أخلاقه وشيمه علم إنها خير أخلاق الخلق وأكرم شمائل الخلق فإنه كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا وأحلمهم وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا وأعظمهم عفوا ومغفرة وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ù أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله وأفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد

(١) جلاء الأفهام ص ١١٢:١١٣

(٢) الأنبياء:١٠٧

وأصبرهم في مواطن الصبر وأصدقهم في مواطن اللقاء وأوفاهم بالعهد والذمة وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا وأعظمهم إيثارا على نفسه وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل الخلق لرحمه فهو أحق بقول القائل :

برد على الأدنى ومرحمة وعلى الأعادي مارن جلد

ابن كثير' :(١)

قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}

يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ' رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والاَخرة ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والاَخرة كما قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)} (إبراهيم٢٨/٢٩) وقال تعالى في صفة القرآن: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}(فصلت: من الآية٤٤) وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل يارسول الله ادع على المشركين. قال «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة» انفرد بإخراجه مسلم. وفي الحديث الاَخر «إنما أنا رحمة مهداة» رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره روي الحاكم بسنده الي أبي هريرة قال: قال رسول الله ': «إنما أنا رحمة مهداة» ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد، عن رجل عن ابن عمر قال: قال رسول الله ': ((إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين))

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال: كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله '، فجاء

(١) التفسيرج٥ص٣٩٤:٣٩٧ وعمدة التفسير ج٢ ص ٥٠٧ بتصريف

حذيفة إلى سلمان، فقال سلمان: يا حذيفة إن رسول الله ' خطب فقال: «أيما رجل من أمتي سببته في غضبي أو لعنته لعنة، فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون، إنما بعثني الله رحمة للعالمين فأجعلها صلاة عليه يوم القيامة»

قول الشوكاني ':(١)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين} (٢) أي وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والعلل: أي ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين. قيل ومعنى كونه رحمة للكفار: أنهم أمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال: وقيل المراد بالعالمين المؤمنون خاصة، والأول أولى بدليل قوله سبحانه:{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ }(لأنفال: من الآية٣٣).

قول الألوسي ' :

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين} (٣)

{وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ } بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك مما هو مناط لسعادة الدارين { إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ } استثناء من أعم العلل أي وما أرسلناك بما ذكر لعلة من العلل إلا لتراحم العالمين بإرسالك أو من أعم الأحوال أي وما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة أو ذا رحمة أو راحماً لهم ببيان ما أرسلت به، والظاهر أن المراد بالعالمين ما يشمل الكفار، ووجهه ذلك عليه أنه عليه الصلاة والسلام أرسل بما هو سبب لسعادة الدارين ومصلحة النشأتين إلا أن الكافر فوت على نفسه الانتفاع بذلك وأعرض لفساد استعداده عما هنالك، فلا يضر ذلك في كونه ' أرسل رحمة بالنسبة إليه أيضاً كما لا يضر في كون العين العذبة مثلاً نافعة عدم انتفاع الكسلان بها لكسله وهذا ظاهر خلافاً لمن ناقش فيه، ....ثم قال '، وقيل المراد بالعالمين جميع الخلق فإن العالم ما سوى الله تعالى وصفاته جل

(١) فتح القدير ج٣ ص٤٣٠
(٢) الانبياء:١٠٧
(٣) الانبياء:١٠٧

شأنه، وجمع جمع العقلاء تغليباً للأشرف على غيره؛ وفي مفتاح السعادة لابن القيم أنه لــولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة ولا عمل صالح ولا صلاح في معيشة ولا قوام لمملكة ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارب التي يعدو بعضها على بعض، وكل خير في العالم فمن آثار النبوة وكل شر وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها فالعالم جسد روحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه، ولهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة انشقت سماؤه وانتشرت كواكبــه وكورت شمسه وخسف قمره ونسفت جباله وزلزلت أرضه وأهلك من عليها فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة أهــ؛ وإذا سلم هذا علم منه بواسطة كونه ' أكمل النبيين وما جاء به أجل مما جاؤوا به عليهم السلام وإن لم يكن في الأصول اختلاف وجه كونه عليه الصلاة والسلام أرســـل رحمـــة للعـــالمين أيضـــاً لكـــن لا يخلـــو ذلـــك عـــن بعـــث.

قول علامة الشام القاسمي ' :(١)

قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَــالَمِينَ}

أي وما أرسلناك إلا بهذه الحنيفية والدين الفطري إلا حال كونك رحمة للخلق فإن ما بعثت به سبب سعادة الدارين، وجعله نفسه الرحمة ﷺ مبالغة جلية، وجوز كون الرحمة مفعولاً له أي للرحمة ، فهو نبي الرحمة .

تنبيه:

قال الرازي : إنه ﷺ كان رحمة في الدين والدنيا ، أما في الدين فلأنه بُعث والناس في جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم (٢) لطول مكثهم وانقطاع تــواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم ،فبعث الله تعالي محمداً ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب ، فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب وشرع لهم الأحكام، وميز الحلال من الحرام ، ثم انما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق ، فلا يركن إلى التقليد و لا

(١) محاسن التاؤيل ج١١ ص١٨٠

(٢) قال مقيده عفا الله عنه وعن والديه :هذا مصدقاً للحديث في صحيح الامام مسلم ' (إن الله نظر إلي أهل الأرض عربهم و عجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب)

إلى العناد و الاستكبار ، وكان التوفيق قريناً له ، قال تعالي{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ }(فصلت: من الآية٤٤) و أما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه).

العلامة محمد الطاهر بن عاشور ': (١)

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)

" إنما أنا رحمة مهداة " وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين:

الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة .

والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته .

فأما المظهر الأول: فقد قال فيه أبو بكر محمد بن طاهر القيسي الإشبيلي أحد تلاميذه أبي علي الغساني وممن أجاز لهم أبو الوليد الباجي من رجال القرن الخامس :

«زين الله محمداً ' بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله رحمة وصفاته رحمة على الخلق» اهـ . وذكره عنه عياض في «الشفاء» .

قلت : يعني أن محمداً ﷺ فُطر على خُلق الرحمة في جميع أحوال معاملته الأمة لتتكون مناسبة بين روحه الزكية وبين ما يلقى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجد ما يوحَى به إليه ملائماً رغبتَه وخلقه . قالت عائشة : «كان خلقُه القرآن» . ولهذا خصّ الله محمداً ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة و لم يصف به غيره من الأنبياء ، وكذلك في القرآن كله ، قال تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } [التوبة : ١٢٨] وقال تعالى : { فبما رحمة من الله لنت لهم } [آل عمران : ١٥٩] أي برحمة جبلَك عليها وفَطرك بها فكنت لهم لَيِّناً . وفي حديث مسلم : أن رسول الله لما شُجّ وجههُ يوم أُحد شقّ ذلك على أصحابه فقالوا : لو دعوت عليهم فقال : " إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثتُ رحمة " .

(١) التحرير والتنوير – (ج ٩ / ص ٢٢٠)

وأما المظهر الثاني: من مظاهر كونه رحمة للعالمين فهو مظهر تصاريف شريعته ، أي ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم لأن قوله تعالى { للعالمين } متعلق بقوله { رحمة } .

والتعريف في { العالمين } لاستغراق كل ما يصدق عليه اسم العالم . والعالَم : الصنف من أصناف ذوي العلم ، أي الإنسان ، أو النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة كما تقدم من احتمال المعنيين في قوله تعالى : { الحمد لله رب العالمين } [الفاتحة : ٢] . فإن أريد أصناف ذوي العلم فمعنى كون الشريعة المحمدية منحصرة في الرحمة أنها أوسع الشرائع رحمة بالناس فإن الشرائع السالفة وإن كانت مملوءة برحمة إلا أن الرحمة فيها غير عامة إمّا لأنها لا تتعلق بجميع أحوال المكلفين ، فالحنيفية شريعة إبراهيم عليه السلام كانت رحمة خاصة بحالة الشخص في نفسه وليس فيها تشريع عام ، وشريعة عيسى عليه السلام قريبة منها في ذلك؛ وإما لأنها قد تشتمل في غير القليل من أحكامها على شدّة اقتضتها حكمة الله في سياسة الأمم المشروعة هي لها مثل شريعة التوراة فإنها أوسع الشرائع السالفة لتعلقها بأكثر أحوال الأفراد والجماعات ، وهي رحمة كما وصفها الله بذلك في قوله تعالى { ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون } [الأنعام : ١٥٤] ، فإن كثيراً من عقوبات أمتها جعلت في فرض أعمال شاقة على الأمة بفروض شاقة مستمرة قال تعالى : { فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلّت لهم } وقال : فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم إلى آيات كثيرة .

لا جرم أن الله تعالى خصّ الشريعة الإسلامية بوصف الرحمة الكاملة . وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى فيما حكاه خطاباً منه لموسى عليه السلام: { ورَحمتي وسِعت كل شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي } [الأعراف : ١٥٦/١٥٧] الآية . ففي قوله تعالى : { وسعت كل شيء }إشارة إلى أن المراد رحمة هي عامة فامتازت شريعة الإسلام بأن الرحمة ملازمة للناس بها في سائر أحوالهم وأنها حاصلة بها لجميع الناس لا لأمة خاصة .

وحكمة تمييز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها لأن تُساس بالرحمة وأن تدفع عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية لا تُقام

المصالح بدونها ، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة وما في شريعة الإسلام من تمحّض الرحمة لم يجر في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة ، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها والأمة المتبعة لها بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم .

فأقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر . قال تعالى : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } [الحجّ : ٧٨] وقال تعالى : { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } [البقرة : ١٨٥] ، وقال النبي ﷺ" بُعثت بالحنيفية السمحة " . وما يتخيل من شدة في نحو القِصاص والحدود فإنما هو لمراعاة تعارض الرحمة والمشقة كما أشار إليه قوله تعالى : { ولكم في القصاص حياة } [البقرة : ١٧٩] فالقصاص والحدود شدة على الجناة ورحمة ببقية الناس .

وأما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنما نعني به رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة . ورحمته بهم عدمُ إكراههم على مفارقة أديانهم ، وإجراءُ العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة .

هذا وإن أريد بـ{ العالمين } في قوله تعالى: { إلا رحمة للعالمين } النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة فإن الشريعة تتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان إياه وانتفاعه به. إذ هو مخلوق لأجل الإنسان، قال تعالى: { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً } [البقرة : ٢٩] وقال تعالى : { والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم } [النحل : ٥٧] .

وقد أذنت الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما يُنتفع به من الحيوان و لم تأذن في غير ذلك . ولذلك كُره صيد اللهو وحرم تعذيب الحيوان لغير أكله ، وعدّ فقهاؤنا سباقَ الخيل رخصة للحاجة في الغزو ونحوه .

ورغبت الشريعة في رحمة الحيوان ففي حديث «الموطأ» عن أبي هريرة مرفوعاً : " أن الله غفر لرجل وجد كلباً يلهثُ من العطش فنزل في بئر فملأ خفّه ماء وأمسكه بفمه حتى رقِي فسقَى الكلب فغفر الله له " . أما المؤذي والمضرّ من الحيوان فقد أُذن في قتله وطرده لترجيح

رحمة الناس على رحمة البهائم. وهي تفاصيل الأحكام من هذا القبيل كثرة لا يعوز الفقيه تتبعها.

قول العلامة القرآني محمد الآمين الشنقيطي ':

قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النَّبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه. ومن خالف و لم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى.وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة التنازل. فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها. فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} . وقيل: كونه رحمة للكفار من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال(١). والأول أظهر(٢).

---

(١) وهذا ما ذكره الزمخشري في الكشاف.

(٢)قال مقيده عفا الله عنه وعن والديه:(ويصدق كلام الشيخ رحمه الله الحديث المتفق عليه عن أبي موسى ﷺ عن رسول الله ﷺ : (مثل ما ابتعثني الله به من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت من أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ،وأصاب منها طائفة أخري إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدي الله الذي أرسلت به) ـــــ وانظر رحمنا الله وإياك في قوله ﷺ (كمثل غيث) والغيث بنص القرآن والسنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ ـــ كما مر بنا في من معاني الرحمة في القرآن الكريم والسنة ـــ فحيّ المثل المضروب يفيض بالرحمة وفيه تشبيه(القلوب بالارض)و(العلم والهدي بالماء) فكما أن حياة الأرض بغيث الماء الذي هو حياة الحيوان والاشباح كذلك حياة القلوب بغيث الرحمة من الهدي.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أنه ما أرسله إلا رحمة للعالمين ـــ يدل على أنه جاء بالرحمة للخلق فيما تضمنه هذا القرآن العظيم. وهذا المعنى جاء موضحاً في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذلِـكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، وقوله: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْـكَ الْكِتَـابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}.

وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك في سورة «الكهف» في موضعين منها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة».

قول العلامة السعديّ ':

ثم أثنى على رسوله، الذي جاء بالقرآن فقال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَـالَمِينَ } فهـو رحمته المهداة لعباده، فالمؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقـاموا بهـا، وغيرهـم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفرا، وأبوا رحمة الله ونعمته.

صاحب الظلال الأستاذ /سيد قطب ':

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }

ولقد أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة ليأخذ بأيديهم إلى الهدى ، وما يهتدي إلا أولئـك المتهيئون المستعدون . وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين . .

إن المنهج الذي جاء مع محمد ﷺ منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لهـا في هذه الحياة .

ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي : جاءت كتاباً مفتوحـاً للعقول في مقبل الأجيال ، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبـدل ، مسـتعداً لتلبيـة الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر ، وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير .

ولقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجـددة . وتـرك للبشـرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة ، واستنباط وسائل

تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها ، دون اصطدام بأصول المنهج الدائم .وكفل للعقل البشري حرية العمل ، بكفالة حقه في التفكير ، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير . ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر ، كيما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض .

ولقد دلت تجارب البشرية حتى اللحظة على أن ذلك المنهج كان وما يزال سابقاً لخطوات البشرية في عمومه . قابلاً لأن تنمو الحياة في ظلاله بكل ارتباطاتها نمواً مطرداً . وهو يقودها دائماً ، ولا يتخلف عنها ، ولا يقعد بها ، ولا يشدها إلى الخلف ، لأنه سابق دائماً على خطواتها متسع دائماً لكامل خطواتها .

وهو في تلبيته لرغبة البشرية في النمو والتقدم لا يكبت طاقاتها في صورة من صور الكبت الفردي أو الجماعي، ولا يحرمها الاستمتاع بثمرات جهدها وطيبات الحياة التي تحققها .

وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق . لا يعذب الجسد ليسمو بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد . ولا يقيد طاقات الفرد ورغائبه الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة أو الدولة . ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة ، أو تسخرها لإمتاع فرد أو أفراد .

وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته ، ولمصلحته؛ وقد زود بالاستعدادات والمقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف ، وتجعلها محببة لديه مهما لقي من أجلها الآلام أحياناً لأنها تلبي رغيبة من رغائبه ، أو تصرف طاقة من طاقاته .

ولقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية ، لبعد ما كان بينها وبين واقع الحياة الواقعية والروحية من مسافة . ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ . فتزول غرابتها في حسها ، وتتبناها وتنفذها ولو تحت عنوانات أخرى .

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية الجغرافية . لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد . . وكان هذا غريباً على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك . والأشراف يعدون أنفسهم من طينة غير طينة العبيد . . ولكن ها هي ذي

البشرية في خلال نيف وثلاثة عشر قرناً تحاول أن تقفو خطى الإسلام ، فتتعثر في الطريق ، لأنها لا تهتدي بنور الإسلام الكامل . ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج ولو في الدعاوى والأقوال وإن كانت ما تزال أمم في أوربا وأمريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

ولقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون . في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات ، وتجعل لكل طبقة قانوناً . بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع . . فكان غريباً على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء .

ولكن ها هي ذي شيئاً فشيئاً تحاول أن تصل ولو نظرياً إلى شيء مما طبقة الإسلام عملياً منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمداً ' إنما أرسل رحمة للعالمين . من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء . فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة أو كارهة ، شاعرة أو غير شاعرة؛ وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة ، لمن يريد أن يستظل بها ، ويستروح فيها نسائم السماء الرخية ، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام .

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها . وهي قلقة حائرة ، شاردة في متاهات المادية ، وجحيم الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب . .

وبعد إبراز معنى الرحمة وتقريره يؤمر الرسول ' بأن يواجه المكذبين المستهزئين ، بخلاصة رسالته التي تنبع منها الرحمة للعالمين :

{ قل إنما يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إله واحد . فهل أنتم مسلمون؟ } .

فهذا هو عنصر الرحمة الأصيل في تلك الرسالة . عنصر التوحيد المطلق الذي ينقذ البشرية من أوهام الجاهلية ، ومن أثقال الوثنية ، ومن ضغط الوهم والخرافة . والذي يقيم الحياة على قاعدتها الركينة ، فيربطها بالوجود كله ، وفق نواميس واضحة وسنن ثابتة ، لا وفق أهواء ونزوات وشهوات . والذي يكفل لكل إنسان أن يقف مرفوع الرأس فلا تنحني الرؤوس إلا لله الواحد القهار .

هذا هو طريق الرحمة . . { فهل أنتم مسلمون؟ } .

وهذا هو السؤال الواحد الذي يكلف رسول الله ' أن يلقيه على المكذبين المستهزئين .

- في معنى اسمه ﷺ (نبي الرحمة)

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أن رسول ﷺ :

« أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِىُّ التَّوْبَةِ وَنَبِىُّ الرَّحْمَةِ »(١) .

قال ابن القيم ' (٢):

وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم و كافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار و أراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة .

وقال النووي ':(٣)

و أما نبي التوبة ونبي الرحمة ونبي المرحمة فمعناها متقارب و مقصودها انه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم قال الله تعالى {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }(الفتح: من الآية٢٩){وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}(البلد: من الآية١٧) والله أعلم.

وقال المناوي ' (٤):

(ونبي الرحمة) بميم أوله بخط المصنف أي الترفق والتحنن على المؤمنين والشفقة على عباد اللّه المسلمين فقد مرّ أن الرحمة ومثلها المرحمة إذ هما بمعنى واحد كما قاله القرطبي إفاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم وقد أعطي هو وأمته منها ما لم يعطه أحد من العالمين ويكفي {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

---

(١) صحيح الجامع ١٤٧٣ رواه أحمد ومسلم عن أبي موسى زاد (الطبراني) : (ونبي الملحمة) أي نبي الحرب وسمي به لحرصه على الجهاد ووجه كونه نبي الرحمة ونبي الحرب أن الله بعثه لهداية الخلق إلى الحق وأيده بمعجزات فمن أبى عذب بالقتال والاستئصال فهو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة وظاهر تخصيص المصنف الطبراني بهذه الزيادة أنها لا تعرف لأعلى منه والأمر بخلافه فقد خرجه أحمد عن حذيفة بلفظ ونبي الملاحم قال الزين العراقي وإسناده صحيح(أفاده المناوي).

(٢) زاد المعاد ج: ١ ص: ٩٥

(٣) شرح مسلم جـ ص

(٤) فيض القدير جـ٣ ص ٥٥.

- في معنى قوله ﷺ (إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم)(١)

(١) (فائدة): قال الرامهرمزي عقب الحديث :[و اتفقت ألفاظهم (يعني : الرواة عن أبي الخطاب) في ضم الميم من قوله :(مُهداة) إلا أن البرتي قال :(مِهداة) بكسر الميم ، من الهداية ، وكان ضابطاً فهماً متفوقاً في الفقه واللغة، والذي قاله أجود في الاعتبار ، لأنه بُعث هادياً كما قال ﷻ (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: من الآية٥٢) وكما قال ﷻ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ)(النحل: من الآية٤٤) و (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)(١).

قال المناوي ' (٢):

(إنما أنا رحمة) أي ذو رحمة أو مبالغ في الرحمة حتى كأني عينها لأن الرحمة ما يترتب عليه النفع ونحوه وذاته كذلك وإذا كانت ذاته رحمة فصفاته التابعة لذاته كذلك مهداة بضم الميم أي ما أنا إلا ذو رحمة للعالمين أهداها الله إليهم فمن قبل هديته أفلح ونجا ومن أبى خاب وخسر وذلك لأنه الواسطة لكل فيض فمن خالف فعذابه من نفسه كعين انفجرت فانتفع قوم وأهمل قوم فهي رحمة لها ولا يشكل على الحصر وقوع الغضب منه كثيرا لأن الغضب لم يقصد من بعثه بل القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية بل في حكم العدم فانحصر فيها مبالغة أو المعنى أنه رحمة على الكل لا غضب على الكل أو أنه رحمة في الجملة فلا ينافي الغضب في الجملة أنه رحمة في الجملة ويكفي في المطلب إثبات الرحمة.

إِلَى النُّورِ)(إبراهيم: من الآية١)وأشباه ذلك ، ومن رواه بضم الميم ، إنما أراد أن الله أهداه إلى الناس ،وهو قريب](أفاده الشيخ الألباني م١ جـ٢ ص٨٨٥)

(١) المستدرك حـ١٠٠ جـ١وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبول ، وهو فىالمصنف مرسلاً، مسند الشهاب، البيهقي فى شعب الإيمان ، الدارمي فى سننه ، وصححه الالباني في صحيحته برقم ٤٩٠ ، و صحيح الجامع برقم ٢٣٤٥ (ابن سعد والحكيم) وقال المناوي: ابن سعد في الطبقات والحكيم في النوادر عن أبي صالح مرسلا أبو صالح في التابعين كثير فكان ينبغي تمييزه ك في الإيمان عنه أي عن أبي صالح عن أبي هريرة يرفعه قال الحاكم على شرطهما وتفرد الثقة مقبول انتهى تركها عليه الذهبي.

(٢) فيض القدير جـ٢ ص ٧٠٩:٧١٠ .

١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالملائكة عليهم السلام

قد يُدهش البعض من هذا العنوان ، لأن الملائكة عليهم السلام تلكم المخلوقات العلوية النورانية التي اصطفاها الله ﷻ بسمائه وجعل منهم الملأ الأعلى السامق هل يحتاجون إلى رحمة رسول الله ﷺ ؟!

وهل هم داخلون فى عموم قوله ﷻ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }؟!وإليك ما ذكره الآلوسي ' في هذه المسألة فى تفسيره :

((وهل يراد بالعالمين ما يشمل الملائكة عليهم السلام أيضاً ؟

فيه خلاف مبني على الخلاف في عموم بعثته ﷺ لهم ، فإذا قلنا بالعموم كما رجحه من الشافعية البارزي وتقي الدين السبكي والجلال المحلي في خصائصه ، ومن الحنابلة ابن تيمية وابن حامد وابن مفلح في كتاب الفروع ، ومن المالكية عبد الحق .

قلنا بشمول العالمين لهم هنا وكونه ﷺ أرسل رحمة بالنسبة إليهم لأنه جاء عليه الصلاة والسلام أيضاً بما فيه تكليفهم من الأوامر والنواهي وإن لم نعلم ما هنا ، ولا شك أن في امتثال المكلف ما كلف به نفعاً له وسعادة .

وإن قلنا بعدم العموم كما جزم به الحليمي والبيهقي والجلال المحلى في «شرح جمع الجوامع» وزين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح من الشافعية ومحمود بن حمزة في كتابه العجائب والغرائب من الحنفية بل نقل البرهان النسفي والفخر الرازي في «تفسيريهما» الإجماع عليه وإن لم يسلم ، قلنا بعدم شموله لهم هنا وإرادة من عداهم منه ، وقيل : هم داخلون هنا في العموم وإن لم نقل ببعثته ﷺ إليهم لأنهم وقفوا بواسطة إرساله ﷺ على علوم جمة وأسرار عظيمة مما أودع في كتابه الذي فيه بناء(١) ما كان وما يكون عبارة وإشارة وأي سعادة أعظم من التحلي بزينة العلم؟

---

(١) لعله نبأ.

وكونهم عليهم السلام لا يُجْعَلون شيئاً مما لم يذهب إليه أحد من المسلمين(١).
وقيل : لأنهم أظهر من فضلهم على لسانه الشريف ما أظهر، وذُكِرَ أنها في حق الملائكة عليهم السلام الأمن من نحو ما ابتلى به هاروت وماروت ، وأيد بما ذكره صاحب الشفاء أن النبي ' قال لجبريل À: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى على في القرآن بقوله سبحانه { ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى العرش مَكِينٍ } [التكوير : ٢٠] وإذا صح هذا الحديث لزم القول بشمول العالمين للملائكة عليهم السلام إلا أن الجلال السيوطي ذكر في تزيين الأرائك أنه لم يوقف على إسناد (٢)، وقيل المراد بالعالمين جميع الخلق فإن العالم ما سوى الله تعالى وصفاته جل شأنه ، وجمع جمع العقلاء تغليباً للأشرف على غيره(٣))

والصحيح من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ أنه كما قال فيه ربه ﷻ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } وهم من أشرف العالمين عالم الملائكة الكرام عليهم السلام وهي رحمات كثير متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) لأنه أمر فاسد نقلًا وعقلًا.

(٢)وفى كشف الخفاء للعجلوني [جزء ٢ - صفحة ١٨٨٣] برقم : ٢٨٨٤ ((هل أصابك من هذه الرحمة شيء فقال نعم - المسؤول جبريل عليه السلام والسائل له نبينا محمد ﷺ)) هذا باطل لا أصل له كما نبه على ذلك جلال الدين السيوطي في كتابه المسمى بما رواه الخواص في تكذيب القصاص وعبارته في خطبته وقد استفتيت في هذه الأيام في رجل من القصاص يورد في مجلس ميعاده أحاديث ويعزوها إلى النبي ﷺ جازما بها ولا أصل لها عنه بل منها ما اشتهر في كتب بعض أرباب الفنون ولا أصل له عند المحدثين ومنها ما هو باطل مكذوب : ((من ذلك أنه روى أن النبي ﷺ قال لجبريل حين نزل قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم خلق الله قبلي ألوفا من الملائكة كلهم سمي جبريل ويقول تعالى لكل منهم من أنا فلا يعرف الجواب فيذوب فلما خلقني وقال لي من أنا قال لي نورك يا محمد قل أنت الله الذي لا إله إلا أنت - إلى آخره)). قال هو من الكذب المفترى على رسول الله ﷺ ولا تجوز حكايته إلا لبيان أنه مفترى أستغفر الله من ذلك انتهى.

(٣)الآلوسي (روح المعاني - (ج ١٢ / ص ٤٨٦) .

- ذكر أحوالهم ومقاماتهم الشريفة في الكتاب المترل عليه ﷺ وعلى لسانه الشريف ﷺ (١) ، بل إن هناك سور من القرآن سميت بأسمائهم وأحوالهم كسورة الصافات {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)} [الصافات/١-٣]{ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) }[الصافات/١٦٤-١٦٦]وسورة الملائكة (سورة فاطر){ بسم الله الرحمن الرحيم الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [فاطر/١] ، والأحاديث كثيرة فى هذا الباب منها عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ))(٢) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ' : ((قَالَ إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا { فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا }لِلَّذِي قَالَ{ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }(٣)).

---

(١)منتزعة من كلام الآلوسي ' السابق ، قال مقيده عفا الله عنه وعن والديه :وهنا تنبيه من روايات الأباطيل ونسبتها إلى الملائكة فمما عمت به البلوى الأحاديث الباطلة والموضوعة على (الملكين هاروت وماروت)فمنها (إن آدم (ص) لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض قالت الملائكة أي رب { أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما الأرض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لاوالله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا والله لانشرك بالله فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها قالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا والله لانقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر فسألاها نفسها قالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئاً مما أبيتما علي إلا قد فعلتما حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا)قال الألباني باطل السلسلة الضعيفة والموضوعة برقم ١٧٠جـ١ وأنظر أيضا من رقم (٩١٠:٩١٣)جـ ١١.

(٢) رواه الإمام أحمد و الترمذي وابن ماجة وقال الألباني حسن وخرجه فى الصحيحة برقم ١٧٢٢ ، وقال شعيب الأرناؤوط اسناده حسن لغيره.

(٣) رواه البخاري

- أنه ببعثته الشريفة ﷺ تغير حال أهل الأرض قال ﷺ ((وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (١)) ، قَوْله ' : (وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْل الْأَرْض فَمَقَتَهُمْ عَرَبهمْ وَعَجَمهمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْل الْكِتَاب) الْمَقْت : أَشَدّ الْبُغْض ، وَالْمُرَاد بِهَذَا الْمَقْت وَالنَّظَر مَا قَبْل بَعْثَة رَسُول اللَّه ' وَالْمُرَاد بِبَقَايَا أَهْل الْكِتَاب الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّك بِدِينِهِمْ الْحَقّ مِنْ غَيْر تَبْدِيل (٢). وهذا يسبب مقت أهل السماء ويؤذيهم ولكن لما أنعم الله ﷻ على أهل السماء بعثته ﷺ وأهل الأرض برسالته ﷺ ارتفع المقت شيئاً كبيرًا ، وخف الإيذاء عنهم كثيرًا لأنهم يتأذون أكثر ما يتأذون مما يُعصى به الله ﷻ فكيف الحال مع من يكفر به ﷻ قال ﷻ على لسانهم{ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}(البقرة: من الآية٣٠) .

- **تشريفهم ببعثته الشريفة ﷺ**

- **وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ**

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ ﷺ :وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ' فَقَالَ : ((مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ)) (٣)

فكان فضل الرسول ﷺ وصحابته è وواقعة يوم الفرقان سبب لفضل الملائكة فى السماء لحضورهم معه ﷺ ، فإنما تميزوا شرفًا بنصرتهم له ﷺ على سائر الملائكة فنالوا رحمة التشريف به ﷺ .

- **وقفوهم بواسطة إرساله ﷺ على علوم جمة وأسرار عظيمة ، وأي سعادة أعظم من التحلي بزينة العلم(١)؟**

---

(١) رواه مسلم

(٢) شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٤٧)

(٣) رواه البخاري

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ : ((أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ قَالَ فَقَالَ لَا أَدْرِي فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ Àقَالَ يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ قَالَ لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَانْطَلَقَ جِبْرِيلُ Àثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ فَقَالَ أَسْوَاقُهَا (٢))

عن ابن عمر ù: أن رجلا سأل النبي ' : أي البقاع شر ؟ قال : (لا أدري حتى أسأل جبريل) فسأل جبريل فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال : (خير البقاع المساجد وشرها الأسواق)(٣)

- مراعاة الأدب معهم عليهم السلام وعدم إيذائهم بما يكرهون من رائحة كريهة أو حال يكرهونه فضلًا عن غيره من انتهاك حرمة أو اقتراف ذنب أو خطيئة .
- **فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**

عَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ù : أَنَّ النَّبِيَّ ' قَالَ : ((مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ قَالَ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ (٤)) وَأَنَّ النَّبِيَّ ' أُتِيَ بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا فَسَأَلَ فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنْ الْبُقُولِ فَقَالَ قَرِّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ : كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي))(٥)

---

(١) منتزعة من كلام الآلوسي ' السابق.

(٢) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة و والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الألباني : حسن صحيح(صحيح الترغيب والترهيب[جزء ١ - صفحة ٧٨] برقم (٣٢٥) - ورواه مسلم مختصرًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَالَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا)))

(٣) صحيح ابن حبان [جزء ٤ - صفحة ٤٧٦] قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن

(٤)فتح الباري لابن حجر - (ج ٣ / ص ٢٦٣)

((وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَوَهَّمَ بَعْضهمْ أَنَّ أَكْل الثُّوم عُذْر فِي التَّخَلُّف عَنْ الْجَمَاعَة ، وَإِنَّمَا هُوَ عُقُوبَة لِآكِلِهِ عَلَى فِعْله إِذْ حُرِمَ فَضْل الْجَمَاعَة ا هـ))

(٥) متفق عليه وعَنْ ابْنِ وَهْبٍ أُتِيَ بِبَدْرٍ وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ يَعْنِي طَبَقًا فِيهِ خَضِرَاتٌ

قَوْلُهُ : (**كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**)
أَيْ الْمَلَائِكَة ، وَفِي حَدِيث أَبِي أَيُّوب عِنْد اِبْن خُزَيْمَةَ وَابْن حِبَّان مِنْ وَجْه آخَر " أَنَّ رَسُول اللَّه ' أُرْسِلَ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ مِنْ خَضِرَة فِيهِ بَصَل أَوْ كُرَّاث فَلَمْ يَرَ فِيهِ أَثَر رَسُول اللَّه ' فَأَبِي أَنْ يَأْكُل ، فَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَك ؟ قَالَ : لَمْ أَرَ أَثَر يَدك قَالَ : أَسْتَحِي مِنْ مَلَائِكَة اللَّه وَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ " وَلَهُمَا مِنْ حَدِيث أُمّ أَيُّوب قَالَتْ : نَزَلَ عَلَيْنَا رَسُول اللَّه ' فَتَكَلَّفْنَا لَهُ طَعَامًا فِيهِ بَعْض الْبُقُول ، فَذَكَرَ الْحَدِيث نَحْوه وَقَالَ فِيهِ " كُلُوا ، فَإِنِّي لَسْت كَأَحَدٍ مِنْكُمْ ، إِنِّي أَخَاف أُوذِيَ صَاحِبِي " (١).

- **وَكَانَ النَّبِيّ ' يُؤْتَى**

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ' نَزَلَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ' فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ قَالَ فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ' فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ' فَقَالَ النَّبِيُّ ' السُّفْلُ أَرْفَقُ فَقَالَ لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ' فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ' طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ' فَقِيلَ لَهُ لَمْ يَأْكُلْ فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ فَقَالَ أَحَرَامٌ هُوَ فَقَالَ النَّبِيُّ ' لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ قَالَ فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ أَوْ مَا كَرِهْتَ قَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ ' يُؤْتَى (٢)

- قَوْله : (وَكَانَ النَّبِيّ ' يُؤْتَى)
مَعْنَاهُ تَأْتِيه الْمَلَائِكَة وَالْوَحْي كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الْآخَر (إِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي وَأَنَّ الْمَلَائِكَة تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَم)
وَاخْتَلَفَ أَصْحَابنَا فِي حُكْم الثُّوم فِي حَقّه ' ، وَكَذَلِكَ الْبَصَل وَالْكُرَّاث وَنَحْوهَا ، فَقَالَ بَعْض أَصْحَابنَا : هِيَ مُحَرَّمَة عَلَيْهِ ، وَالْأَصَحّ عِنْدهمْ أَنَّهَا مَكْرُوهَة كَرَاهَة تَنْزِيه لَيْسَتْ مُحَرَّمَة

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ٣ / ص ٢٦٢)
(٢) رواه مسلم

لِعُمُومِ قَوْله ' : لَا فِي جَوَاب قَوْله أَحَرَام هُوَ ؟ وَمَنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ يَقُول : مَعْنَى الْحَدِيث لَيْسَ بِحَرَامٍ فِي حَقِّكُمْ . وَاَللَّه أَعْلَم (١).

- **فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ù عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ : ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ و قَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ))(٢)

عَنْ جَابِرٍ ù قَالَ : ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ' عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ فَغَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ فَأَكَلْنَا مِنْهَا فَقَالَ: مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسُ))(٣)

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ ' وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ .....ثم قَال : ((إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنْ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا))(٤)

- قَوْله (إِنَّ الْمَلَائِكَة لَتَتَأَذَّى)أَيْ فَيَنْبَغِي تَرْك هَذِهِ الْأَشْيَاء عَلَى الدَّوَام لِلِاحْتِرَازِ عَنْ أَذَاهُمْ(٥).

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَسَائِلِ الْوَرْعِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ' أَمَرَ الْجُنُبَ بِالْوُضُوءِ عِنْدَ النَّوْمِ وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ ذَلِكَ كَرَاهَةَ أَنْ تُقْبَضَ رُوحُهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَلَا تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ جِنَازَتَهُ فَإِنَّ فِي السُّنَنِ عَنْ النَّبِيِّ ' أَنَّهُ قَالَ ((لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جُنُبٌ)) وَهَذَا مُنَاسِبٌ لِنَهْيِهِ عَنْ اللُّبْثِ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ الْمَلَائِكَةِ كَمَا نَهَى النَّبِيُّ '

---

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٧ / ص ١١٩)

(٢) متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه مسلم وغيره

(٥) حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ٣٤٨)

مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَقَدْ قَالَ { إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ }(١).

- **الْمَلَكُ ..... يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو**

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : أُمِرْنَا بِالسِّوَاكِ وَقَالَ :« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ الْمَلَكُ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو ، فَلاَ يَزَالُ يَسْتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ ، فَلاَ يَقْرَأُ آيَةً إِلاَّ كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ »(٢) وفى رواية قال ﷺ ((إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه و لا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك))(٣)

- قَوْله (فليستك) أي يستعمل السواك (فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه) يحتمل أن المراد به كاتب الحسنات ويحتمل غيره (فلا يخرج من فيه) أي القارىء (شيء) من القرآن (إلا دخل فم الملك) لأن الملائكة لم يعطوا فضيلة التلاوة كما في خبر آخر وأنهم حريصون على استماع القرآن من البشر وفي إطلاقه القراءة في الصلاة إشارة إلى أن ذلك يكون في أي صلاة كانت فرضا أو نفلا : ليلا أو نهارا فذكره الليل أولا لكون

(١) نقله عنه ابن مفلح فى الآداب الشرعية - (ج ٣ / ص ٢٨٠) وهو فى مجموع الفتاوى [جزء ٢١ - صفحة ٣٠٨]

(٢) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة برقم ١٢١٣ " ٣ / ٢١٤ : رواه البيهقي في " السنن الكبرى " (١ / ٣٨) و الضياء في " المختارة " و ظاهره أنه موقوف و يحتمل أنه مرفوع و يؤيده الرواية الأخرى عنده من طريق شعبة عن الحسن بن عبيد الله به موقوفا و زاد في آخره : " قال : قلت هو عن النبي ﷺ ؟ قال : نعم إن شاء الله " . و أخرجه كذلك الأصبهاني في " الترغيب " (١٩٧/ ١) . و تابعه فضيل بن سليمان عن الحسن بن عبيد الله به بلفظ : عن علي ﷺ :" أنه أمرنا بالسواك ، و قال : قال النبي ’ : " إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه ، فسمع لقراءته ، فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه ، و ما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطهروا أفواهكم للقرآن " . أخرجه البزار في " مسنده " (ص ٦٠) و قال : " لا نعلمه عن علي بأحسن من هذا الإسناد ".

(٣) رواه البيهقي والضياء فى المختارة وتمام عن جابر ﷺ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٧٢٠ في صحيح الجامع انظر السلسلة الصحيحة١٢١٣ الحديث السابق .

التهجد إنما هو ليلا وهو يزيد على صلاة النهار بالنسبة للكمال فوجه الكلام نحو الغالب . وإلا فالنهار كذلك بدليل ما رواه محمد بن نصر عن الزهري مرسلا : إذا قام الرجل يتوضأ ليلا أو نهارا فأحسن الوضوء واستن ثم قام يصلي أطاف به الملك ودنا منه حتى يضع فاه على فيه فما يقرأ إلا فيه . وإذا لم يستن أطلق به و لم يضع فاه على فيه . ثم قضية الحديث أن تلقف الملك القراءة إنما يكون فيما وقع في الصلاة بخلافه خارجها وقد يوجه بأن الصلاة مظنة الفيوض الرحمانية فاجتماع شرف القرآن وشرف الصلاة يزيد دنو الأرواح القدسية . وفيه ندب الإكثار من القراءة سيما في الصلاة وبيان فضيلة قراءة القرآن والسواك وإن كان الإنسان نقي الأسنان قويم المزاج واعتناء الملأ الأعلى بذلك وحرصهم عليه(١).

- **وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ : ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا))(٢)

قَوْله : (**فَإِنَّ عَنْ يَمِينه مَلَكًا**)

تَقَدَّمَ أَنَّ ظَاهِره اِخْتِصَاصه بِحَالَةِ الصَّلَاة ، فَإِنْ قُلْنَا : الْمُرَاد بِالْمَلَكِ الْكَاتِب فَقَدْ اسْتَشْكَلَ اِخْتِصَاصه بِالْمَنْعِ مَعَ أَنَّ عَنْ يَسَاره مَلَكًا آخَر ، وَأُجِيبَ بِاحْتِمَالِ اِخْتِصَاص ذَلِكَ بِمَلَكِ الْيَمِين تَشْرِيفًا لَهُ وَتَكْرِيمًا ، هَكَذَا قَالَهُ جَمَاعَة مِنْ الْقُدَمَاء وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ . وَأَجَابَ بَعْض الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ الصَّلَاة أُمُّ الْحَسَنَات الْبَدَنِيَّة فَلَا دَخْل لِكَاتِبِ السَّيِّئَات فِيهَا ، وَيَشْهَد لَهُ مَا رَوَاهُ اِبْن أَبِي شَيْبَة مِنْ حَدِيث حُذَيْفَة مَوْقُوفًا فِي هَذَا الْحَدِيث قَالَ " وَلَا عَنْ يَمِينه ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينه كَاتِبَ الْحَسَنَات " . وَفِي الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي أُمَامَةَ فِي هَذَا الْحَدِيث " فَإِنَّهُ يَقُوم بَيْن يَدَيْ اللَّه وَمَلَكه عَنْ يَمِينه وَقَرِينه عَنْ يَسَاره " ا ه . فَالتَّفْل حِينَئِذٍ إِنَّمَا يَقَع عَلَى الْقَرِين

(١) المناوي فيض القدير [جزء ١ - صفحة ٤١٢]

(٢) رواه البخاري

وَهُوَ الشَّيْطَان ، وَلَعَلَّ مَلَك الْيَسَار حِينَئِذٍ يَكُون بِحَيْثُ لَا يُصِيبهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ أَنَّهُ يَتَحَوَّل فِي الصَّلَاة إِلَى الْيَمِين . وَاَللَّهُ أَعْلَم .

قَوْله : (**فَيَدْفِنهَا**)

قَالَ اِبْن أَبِي جَمْرَة : لَمْ يَقُلْ يُغَطِّيهَا ؛ لِأَنَّ التَّغْطِيَة يَسْتَمِرُّ الضَّرَر بِهَا إِذْ لَا يَأْمَن أَنْ يَجْلِس غَيْره عَلَيْهَا فَتُؤْذِيه ، بِخِلَافِ الدَّفْن فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ التَّعْمِيق فِي بَاطِن الْأَرْض ، وَقَالَ النَّوَوِيّ فِي الرِّيَاض : الْمُرَاد بِدَفْنِهَا مَا إِذَا كَانَ الْمَسْجِد تُرَابِيًّا أَوْ رَمْلِيًّا ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مُبَلَّطًا مَثَلًا فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مَثَلًا فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَفْنٍ بَلْ زِيَادَةٌ فِي التَّقْذِير . قُلْت : لَكِنْ إِذَا لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ أَلْبَتَّة فَلَا مَانِعَ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَل قَوْله فِي حَدِيث عَبْد اللَّه بْنِ الشِّخِّير الْمُتَقَدِّم " ثُمَّ دَلَكَهُ بِنَعْلِهِ " وَكَذَا قَوْله فِي حَدِيث طَارِق عِنْد أَبِي دَاوُدَ " وَبَزَقَ تَحْت رِجْله وَدَلَكَ " (١) .

- كل هذا من رحمته ﷺ بمراعاة الأدب معهم عليه السلام بترك ما يستقذر طبعًا أو خَلقًا ، فما بالك بالذي يستقذر ويستقبح شرعًا ونهيًا من الله ﷻ ، وقد مرَّ بك حسهم مع استشعار الذنب من بنى آدم فى قولهم { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}(البقرة: من الآية٣٠).

- إن رسول الله ﷺ فيما سبق من توجيهات وإرشادات نبه على الأقل والأخف فيدخل فيه من باب أولى ما هو فوقه من آثام ومعاصٍ لأن الإيذاء بها يكون أعظم وأشد ويوضح ذلك الإمام ابن القيم ، (٢) بقوله ((فان العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية حتى أنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة وفي بعض الآثار إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن ريحه فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه وقال بعض السلف: إذا ركب الذكرُ الذكرَ عجت الأرض إلى الله وهربت الملائكة إلى ربها وشكت إليه عظم ما رأت . وقال بعض السلف :إذا أصبح ابن آدم ابتدره الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره وحمده

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ٢ / ص ١٣٢)

(٢) الجواب الكافي صفحة ٧٤

وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وإن افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة فى حياته وعند موته وعند مبعثه قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ}[فصلت/٣٠، ٣١] وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق له وأنفعهم وأبرهم له فثبته وعلمه وقوي جنانه وأيده قال تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا} [الأنفال/١٢] ويقول الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وأبشر بالذي يسرك ويثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسألة فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته وعند موته وفي قبره ومؤنسه في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه في سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما جاء في الأثر الذي يروى مرفوعًا وموقوفًا (١): إن للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك أيعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان أيعاد بالشر وتكذيب بالحق.

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه وألقى على لسانه القول السديد وإذا أبعد منه وقرب الشيطان من العبد تكلم على لسانه قول الزور والفحش حتي يرى الرجل يتكلم على لسان الملك والرجل يتكلم على لسان الشيطان وفي الحديث إن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه (٢).

---

(١) المرفوع ضعيف رواه الترمذي وغيره وقال الألباني : ضعيف .وهو أشبه بالموقوف عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:((أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ، إِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ: صَدَقَ وَبَرَّ، وَلِلْكَاذِبِ: كَذَبَ وَفَجَرَ، أَلا وَإِنَّ لِلْمَلَكِ لَمَّةً، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ الْمَلَكِ إِيعَادٌ لِلْخَيْرِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ، فَمَنْ وَجَدَ لَمَّةَ الْمَلَكِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ لَمَّةَ الشَّيْطَانِ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ" [البقرة: ٢٦٨]، قَالَ: أَلا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدِثَارِهِ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلاةٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلائِكَتِهِ: مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَى مَا صَنَعَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَاءَ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا خَافَ، وَرَجُلٍ كَانَ فِي فِئَةٍ فَعَلِمَ مَا لَهُ فِي الْفِرَارِ، وَعَلِمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَيَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ: مَا حَمَلَ.....الأثر))رواه الطبراني فى الكبير والبزار.

(٢) إشارة إلى ما رواه الإمام أحمد عَنْ وَهْبٍ السُّوَائِيِّ قَالَخَطَبَنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ مَنْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ

وكان أحدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح فيقول: ما ألقاها على لسانك الا الملك ويسمع ضدها فيقول ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان فالملك يلقى في القلب الحق ويلقيه على اللسان والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان .

فمن عقوبة المعاصي أنها تبعد من العبد وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته وتدني منه عدوه الذي شقاءه وهلاكه وفساده في قربه وموالاته حتى أن الملك لينافح عن العبد ويرد عنه إذا سفه عليه السفيه وسبه كما اختصم بين يدي النبي رجلان فجعل أحدهما يسب الآخر وهو ساكت فتكلم بكلمة يرد بها على صاحبه فقام النبي فقال يا رسول الله لما رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم أكن لأجلس (١).

وإذا دعي العبد المسلم في ظهر الغيب لأخيه أَمّنَ الملك على دعائه (٢).

فإذا أذنب العبد الموحد المتبع سبيله رسوله استغفر له حملة العرش ومن حوله(٣).

وإذا نام العبد المؤمن بات في شعاره ملك(٤) فملك المؤمن يرد عليه ويحارب ويدافع عنه ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به أن ينسى جواره ويبالغ فى أذاه وطرده عنه وإبعاده فانه

نَبِيِّهَا فَقُلْتُ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَا خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مسند أحمد - (ج ٢ / ص ٢٩٩) وقال الأرناؤوط اسناده قوي.

(١)إشارة إلى حديث أبي هريرة ﷺ قال: ((استطال رجل على أبي بكر الصديق ﷺ و رسول الله ﷺ جالس و أبو بكر ساكت فلما أكثر انتصر أبو بكر فقام رسول الله ﷺ فاتبعه أبو بكر يا رسول الله استطال علي و أنت ساكت فلما انتصرت قمت فقال يا أبا بكر إنك ما سكن كان الملك يرد عليه فلما انتصرت ارتفع الملك و حضر الشيطان فلم أكن لأجالس الشيطان : يا أبا بكر ثلاث اعلم أنهن حق : ما عفا أمرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا و ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة يبتغي بها وجه كثرة إلا زاده الله بها فقرا و ما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة)) ورواه الليث عن سعيد المقبري من بشر بن محرز عن سعيد بن المسيب أن رجلا سب أبا بكر فسكت ثم انتصر فقام النبي صلى الله عليه و سلم قال البخاري هذا أصح و هو مرسل.

(٢)إشارة إلى حديث أبى الدرداء ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »رواه مسلم

(٣) إشارة إلى قوله ﷻ {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }(غافر:٧)

(٤) إشارة إلى حديث ابْنِ عُمَرَ ù ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ':طَهِّرُوا هَذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ ، مَا مِنْ عَبْدٍ بَاتَ

ضيفه وجاره وإذا كان إكرام الضيف من الآدميين والإحسان إلى الجار من لـــزوم الإيمـــان وموجباته فما الظن بإكرام أكرم الأضياف وخير الجيران وأبرهم .

وإذا أذى العبد الملك بأنواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه وقـــال لا جـــزاك الله خيرا كما يدعوا له إذا أكرمه بالطاعة والإحسان قال بعض الصحابة è إن معكـــم مـــن لا يفارقكم فاستحيوا منهم وأكرموهم والأم ممن لايستحيي من الكريم العظيم القادر ولا يكرمه ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعني بقوله {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الإنفطار/١٠-١٢] أى استحيوا من هـــؤلاء الحـــافظين الكرام وأكرموهم وأجلوهم أن يروا منكم ما تستيحون أن يريكم عليه مـــن هـــو مـــثلكم والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم وإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصى بين يديه وان كان قد يعمل مثله عمله فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين والله المستعان.

طَاهِرًا إِلا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ كُلَّمَا تَقَلَّبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ كَمَا بَاتَ طَاهِرًا. رواه ابن والطبراني فى الكبير والأوسط وحسنه الألباني والأرناؤوط.

٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

ربما يكون هذا العنوان كسابقه فى الدهشة والغرابة! ، ربُ قائل يقول أليس الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أيضًا رحمة فى هديهم وسمتهم ورسالتهم ،بل قد نطق القرآن بذلك فعلى لسان نوح عليه السلام {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود:٢٨) ،وعلى لسان صالح عليه السلام {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} (هود:٦٣) وعن المسيح عليه السلام كما قال جبريل عليه السلام {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً} (مريم:٢١) .

ولكن كما قلنا سابقًا أن عموم قوله ﷻ{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧) }[الأنبياء/١٠٧]، وهم عليهم صلوات الله وسلامه من العالمين فيشملهم من الرحمة المهداة نصيب ، ولأن نبع الرسالات واحد، وأصلها ثابت ، ولأنها إلهية المصدر فقد أخذ الله ﷻ عليهم الميثاق بالإيمان به ﷺ ونصرته وإتباعه {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (آل عمران:٨١).

بل قد تغير وجهه الشريف ﷺ لما رأى مع أحد أصحابه ورقة من التوراة فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ù أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَتَى النَّبِىَّ ’ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِىِّ ’ فَغَضِبَ وَقَالَ « أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَىْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِى

نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي »(١) .

- **رحمته ﷺ بهم فى تصحيح عقائد الأمم نحوهم عليهم السلام**

فاليهود مثلًا عقيدتهم فى النبوة تحمل الكثير من الانتقاص لمقام النبوة ومن يطلع على شيء من كتبهم ، التي يدعونها مقدسة وما هي من التقديس في شيء !،فقد فنسبوا إلى الذات الإلهية ما نسبوا من كذب وتخليط فى حق الله ﷻ (٢)، فما بالك بالأنبياء والرسل عليهم السلام فهل يسلمون من ألسنتهم ؟!بل حدّث ولا حرج :

- فنوح عليه السلام نسبوا إليه شرب الخمر كما فى سفر التكوين الإصحاح ٩

«٢٠ وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١ وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. ٢٢ فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. ٢٣ فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. ٢٤ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، ٢٥ فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». ٢٦ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. ٢٧ لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ»).

---

(١) رواه أحمد و أخرجه الدارمي (١ / ١١٥) وابن أبي عاصم في " السنة " (٥ / ٢) وابن عبد البر في " جامع بيان العلم "وحسنه الألباني فى الإرواء برقم مصنف ابن أبي شيبة (ج ٦ / ص ٢٢٨) تهوك : كان على غير استقامة أي دخل في الامر متهورا وبلا مبالاة أي هل كان إسلامنا تهورا وخطأ وسقوطا في هودة الردى ؟ بيضاة نقية : أي دعوة عدل.صافية من الشوائب والتحريفات التي رفع فيها أهل الكتاب.١٥٨٩.

(٢)كما قال ﷻ {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (آل عمران:١٨١) وقال ﷻ عنهم{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (المائدة:٦٤)وقال ﷻ{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} (قّ:٣٨) ، هذا ما ذكره الله ﷻ عنهم أما ذكروه هم فى كتبهم المحرفة فهو فوق ذلك بكثير فمن أطلع على سفههم يعرف حقيقة ذلك نسبوا إليه الجهل- والتعب-والحزن- بل ظل يبكى لما عصى آدم حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة- وضيّافه إبراهيم وصرعه يعقوب وما تركه حتى حظى بلقب مصارع الرب هذا إلى آخر إفكهم وكذبهم عليه ﷻ وصدق ﷻ إذ يقول { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}(النساء: من الآية٤٦).

- نوح عليه السلام رسول من أولى العزم من الرسل الذين أخذ الله عز وجل عليهم الميثاق فقد قال عز وجل {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (الأحزاب:٧))شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى:١٣) بل أثنى الله عز وجل عليه فى قوله عز وجل{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران:٣٣)وقوله عز وجل{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً}(مريم:٥٨)ولما عاتبه فى ابنه كان عتاب المحبين فى قوله عز وجل {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)}[هود٤٥ - ٤٨]

- ولوط عليه السلام نسبوا إليه شرب الخمر ومواقعة بناته المكرمات الطاهرات كما فى سفر التكوين الإصحاح ١٩

٣٠ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ٣١ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. ٣٢ هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ٣٣ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. ٣٤ وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا

نَسْلاً». [٣٥] فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، [٣٦] فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. [٣٧] فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. [٣٨] وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.

– أما القرآن فقد أوضح مقام لوط عليه السلام فى قوله ﷻ {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)}[هود/٧٧-٨٣]

وفي قوله : { هؤلاء بناتي } قولان :

أحدهما : أنهن بناته لصلبه ، قاله ابن عباس . فإن قيل : كيف جمع ، وقد كن اثنتين؟ فالجواب : أنه قد يقع الجمع على اثنين كقوله:{ وكنا لحكمهم شاهدين }[الأنبياء ٧٨] .

والثاني : أنه عنى نساء أمته ، لأن كل نبي أبو أمته ، والمعنى : أنه عرض عليهم التزويج ، أو أمرهم أن يكتفوا بنسائهم ،وهذا مذهب مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج .

فإن قيل : كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته ، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ ، قاله الحسن .

والثاني : أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم ، قاله الزجاج ، ويؤكده أن عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح ، فجاز أن يقف على شرط آخر .

قوله تعالى : { هن أطهر لكم } قال مقاتل : هن أحل من إتيان الرجال .قوله تعالى : { فاتقوا الله } فيه قولان :أحدهما : اتقوا عقوبته . والثاني : اتقوا معصيته (١).

- وموسى عليه السلام لم يسلم من أذاهم بل هو باعترافهم لم يقم فيهم نبيًا مثله مع ذلك قالوا فيه ما قالوا قال عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)}[الأحزاب/٦٩-٧١] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }(٢))

- وهارون عليه السلام نسبوا إليه الكفر- عياذاً بالله- بل جعلوه كاهن العجل وهو المعصوم عليه السلام كما سفر الخروج الإصحاح ٣٢

[١] وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». [٢] فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». [٣] فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. [٤] فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ

(١) زاد المسير - (ج ٣ / ص ٣٦٤)

(٢) متفق عليه.

آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ٥ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَـهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ٦ فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

- هارون عليه السلام ذلكم النبي الكريم والرسول النبيل الذي تحمل مع أخيه موسى عليه السلام ما تحمل فى الله ﷻ ومع ذلك ينسبون إليه هذه التهمة النكراء كما سبق فى نقلنا عنهم ولكن العرض القرآني كان مفصلًا من بداية الحدث ووقوعه ونهايته شتان بين الرواية القرآنية وبين الروايـة المكذوبة المذكورة فى توراتهم المحرفة {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْـدِكَ وَأَضَـلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُـمْ وَعْـدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَـأَخْلَفْتُمْ مَوْعِـدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَـذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَـالَ لَهُـمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَـالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَـامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَـوَّلَتْ لِـي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَـهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)} [طه/٨٣-٩٨]

- ونسبوا إلى سليمان عليه السلام الشرك - عياذاً بالله- كما فى سفر الملوك الأول الإصحاح ١١

[١] وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ [٢] مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. [٣] وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. [٤] وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. [٥] فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. [٦] وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. [٧] حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. [٨] وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. [٩] فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، [١٠] وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. [١١] فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. [١٢] إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. [١٣] عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا».

– سليمان عليه السلام أحد ملوك التوحيد فى الكون الذين ملكوا الدنيا لإصلاحها كما ذكر القرآن الكريم عنه ذلك فى سورة النمل {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢).....إلى قوله ﷻ { قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)}[النمل/١٥-٤٤]

وبرأه الله مما قالوا وأخبر أن ما يتبعونه إنما أقاويل الشياطين{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٠٢)

- **مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**

قال ﷻ{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٠١) قال ﷻ{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}(آل عمران:٣) و قال ﷻ{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (المائدة:٤٨) وقال ﷻ{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الصف:٦)

و عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ قَالَ « إِنَّ مَثَلِى وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِى كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ »(١)

- **ذكر فضائلهم صلوات الله عليهم وسلامه**

عَبْدَ اللَّهِ ــ قَالَ: قَسَمَ النَّبِىُّ ’ قَسْمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ . فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ’ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِىَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » (٢).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ù أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ مَرَّ بِوَادِى الأَزْرَقِ فَقَالَ « أَىُّ وَادٍ هَذَا ». فَقَالُوا هَذَا وَادِى الأَزْرَقِ. قَالَ « كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى - À- هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ ». ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى. فَقَالَ « أَىُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ». قَالُوا ثَنِيَّةُ هَرْشَى قَالَ « كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى À عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّى ». قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِى حَدِيثِهِ قَالَ هُشَيْمٌ يَعْنِى لِيفًا.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ù عَنِ النَّبِىِّ ’ قَالَ « لاَ يَنْبَغِى لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى »(٣).

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ' يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) وفي رواية((فَهُوَ يَنْضِحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ))(١)

قَوْله : (وَهُوَ يَنْضِح الدَّم عَنْ جَبينه)هُوَ بِكَسْرِ الضَّاد ، أَيْ : يَغْسِلهُ وَيُزِيلهُ .

فِيهِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ مِنْ الْحِلْم وَالتَّصَبُّر ، وَالْعَفْو وَالشَّفَقَة عَلَى قَوْمهمْ ، وَدُعَائِهِمْ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَالْغُفْرَان ، وَعُذْرهمْ فِي جِنَايَتهمْ عَلَى أَنْفُسهمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَهَذَا النَّبِيّ الْمُشَار إِلَيْهِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا ' مِثْل هَذَا يَوْم أُحُد(٢).

- **قال ﷻ{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً}** (النساء:٤١) :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ . فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ لاَ ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ . فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ ' وَأُمَّتُهُ ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، وَهْوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ »((فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ قَالَ ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ)) (٣) .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ قَالَ فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ(٤) وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا

---

(١) متفق عليه

(٢) شرح النووي على مسلم - (ج ٦ / ص ٢٤٩)

(٣) رواه البخاري والزيادة لأحمد

(٤) قال مقيده عفا الله عنه وعن والديه : أما ما يُنْسب إليه ﷺ من التوسل برسول ﷺ فهذا لا يصح عنه ((لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا و لم أخلقه قال يا رب لما

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى إِبْـــرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَـــا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا قَالَ فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ قَالَ أَنَسٌ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' قَالَ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّـــةِ فَأُقَعْقِعُهَا فَيُقَالُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنْ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَقُلْ يُسْـــمَعْ لِقَوْلِكَ وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا }(١))

خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك))قال العلامة الألباني (موضوع) السلسلة الضعيفة والموضوعة[جزء ١ - صفحة ٨٨](برقم ٢٥) وانظر(التوسل أحكامه وأنواعه) له '.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني وراه أحمد عن ابن عباس باسناد حسنه شعيب الأرنـــؤوط : حســـن لغـــيره دون قول عيسى عليه السلام " ابى اتخذت الها من دون الله " فإنه مخالف لما في الصحيح من أن عيسى لم يذكر ذنبـــا ثم إن هذا لا يعد له ذنبا . وإسناد هذا الحديث ضعيف لضعف علي بن زيد - وهو ابن جدعان.

٣) ذكر طرف من رحمته ﷺ بأصحابه ﷺ .

قال تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:١٥٩) .

يقول العلامة السعدي ' (١):

أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

{ ولو كنت فظا } أي: سيئ الخلق { غليظ القلب } أي: قاسيه، { لانفضوا من حولك } لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

---

(١)تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٥٤)

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الإقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ’، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه ’، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

{ وشاورهم في الأمر } أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله -’- وهو أكمل الناس عقلا وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا-: { وشاورهم في الأمر } فكيف بغيره؟!

ثم قال تعالى: { فإذا عزمت } أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة { فتوكل على الله } أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، { إن الله يحب المتوكلين } عليه، اللاجئين إليه.

يقول الأستاذ سيد قطب ‘(١) :

(ويمضي السياق القرآني في جولة جديدة .. جولة محورها شخص رسول الله ﷺ وحقيقته النبوية الكريمة وقيمة هذه الحقيقة الكبيرة في حياة الأمة المسلمة ؛ ومدى ما يتجلى فيها من رحمة الله بهذه الأمة وحول هذا المحور خيوط أخرى من المنهج الإسلامي في تنظيم حياة الجماعة المسلمة ، وأسس هذا التنظيم فنجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة ، المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس .

فيتوجه الخطاب إليه ﷺ يطيب قلبه وإلى المسلمين بشعرهم نعمة الله عليهم به .. ويذكره ويذكرهم رحمة الله الممثلة في خلقه الكريم الرحيم ، الذي تتجمع حوله القلوب .. الذي هو أفضل من الملائكة لأن الملائكة من العالمين ، وأن القوم لما انهزموا عن النبي ’ يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول ﷺ بالتغليظ والتشديد وإنما خاطبهم بالكلام اللين ، ليستجيش كوامن الرحمة في قلبه ﷺ فتغلب على ما أثاره تصرفهم فيه ؛ وليحسوا هم حقيقة النعمة الإلهية بهذا النبي الرحيم ثم يدعو أن يعفو عنهم ويستغفر الله لهم .. وأن يشاورهم في الأمر كما كان يشاورهم غير متأثر بنتائج الموقف – غزوة أحد – لإبطال هذا المبدأ الأساس في الحياة الإسلامية .

فهي رحمة الله نالته ونالتهم ؛ فجعلته ’ رحيماً بهم ، ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر . فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة وود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم .. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ؛ ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمة ويجدون عنده الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء وهكذا كان قلب رسول

---

(١)في ظلال القرآن – (ج ١ / ص٢٧٧-٢٧٦) بتصرف.

الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما كانت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم . ومامن واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ؛ نتيجة لما أفاض عليه ’ من نفسه الكبيرة الرحيمة .

وكأن الله جل جلاله يقول له : فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لتبَّاعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضبت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه ، لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم ..

فطبيعتك يا محمد طبيعة تتناسب لما يطلب منك في هذه المسألة فهم خالفوك و لم يستجيبوا لك حينما قلت : " إليَّ عباد الله . إني رسول الله " ، وهذا شئ يُحفِظ ويُغضب ولكنه لا يُحفظ طبيعتك ولا يُغضب سجيتك لأنك مفطور مع أمتك على الرحمة فكأنه يريد أن يُحنن رسول الله ’ على أمته التي أصابته بالغم ، وهذه الآية جاءت عقب أحداث حدثت في أحد :

الحدث الأول : أنه ﷺ رأى ألا يخرج إلى قتال قريش خارج المدينة بل يظل في المدينة ، فأشار عليه المحبون للشهادة والقتال للتعويض كما فاتهم من شرف القتال في بدر أن يخرج إليهم فنزل رسول الله ﷺ عند رأيهم ولبس لأمته فلما أحسوا أنهم أشاروا على رسول الله بما يخالف ما كان قد بدر منه تراجعوا وقالوا : يا رسول الله إن رأيت ألا نخرج ، فقال : " ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل " .

الحدث الثاني : تخلف عبد الله بن أُبيّ ابن سلول – رأس المنافقين – بثلث الجيش .

الحدث الثالث : مخالفة الرماة لأمره ﷺ وتركهم مواقعهم على الرغم من أنه ’ قد حذرهم من ذلك وقال لعبد الله بن جبير الذي أمَّره على الرماة : " أنضح عنّا الخيل بالنَّبل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فأثبت مكانك من قِبلك " ولكنهم خالفوا أمر رسول الله .

الحدث الرابع : فرارهم حينما قيل : قُتل رسول الله ﷺ.

الحدث الخامس : حيث كان يدعوهم ؛ فروا لا يلوون على شئ .

كل هذه الأحداث كادت تترك في نفسه ﷺ آثاراً ، فبالرحمة التي أُودعت في قلبك فاستعملها في كل مجال وبها قد التفوا حولك لأدبك الجم ولتواضعك الوافر لجمال خلقك ، ولبسمتك الحانية ، ونظرتك المواسية ، لتقديرك لظرف كل واحد حتى أنك إذا وضع أي واحد منهم يده في يدك لم تسحب يدك أنت حتى يسحبها هو ، خُلُقٌ عالٍ ، فاجعله حيثيه لتتنازل عن الهفوات وليسعها خُلقك وحلمك ، لأنك في دور التربية والتأديب . وهي لا تقتضي أن تغضب لأي بادرة تبدر منهم { وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } ، لأنك تخرجهم عما ألفوا من أمور الجاهلية والذي يخرج واحداً عما ألف لا يصح أن يجمع عليه اخراجه عما اعتاد بالأسلوب الخشن الفظ لأنه في حاجة إلى التودد والرحمة والملاطفة ، ولتكن معهم ليناً {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (الشعراء: ٢١٥) وقال: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ }، {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: ٤) ..

قال تعالى :{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } (التوبة:١٢٨) .

قال الرازي ‘(١)

((فيه مسائل :

المسألة الأولى : اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها، إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة، ختم

(١)مفاتيح الغيب(التفسير الكبير) (جـ ٨ / صـ١٩١- ١٩٣)نتصريف.

السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم. وأيضاً فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق، وأن الأب مشفق، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان. فكذا ههنا لما عرفتم أنه رسول حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير ..

أنه تعالى وصف الرسول في هذه الآية بخمسة أنواع من الصفات :

الصفة الأولى : قوله {مِّنْ أَنفُسِكُمْ } وفي تفسيره وجوه:

الأول: يريد أنه بشر مثلكم كقوله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ } (يونس: ٢) وقوله: {إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } (فصلت: ٦) والمقصود أنه لو كان من جنس الملائكة لصعب الأمر بسببه على الناس ..

الثاني : {مِّنْ أَنفُسِكُمْ } أي من العرب قال ابن عباس: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي Àبسبب الجدات، مضرها وربيعها ويمانيها .. والمقصود منه ترغيب العرب في نصرته، والقيام بخدمته، كأنه قيل لهم: كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لعزكم ولفخركم، لأنه منكم ومن نسبكم ..

الثالث : {مِّنْ أَنفُسِكُمْ } خطاب لأهل الحرم، وذلك لأن العرب كانوا يسمون أهل الحرم أهل الله وخاصته، وكانوا يخدمونهم ويقومون بإصلاح مهماتهم فكأنه قيل للعرب: كنتم قبل مقدمه مجدين مجتهدين في خدمة أسلافه وآبائه، فلم تتكاسلون في خدمته مع أنه لا نسبة له في الشرف والرفعة إلى أسلافه؟ ..

والقول الرابع: أن المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته، كأنه قيل: هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة، وتعرفون كونه حريصاً على دفع

الآفات عنكم وإيصال الخيرات إليكم، وإرسال من هذه حالته وصفته يكون من أعظم نعم الله عليكم. وقرىء {مّنْ أَنفَسِكُمْ } أي من أشرفكم وأفضلكم، وقيل: هي قراءة رسول الله وفاطمة وعائشة ù.

والقول الخامس : أنه قال " من أنفسكم " ولم يقل : جاءكم رسول منكم ، وهي أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الوشيمة التي تربطهم . فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس ..

الصفة الثانية : قوله تعالى {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } والعزيز هو الغالب الشديد، والعزة هي الغلبة والشدة. وأما العنت هي المشقة والشدة والمعنى أي يشق عليه مكروهكم، وأولى المكاره بالدفع مكروه عقاب الله تعالى، وهو إنما أرسل ليدفع هذا المكروه ..

الصفة الثالثة : قوله {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ } وهو الحرص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة ، فهو شديدة معزته عن وصول شيء من آفات الدنيا والآخرة إليكم .. لا يُلقى بكم في المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوي فإذا هو كلفكم الجهاد وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة في قلبه وغلظة ، إنما هي الرحمة في صورة من صورها . الرحمة بكم من الذل والهوان والرحمة بكم من الذنب والخطيئة والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحفظ رضوان الله والجنة التي وعد المتقون ..

الصفة الرابعة والخامسة: قال ابن عباس ù: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه ، فقال : {بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ } ولم يقل : رؤوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق ؟

الجواب أن قوله: {بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ } يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط ، فلهذه الدقيقة عدل على ذلك النسق)).

نماذج من رحمته ﷺ بأصحابه

مراعاته مشاعر الضعفاء من أصحابه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ : قال رسول الله ﷺ : ((لولا أنْ أشُقَّ على أُمَّتي ما تَخلَّفت عن سَريةٍ ولكن لا أجد حمولةً، ولا أجد ما أحمِلهم عليهِ، ويَشُقُّ عليَّ أن يَتخلَّفوا عني ، ولَوَدِدتُ أني قاتلتُ في سبيلِ الله فقُتِلتُ ثم أحْيِيت، ثمَّ قُتلتُ ثمَّ أُحييت))(١)

تأثره بحزن أصحابه ورقة قلبه لهم :

ومن رحمته ﷺ أنه كان إذا رأى أحد أصحابه في حالة شدة وبأس يحزن لأجل ذلك حزناً شديداً ويرق قلبه ويبكي متأثراً من ذلك الموقف ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ù قَالَ : ((اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ' بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ))وَكَانَ عُمَرُ ﷺ يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ(٢).

النهي عن المشقة في العبادات :

عن حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا (أي رأى كل منهم أنها قليلة) فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ' قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ (أي أنهم ظنوا بأن من لم يعلم مغفرة ذنوبه يحتاج إلى المبالغة في العبادة أكثر من النبي ﷺ رجاء أن تحصل له المغفرة) قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي

(١)رواه البخاري

(٢) متفق عليه

وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ))(١) ولمسلم : (عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لا آكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي).

وعَنْ كَهْمَسٍ الْهِلالِيِّ ﷺ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهُ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ حَوْلٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا تَعْرِفُنِي؟، قَالَ:"لا"، قُلْتُ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ عِنْدَكَ عَامَ أَوَّلٍ، قَالَ:"فَمَا غَيَّرَكَ بَعْدِي؟"، قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا بنهَارٍ مُنْذُ فَارَقْتُكَ، قَالَ:"فَمَنْ أَمَرَكَ بِتَعْذِيبِ نَفْسِكَ، صُمْ يَوْمًا مِنَ السُّرُرِ"، قُلْتُ: زِدْنِي، حَتَّى قَالَ:"صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ".: "فى رواية ((وفأسلمت فأتيت النبي ﷺ : فأخبرته بإسلامي فمكثت حولا وقد ضمرت ونحل جسمي ثم أتيته فخفض فيّ البصر ثمّ رفعه قلت : أما تعرفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : أنا كَهْمِس الهلالي ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قلت : ما أفطرت بعدك نهارا ولا نمت ليلا ، فقال : ومن أمرك أن تعذّب نفسك ؟!. صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما . قلت زدني ، قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت : زدني أجد قوة ، قال : صم شهر الصبر ومن كلّ شهر ثلاثة أيام " .(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ))(٣).

وعَنْ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللّهِ أَنَّهُ يَقُولُ: لأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلأَصُومَنَّ النَّهَارَ مَا عِشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : « آنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذلِك؟ » فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: « فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذلِكَ. فَصُمْ وَأَفْطِرْ. وَنَمْ وَقُمْ: وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» قُلْتُ:

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مسند الطيالسي رواه الطبراني في الكبير ١٩٤/١٩ رقم ٤٣٥ وهو في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦٢٣

(٣)رواه البخاري

فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِك. قَالَ: « صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ » قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: « صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً. وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ » قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ : «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذلِك » قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو ù: لأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاَثَةَ الأَيَّامَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي » (١) .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ)) قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: « إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي. إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَاكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ)) (٢) .

تيسير لا تعسير:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا))(٣).

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ ﷺ قَالَ : ((بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا))(٤).

يا عمرو صَلَّيْتَ بأصْحَابِكَ وَأنْتَ جُنُبٌ ؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) متفق عليه

(٤)متفق عليه

عن عمرو بن العاص ﷺ قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشْفَقْتُ إنْ أغْتَسلَت أن أهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَروا ذَلِكَ لرسول الله ﷺ فقال : يا عمرو صَلَّيْتَ بأصْحَابكَ وَأنْتَ جُنُبٌ ؟ فأخْبَرْتُهُ بالَّذِي مَنَعَني مِنَ الاغْتِسَالِ وَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ الله يقولُ { وَلاَ تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ إنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً } فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً »(١) .

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ....وقال : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ :

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ قَالَ مَا لَكَ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا قَالَ لا قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَالَ لَا فَقَالَ فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَ لا قَالَ فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ' بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ قَالَ أَيْنَ السَّائِلُ فَقَالَ أَنَا قَالَ خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَ اللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ))(٢)

كان ﷺ يتفقد أصحابه ويشعر بما هم فيه :

((فعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قال :أَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ' فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ثُمَّ قَالَ

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري

يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقْ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ قَالَ أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ قَالَ يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ خُذْ فَأَعْطِهِمْ قَالَ فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ اقْعُدْ فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فَقَالَ اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا قَالَ فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ))وفى رواية أخرى((وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَا عَلَيَّ فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَخَرَرْتُ لِوَجْهِي مِنْ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي وَعَرَفَ الَّذِي بِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ فَأَمَرَ لِي بِعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ عُدْ يَا أَبَا هِرٍّ فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ عُدْ فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ حَتَّى اسْتَوَى بَطْنِي فَصَارَ كَالْقِدْحِ قَالَ فَلَقِيتُ عُمَرَ وَذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِي وَقُلْتُ لَهُ فَوَلَّى اللَّهُ ذَلِكَ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا عُمَرُ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقْرَأْتُكَ الْآيَةَ وَلَأَنَا أَقْرَأُ لَهَا مِنْكَ قَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ لَأَنْ أَكُونَ أَدْخَلْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ حُمْرِ النَّعَمِ))(١)

(١) رواهما البخاري.

وعن مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:((كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلَكَ فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزِنَ عَلَيْهِ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا فُلَانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ قَالَ فَذَاكَ لَكَ))(١) .

فَبِأَبِي وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ : ((فَصَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ قَالَ فَضَرَبُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي قَالَ فَبِأَبِي وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَمَا ضَرَبَنِي وَلَا كَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي وَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَذَا إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))(٢)

((و عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ ﷺ قَالَ قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهَا فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلا وَلا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ))(٣) .

---

(١) رواه أحمد النسائي وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم و الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه النسائي وصححه الألباني صحيح سنن النسائي رقم ٤٩٩٩

وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْـــدَهُ ﷺ قَالَ: ((أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺوعَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَـــدْ ﷺعِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِـــيهِمْ وَعَلِّمُـــوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَـــإِذَا حَضَـــرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))(1)

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ:

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ــ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ :بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَـــا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ أَصْبِرْنِي فَقَالَ اصْطَبِرْ قَالَ إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ))(٢)

٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنساء.

المرأة تلكم الواحة الخضراء فى صحراء المشاق وفيافي التعب والنصب ،فهي الحضن الـــدافئ أماً ، رعاية بلا ملل، وعناية دون كلل، تنفق من حياتها لأجلك،ونومها لراحتك،وصـــحتها لعافيتك ، بل تحرم نفسها من ضروري حياتها لتنعمك، فسبحان من جبلها علـــى محبتـــك ورحمتك .

وهى زهرة الربيع المتفتحة بنتاً، صراخها وهى رضيعة فنونك ،وحديثها ما كبرت فتونـــك، تمسح عنك الهم بابتسام جبينها ، وفرحة وجهها تزيل عنك شجونك.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وهى بين ذلك وذاك الودود المواتية ، مصابيح البيوت والدور العالية ، مدخلات البهجة والسرور،على قلبك المحزون المكسور، تهضم حقها وهى لحقوقك باذلة ، لرضاك عنها ناظرة ، فسبحان من جعل بينكما المودة والرحمة فى قلبيكما حاضرة.

قبل حديثنا عن رحمته ﷺ بالنساء نستعرض حال المرأة فى المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً ، لأن الحديث عن ضد الشيء يظهر محاسنه ، وخاصة الناعقين بفضائل الحضارة الغربية ، أبواق الغرب الأوروبي ، دعاة تحرير المرأة تارة ، والحركات النسوية تارة، وحقوقها السليبة تارة ، وظلم الشرق لها تارة أخرى .

المرأة في المجتمع الجاهلي[1]

إن من صفحات العار على البشرية ، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر ، لم تمر حضارة من الحضارات الغابرة ، إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب ، وأصناف الظلم والقهر

([1])مستفاد من مقال (المرأة قبل الإسلام و بعده) ومقال (من صور تكريم الإسلام للمرأة).ويراجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلين؟ للعلامة للندوي ، – الحجاب للعلامة المودودي ، – المراة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية للعلامة وحيد الدين خان – المرأة بين الفقه والقانون للسباعي ، – المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية لشيخنا د/محمد إسماعيل المقدم حفظه الله وغيرها.

فعند الإغريقيين قالوا عنها : شجرة مسمومة ، وقالوا هي رجس من عمل الشيطان ، وتباع كأي سلعة متاع.

وعند الرومان قالوا عنها : ليس لها روح ، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار ، وتسحب بالخيول حتى الموت .

وعند الصينيين قالوا عنها : مياه مؤلمة تغسل السعادة ، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية ، وإذا مات حُق لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود : نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار ، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج ، وتكون هدف الإهانات والتجريح ، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا .

وعند الفرس : أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء ، ويجوز للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت.

وعند اليهود : قالوا عنها : لعنة لأنها سبب الغواية ، ونجسة في حال حيضها ، ويجوز لأبيها بيعها.

وعند النصارى : عقد الفرنسيون في عام ٥٨٦م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ ! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيراً" قرروا أنَّها إنسان ، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب". وأصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل(المحرف)؛ لأنَّها تعتبر نجسة .

وعند العرب فى الجاهلية(١): وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف ، وتؤكل حقوقها وتُبْتز أموالها وتُحرم إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً ترضا وتورث كما يورث المتاع أو الدابة، عن ابن عباس قال : ((كان الرجل إذا مات أبوه أو حميّه فهو أحق بامرأته ، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت

(١)ماذا خسر العالم بانحطاط المسلين؟ للعلامة للندوي ‘.

فيذهب بمالها)) وقال عطاء بن أبي رباح: إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم وقال السُدّي : إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو يُنكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل ، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها ، يؤخذ مما تؤتي من مهر وتمسك ضراراً للاعتداء ، وتلاقي من بعلها نشوزاً أو إعراضاً وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.

وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد . ذكر الهيثم بن عدي – على ما حكاه عنه الميداني- أن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة ، فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة ، فجاء الإسلام ، وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد الأولاد فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن ، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) تشاؤماً منهم بهذه الصفات ، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر ، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب فكان يشتريهم من بعض سراة العرب وأشرافهم. قال صعصعة بن ناجية : جاء الإسلام وفديت ثلاثمائة موءودة ومنهم من كان ينذر- إذا بلغ بنوه عشرة – نحر واحد منهم كما فعل عبدالمطلب ، ومنهم من يقول : الملائكة بنات- الله سبحانه عما يقولون- فألحقوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق به.

وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان ، فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل ، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات ، وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق.

المرأة فى الحضارة الغربية الحديثة (الجاهلية المعاصرة):

والسؤال هنا لأي شيءٍ دعت الحضارة المدنية اليوم ؟ وماهي الحقوق التي ضمنتها للمرأة ؟

١. أجمل لك القول أن الحضارة الغربية اليوم هي : ضمان للممارسة قتل هوية المرأة ، وهضم لأدنى حقوقها .

٢. المرأة الغربية حياتها منذ الصغر نظر إلى مستقبل في صورة شبح قاتل ، لا تقوى على صراعه ، فهي منذ أن تبلغ السادسة عشرة تطرد من بيتها ، لتُسلِم أُنوثتها مخالب الشهوات الباطشة ، وأنياب الاستغلال العابثة ، أوساط الرجال

٣. فما إن تدخل زحمة الأوهام الحضارية ، وإذا بأعين الناس تطاردها بمعاول النظر التي تحبل منها العذارى

٤. تتوجه نحوها الكلمات الفاسدة ، وكأنها لكمات قاتلات ، تبلد من الحياء ، وتفقدها أغلى صفة ميزها الله بها ، هي : " حلاوة أنوثتها " التي هي أخص خصائصها ، ورمز هويتها

٥. تُستغل أحوالها المادية ، فتدعى لكل رذيلة ، حتى تصبح كأي سلعة ، تداولها أيدي تجار الأخلاق ، وبأبخس الأثمان ، فإذا فقدت شرفها ، وهان الإثم عندها ، هان عليها ممارسته

٦. يخلق النظام الأخلاقي الغربي اليوم في المجتمعات ثمرات سامة لكل مقومات الحياة ، أولها الحكم على هوية المرأة بالإعدام السريع ، على بوابة شهوات العالم الليبرالي ، الديمقراطي ، والرأسمالي

٧. فالمرأة اليوم أسوأ حالاً مما مضى ، كانوا من قبل يقتلون المرأة ، فاليوم يجعلون المرأة هي التي تقوم بقتل نفسها

أما على المستوى الاجتماعي والأخلاقي(١): والذين يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن

---

(١)ونشرت مفكرة الإسلام تحت عنوان(أرقام تؤكد الذل والمهانة.. نار المرأة العربية .. أفضل من جنة المرأة الغربية!)

أولاً: المرأة في أمريكا:

في عام ١٩٨١ أشار 'شتراوس' إلى أن حوادث العنف الزوجي منتشرة في ٥٠: ٦٠% من العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين قدر 'راسل' عام ١٩٨٢ هذه النسبة بـ٢١%، وقدرت 'باغلو' النسبة بأنها

تترواح بين ٢٥ و ٣٥% كما بين 'أبلتون' في بحثه الذي أجراه عام ١٩٨٠ على٦٢٠ امرأة أمريكية أن ٣٥% منهن تعرضن للضرب مرة واحدة على الأقل من قِبل أزواجهن، ومن جهتها أشارت 'والكر' استنادًا إلى بحثها عام ١٩٨٤ إلى خبرة المرأة الأمريكية الواسعة بالعنف الجسدي، فبينت أن ٤١% من النساء أفدن أنهن كن ضحايا العنف الجسدي من جهة أمهاتهن، و٤٤% من جهة آبائهن، كما بينت أن ٤٤% منهن كن شاهدات لحوادث الاعتداء الجسدي لآبائهن على أمهاتهن.

في عام ١٩٨٥ قتل ٢٩٢٨ شخصًا على يد احد أفراد عائلته، وإذا أردنا معرفة ضحايا القتل من الإناث وحدهن لوجدنا أن ثلثهن لقين حتفهن على يد زوج أو شريك حياة، وكان الأزواج مسئولين عن قتل ١٩٨٤،في حين أن القتلة كانوا من رفاقهن الذكور في ١٠% من الحالات.

أما إحصاءات مرتكبي الاعتداءات ضد النساء في أمريكا: ثلاثة من بين أربعة معتدين هم من الأزواج، ٩% أزواجًا سابقين، ٤٥% أصدقاء، و ٣٢% أصدقاء سابقين. إحصائية أخرى تدرس نسبة المعتدين، تبين أن الأزواج المطلقين أو المنفصلين عن زوجاتهم ارتكبوا ٦٩% من الاعتداءات بينما ارتكب الأزواج ٢١%.

وقد ثبت أن ضرب المرأة من قبل شريك لها، هو المصدر الوحيد، والأكثر انتشارًا الذي يؤدي إلى جروح للمرأة، وهذا أكثر انتشارًا، من حوادث السيارات والسلب والاغتصاب كلها مجتمعة.

وفي دراسة أخرى تبين أن امرأة واحدة من بين أربعة نساء، يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة، يبلغن عن التعرض للاعتداء الجسماني من قبل شركائهن.

تم توزيع بيانات على مستوى الولايات شملت ٦٠٠٠ عائلة أمريكية ونتج عنها ٥٠% من الرجال الذين يعتدون بشكل مستمر على زوجاتهم يعتدون أيضًا وبشكل مستمر على أطفالهم.

واتضح أن الأطفال الذين شهدوا عنف آبائهم معرضون ليكونوا عنيفين ومعتدين على زوجاتهم، بنسبة ثلاثة أضعاف، من الذين لم يشهدوا العنف في طفولتهم، أما أولياء الأمور العنيفون جدًا فأطفالهم معرضون ألف ضعف ليكونوا معتدين على زوجاتهم في المستقبل.

ثانيًا: المرأة في بريطانيا:

أما في بريطانيا فإن أكثر من ٥٠% من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك. وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦% خلال عام واحد إلى نهاية آذار ١٩٩٢، كما وجد أن ٢٥% من النساء يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن. وتتلقى الشرطة البريطانية ١٠٠ ألف مكالمة سنويًا لتبلغ شكاوى اعتداء على زوجات أو شريكات، علمًا بأن الكثير منهن لا يبلغن الشرطة إلا بعد تكرار الاعتداءات عليهن عشرات المرات. وتشير 'جين لويس' إلى أن ما بين ثلث إلى ثلثي حالات الطلاق تعزى إلى العنف في البيت، وبصورة رئيسة إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي.

وقد أظهر استطلاع نشرت نتائجه في بريطانيا تزايد العنف ضد النساء. ففي استطلاع شاركت فيه سبعة آلاف امرأة قالت ٢٨% من المشاركات: إنهن تعرضن لهجوم من أزواجهن، ويفيد تقرير بريطاني آخر أن الزوج يضرب زوجته دون أن يكون هناك سبب يبرر الضرب ويشكل هذا ٧٧% من عمليات الضرب. ويستفاد من التقرير نفسه أن امرأة ذكرت أن زوجها ضربها ثلاث سنوات ونصف سنة منذ بداية زواجها، وقالت: لو قلت له شيئًا إثر ضربي لعاد ثانية

ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك؛ فتعالوا نطالع الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية.

أ- نشرت مجلة التايم الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المترلي.(انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص٤٥).

ب- ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠% من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن ٢٥% من محاولات الانتحار التي تُقْدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي. انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع ص٤٦.

ج- دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م أشارت إلى ٧٩% يقومون بضرب النساء وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن.

وكانت الدراسة قد اعتمدت على استفتاء أجراه د.جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبته.

وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عالٍ جداً، فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة فكيف بمن هو دونهم تعليماً؟

د- وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧% من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن ٨٣% دخلن

لذا أبقى صامتة، وهو لا يكتفي بنوع واحد من الضرب بل يمارس جميع أنواع الضرب من اللطمات واللكمات والركلات والرفسات، وضرب الرأس بعرض الحائط ولا يبالي إن وقعت ضرباته في مواقع حساسة من الجسد. وأحيانًا قد يصل الأمر ببعضهم إلى حد إطفاء السجائر على جسدها، أو تكبيلها بالسلاسل والأغلال ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحال ساعات طويلة.

تسعى المنظمات النسوية لتوفير الملاجئ والمساعدات المالية والمعنوية للضحايا، وتقود 'جوان جونكلر' حملة من هذا النوع، فخلال اثني عشر عامًا مضت، قامت بتقديم المساعدة لآلاف الأشخاص من الذين تعرضوا لحوادث اعتداء في البيت، وقد جمعت تبرعات بقيمة ٧٠ ألف جنيه إسترليني لإدارة هذه الملاجئ وقد أنشئ أول هذه المراكز في مانشستر عام ١٩٧١، ثم عمت جميع بريطانيا حتى بلغ عددها ١٥٠ مركزًا.

المستشفيات سابقاً مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصيبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب.

وقال إفان ستارك معد هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تصاب بها النساء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات، والسرقة، والاغتصاب مجتمعة.

وقالت جانيس مور-وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المترلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل؛ فالأزواج يضربون نسائهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضربات أخرى بالكراسي، والسكاكين، والقضبان المحماة.

وأشارت إلى أن الأمر المرعب هو أن هناك نساء أكثر يُصبن بجروح وأذى على أيدي أزواجهن ولكنهن لا يذهبن إلى المستشفى طلباً للعلاج، بل يُضمِّدن جراحهن في المترل.

وقالت جانيس مور: إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة، وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن.انظر من أجل تحرير حقيقي ص١٦-٢١ وانظر المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ص٥٦-٥٧.

هـ - وجاء في كتاب ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام البسيوني ص٣٦-٦٦ ما يلي:

- ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب الطلاق.
- ٧٧٢ امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساوباولو البرازيلية وحدها عام١٩٨٠م.
- يتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً.
- أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النساء هناك-أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة- يتعرضن لسوء المعاملة كل عام.
- في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن

أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية.
- تتعرض امرأة لسوء المعاملة في أمريكا كل ثمان ثوان.
- مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنوياً، ومليونا فرنسية.
- ٦٠% من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل-هي نداءات استغاثة من نساء تُساء معاملتهن.

وبعد فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات؛ لعلمنا بأنه ليس بعد الكفر ذنب. ولكن نفراً من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نسب إلى الغرب وما جرى مجراه؛ فها هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة؛ فهل من مدكر؟

المرأة فى الإسلام

ثم جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء ، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح ، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية في حضاراتها أبداً

جاء الإسلام ليقول ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف))
جاء الإسلام ليقول ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))
جاء الإسلام ليقول ((فَلا تَعْضُلُوهُنَّ))
جاء الإسلام ليقول ((وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ))
جاء الإسلام ليقول ((أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ))
جاء الإسلام ليقول ((وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ))
جاء الإسلام ليقول ((فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً))
جاء الإسلام ليقول ((وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ))

جاء الإسلام ليقول ((وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ))
جاء الإسلام ليقول ((وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم))
جاء الإسلام ليقول ((وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنّ))
جاء الإسلام ليقول ((هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ))
جاء الإسلام ليقول ((فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً))
جاء الإسلام ليقول ((لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً))
جاء الإسلام ليقول ((وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُن))
جاء الإسلام ليقول ((فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ))

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك ؟ قال : " عائشة "

وكان يؤتى ' بالهدية ، فيقول : " اذهبوا بها على فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة "
وهو القائل ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيراً))
وهو القائل ﷺ: ((لا يفرك مؤمن مؤمنه إن كره منها خلقا رضى منها آخر))
وهو القائل ﷺ: ((إنما النساء شقائق الرجال))
وهو القائل ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))
وهو القائل ﷺ: ((ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف))
وهو القائل ﷺ: ((أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك))
وهو القائل ﷺ: ((من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة))
ومن هديه ﷺ: ((عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد))
وهو القائل ﷺ : ((وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك))
ومن مشكاته ﷺ: ((أن امرأة قالت يا رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال ' صلى الله عليك وعلى زوجك))
وهناك الكثير والكثير من الأدلة والبراهين ، على أن الإسلام هو المحرر الحقيقي لعبودية المرأة

، وحتى يُعلم هذا الأمر بصورة أوضح ، سأبين حفظ حقوق المرأة في الإسلام وهي جنين في بطن أمها إلى أن تنزل قبرها

بيانات وآيات

١. حفظ الإسلام حق المرأة :- وهي في بطن أمها ، فإن طُلقت أمها وهي حامل بها ، أوجب الإسلام على الأب أن ينفق على الأم فترة الحمل بها ((وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُن))

٢. حفظ الإسلام حق المرأة :- بحيث لا يُقام على أمها الحد ، حتى لا تتأثر وهي في بطن أمها ((ولما جاءت الغامدية وقالت يا رسول الله طهرني فقال ﷺ لها : حتى تضعي ما في بطنك))

٣. حفظ الإسلام حق المرأة :- راضعة ؛ فلما وضعت الغامدية ولدها ، وطلبت إقامة الحد قال ﷺ ((اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه))

٤. حفظ الإسلام حق المرأة :- مولودة من حيث النفقة والكسوة ((وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف))

٥. حفظ الإسلام حق المرأة :- في فترة الحضانة التي تمتد إلى بضع سنين ، وأوجب على الأب النفقة عليها في هذه الفترة لعموم أدلة النفقة على الأبناء .

٦. حفظ الإسلام حق المرأة :- في الميراث عموماً ، صغيرة كانت أو كبيرة قال الله ((فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ))

٧. حفظ الإسلام حق المرأة :- في اختيار الزوج المناسب ، ولها أحقية القبول أو الرد إذا كانت ثيباً لقوله ﷺ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر))

٨. حفظ الإسلام حق المرأة :- إذا كانت بكراً فلا تزوج إلا بإذنها لقوله ﷺ((ولا تنكح البكر حتى تستأذن))

٩. حفظ الإسلام حق المرأة :- في صداقها ، وأوجب لها المهر ((فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً))

١٠. حفظ الإسلام حق المرأة :- مختلعة ، إذا بدَّ لها عدم الرغبة في زوجها أن تخالع مقابل الفداء لقوله عليه الصلاة والسلام ((أقبل الحديقة وطلقها))

١١. حفظ الإسلام حق المرأة :- مطلقة ، ((وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ))

١٢. حفظ الإسلام حق المرأة :- أرملة ، وجعل لها حقاً في تركة زوجها ، قال الله ((وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ))

١٣. حفظ الإسلام حق المرأة :- في الطلاق قبل الدخول ، وذلك في عدم العدة ، قال الله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا))

١٤. حفظ الإسلام حق المرأة :- يتيمة ، وجعل لها من المغانم نصيباً ، قال الله ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى)) وجعل لها من بيت المال نصيباً قال الله ((مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى)) وجعل لها في القسمة نصيباً ((وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى)) وجعل لها في النفقة نصيباً ((قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى))

١٥. حفظ الإسلام حق المرأة :- في حياتها الاجتماعية ، وحافظ على سلامة صدرها ، ووحدة صفها مع أقاربها ، فحرم الجمع بينها وبين أختها ، وعمتها ، وخالتها ، كما في الآية ، والحديث المتواتر

١٦. حفظ الإسلام حق المرأة :- في صيانة عرضها ، فحرم النظر إليها ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))

١٧. حفظ الإسلام حق المرأة :- في معاقبة من رماها بالفاحشة ، من غير بينة بالجلد ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً))

١٨. حفظ الإسلام حق المرأة :- إذا كانت أماً ، أوجب لها الإحسان ، والبر ، وحذر من كلمة أف في حقها

١٩. حفظ الإسلام حق المرأة :- مُرضِعة ، فجعل لها أجراً ، وهو حق مشترك بين الراضعة والمرضعة ((فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ))

٢٠. حفظ الإسلام حق المرأة :- حاملاً ، وهو حق مشترك بينها وبين المحمول ((وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ))

٢١. حفظ الإسلام حق المرأة :- في السكنى ((أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ))

٢٢. حفظ الإسلام حق المرأة :- في صحتها فأسقط عنها الصيام إذا كانت مرضع أو حبلى .

٢٣. حفظ الإسلام حق المرأة :- في الوصية ، فلها أن توصي لِما بعد موتها ((مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ))

٢٤. حفظ الإسلام حق المرأة :- في جسدها بعد موتها ، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ ((كسر عظم الميت ككسره حيا))

٢٥. حفظ الإسلام حق المرأة :- وهي في قبرها ، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ ((لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلي جلده خير له من أن يجلس على قبر))

شهـــــــــادات غربية(١)

تقول " هيليسيان ستانسيري " امنعوا الاختلاط ، وقيِّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا ، وأمريكا

• وتقول " بيرية الفرنسية " وهي تخاطب بنات الإسلام " لا تأخذنَّ من العائلة الأوربية مثالاً لكُنَّ ، لأن عائلاتها هي أُنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى

(١)مستفاد من مقال (المرأة قبل الإسلام و بعده) ومقال (من صور تكريم الإسلام للمرأة)- قلوا عن الإسلام د/عماد الدين خليل – المراة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية للعلامة وحيد الدين خان – المرأة بين الفقه والقانون للسباعي ، – المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية لشيخنا د/محمد إسماعيل المقدم حفظه الله وغيرها.

• وتقول الممثلة الشهيرة "مارلين مونرو" التي كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها : " إحذري المجد ...إحذري من كل من يخدعك بالأضواء ...إني أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أما ... إني امرأة أفضل البيت ... الحياة العائلية الشريفة على كل شيء ... إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية " وتقول في النهاية " لقد ظلمني كل الناس ... وأن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة " .

• وتقول وتقول الكاتبة " اللادى كوك " أيضا : " إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، ولا يخفى ما فى هذا من البلاء العظيم عن المرأة ، فيه أيها الآباء لا يغرونكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا فعلموهن الابتعاد عن الرجال ، إذا دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر الاختلاط بين الرجال والنساء . ألم تروا أن أكثر أولاد الزنا أمهاتهن من المشتغلات فى المعامل ومن الخادمات فى البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار .. ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مما نرى الآن ، ولقد أدت بنا الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصوره فى الإمكان حتى أصبح رجال مقاطعات فى بلادنا لا يقبلون البنت ما لم تكن مجربة ، أعنى عندها أولاد من الزنا ، فينتفع بشغلهم وهذا غاية الهبوط فى المدينة ، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة .

• وتقول . تقول الكاتبة الإنجليزية " أنى رود " عن ذلك : " إذا اشتغلت بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ... أياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهما بسوء . نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثل للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق

فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها

• نشرت صحيفة الأخبار المصرية (في عددها الصادر في ١٩٧٢/١٠/٢٠م ، ص ٤) : أنه قد أقيمت في هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن .. وكان موضوع الحديث والخطب التي ألقيت في حضور الأميرة (آن) البريطانية هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة .. وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة عمرها ١٧ عاماً رفضت رفضاً باتاً حركة التحرير النسائية وقالت أنها تريد أن تظل لها أنوثتها ولا تريد أن ترتدي البنطلون بمعنى تحدي الرجل . وأنها تريد أن تكون امرأة وتريد زوجها أن يكون رجلاً . وصفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة (آن) (كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين ؟! ص ٥٠) .

• ومن هذا صرح الدكتور " جون كيشلر " أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو (أن ٩٠% من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي وأن ٤٠% من الرجال مصابون بالعقم ، وقال الدكتور أن الإعلانات التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي . ومن شاء المزيد فليرجع الى تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا تحت عنوان (أخلاق المجتمع الأمريكي المنهارة) . (المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ، ص ١١) .

وذلك من باب الاستئناس؛ لأن نفراً من بني جلدتنا لا يقع الدليل موقعه عندهم إلا إذا صدر من مشكاة الغرب.

أ- تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول: (إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية).

ب- الزعيمة النسائية الأمريكية (فليش شلافي) دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

ج- وفي كتاب صدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها: (إن المرأة الحديثة مُغَفَّلة؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم؛ فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق؛ لأننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية؛ للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل.

والرجال ليسوا أغبياء؛ فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده).

د- وتقول طبيبة نفسية أمريكية: (أيما امرأة قالت: أنا واثقة بنفسي، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها).

نماذج من رحمته ﷺ بالنساء.

فما بالك بالرحمة المهداة وهو يعامل من أوصى بالرفق والرحمة معهن ، فما أرحمه زوجاً وأباً وموصيّاً لرجال أمته بنسائها ﷺ .

*) رحمته ﷺ في بيته مع أزواجه ــن:

و عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﵂ مَا كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَصْنَعُ فِى بَيْتِهِ قَالَتْ (كَانَ يَكُونُ فِى مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِى خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ . (١)

وعن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنِّى لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّــى رَاضِــيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَىَّ غَضْبَى). قَالَتْ: فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ « أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِــيَةً

(١) رواه احمد والبخاري والترمذي و البيهقي

فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ » . قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ).(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها : كلي . فأبت فقلت : لتأكلين أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطلبت وجهها فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها : " ألطخي وجهها" فضحك النبي ﷺ لها فمر عمر فقال : يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال : " قوما فاغسلا وجوهكما " قالت عائشة رضي الله عنها: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ(٢)

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَسْتُرُنِى بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِى الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِى أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ.(٣)

واليك أيها الحبيب بعض روايته:

كان جالسا فسمع ضوضاء الناس والصبيان فإذا حبشية تزفن ﷺ أن النبي رضي الله عنهعن عائشة (تزفن : زفن زفا من باب ضرب : رقص . المصباح المنير ١ / ٣٤٥ . ب) والناس حولها فقال : يا عائشة تعالي فانظري فوضعت خدي على منكبيه فجعلت أنظر ما بين المنكبين إلى رأسه فجعل يقول : يا عائشة ما شبعت ؟ فأقول : لا – لأنظر متزلتي عنده فلقد رأيته : رأيت ﷺ فتفرق الناس عنها والصبيان وقال النبي رضي الله عنهيراوح بين قدميه : فطلع عمر : لا تلبث أن تصرع فصرعت في الناس ﷺشياطين الإنس والجن فروا من عمر وقال النبي فأخبروا بذلك (4)

(١) متفق عليه

(٢) حسن رواه أبو يعلى وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن .وكذا قال الأستاذ حسين أسد.

(٣) متفق عليه

(٤) إبن عدى وابن عساكر

ا : لقد رأيت النبي ' يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد رضي الله عنهقالت عائشة حتى أكون أنا الذي أسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو

يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشـــة يلعبـــون في ﷺا : لقد رأيت النبي رضي الله عنهقالت عائشة المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

(١) من رواية الشيخين وغيرهما وفيه : أن النبي ﷺ قال لها : (أتحبين أن تنظري إليهم ؟ " . وقولها : فطأطأ لي منكبيه لأنظر إليهم . وقولها : وما بي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنهاا قَالَتْ خَرَجْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ فَقَالَ لِلنَّاسِ « تَقَدَّمُوا ». فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ لِى « تَعَالَىْ حَتَّى أُسَابِقَكِ ». فَسَـــابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ فَسَكَتَ عَنِّى حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ « تَقَدَّمُوا ». فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ « تَعَالَىْ حَتَّى أُسَابِقَكِ ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِى فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ « هَذِهِ بِتِلْكَ ».(٢)

– وعن ابن عمر ﷺ قال : كان بعيني صفية رضي الله عنهاا خضرة فقال لها النبي ﷺ : " ما هـــذه الخضرة بعينيك ؟ " . قالت : قلت لزوجي : إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمرا وقـــع في حجري فلطمني وقال : أتريدين ملك يثرب ؟ قالت : وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي فما زال يعتذر إلي وقال : " يا صفية إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل " . حتى ذهب ذلك من نفسي)(٣)

- **رحمة التوجيه والإرشاد فى أمره فيهن بالمعروف ونهيه عن المنكر:**

(١) كلها أحاديث صحاح كما في " آداب الزفاف " (٢٧٢ – ٢٧٤ / المكتبة الإسلامية)

(٢) رواه أحمد و أبو داود مختصراً قال الألباني فى السلسلة الصحيحة جـــ١ حـــ١٣١:وإسناده صحيح على شرط الشيخين وقد صححه العراقي فى تخريج الاحياء٢/٤٠

(٣) قال الهيثمي:رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني ٢٧٩٣

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ بَلَغَ صَفِيَّةَ ﷺا أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بِنْتُ يَهُودِيٍّ . فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ « مَا يُبْكِيكِ ». فَقَالَتْ قَالَتْ لِى حَفْصَةُ إِنِّى بِنْتُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ« إِنَّكِ لاَبْنَةُ نَبِيٍّ وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِىٌّ وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِىٍّ فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ». ثُمَّ قَالَ « اتَّقِى اللَّهَ يَا حَفْصَةُ ». (١)

وعَنْ عَائِشَةَ ﷺا قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ تَعْنِى قَصِيرَةً. فَقَالَ « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ ». قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ « مَا أُحِبُّ أَنِّى حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِى كَذَا وَكَذَا ».(٢)

الوفاء لها.... وحسن العهد من الإيمان:

عن عَائِشَةَ ﷺا قَالَتْ : ((مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ' إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا))(٣)

عَنْ عَائِشَةَ ﷺا قَالَتْ: ((اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فَغِرْتُ فَقُلْتُ وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا))(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ))(٥)

---

(١) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. قال الشيخ الألباني : صحيح

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني

(٣) رواه مسلم.

(٤)رواه مسلم.

(٥) رواه البخاريّ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها : من أنت ؟ قالت: جثامة المزنية قال : بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال : يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان .(١)

*) **رحمته مع بناته** ـن:

أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ :

عن عَلِيّ رضي الله عنه: ((أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ' فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ عَلَى مَكَانِكُمَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ))(٢)

ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ..... ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: ((أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ' فَقَالَ النَّبِيُّ ' مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ

---

(١) رواه البيهقي وابن النجار وحسنه الالبانى السلسلة الصحيحة جـ١ حـ٢١٦.

(٢) متفق عليه.

فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ' حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ' فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ))(١)

فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي

وعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَالَ :فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي))(٢)

وكان يمازح خنته

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : ((إِنْ كَانَتْ أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ ﷺ إِلَيْهِ لَأَبُو تُرَابٍ وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ' غَاضَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ' يَتْبَعُهُ فَقَالَ هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْجِدَارِ فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ' وَامْتَلَأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا فَجَعَلَ النَّبِيُّ ' يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ))(٣).

ويتفقد حالها وحال زوجها

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ : ((أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ يَبْكِيَانِ فَقَالَ مَا يُبْكِيهِمَا قَالَتْ الْجُوعُ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَوَجَدَ دِينَارًا بِالسُّوقِ فَجَاءَ إِلَى فَاطِمَةَ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ فَخُذْ لَنَا دَقِيقًا فَجَاءَ الْيَهُودِيَّ فَاشْتَرَى بِهِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَنْتَ خَتَنُ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَخُذْ دِينَارَكَ وَلَكَ الدَّقِيقُ فَخَرَجَ عَلِيٌّ حَتَّى جَاءَ بِهِ فَاطِمَةَ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ الْجَزَّارِ فَخُذْ لَنَا بِدِرْهَمٍ لَحْمًا فَذَهَبَ فَرَهَنَ الدِّينَارَ بِدِرْهَمٍ لَحْمٍ فَجَاءَ بِهِ فَعَجَنَتْ وَنَصَبَتْ وَخَبَزَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

أَبِيهَا فَجَاءَهُمْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْكُرُ لَكَ فَإِنْ رَأَيْتَهُ لَنَا حَلَالًا أَكَلْنَاهُ وَأَكَلْتَ مَعَنَا مِنْ شَأْنِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَأَكَلُوا فَبَيْنَمَا هُمْ مَكَانَهُمْ إِذَا غُلَامٌ يَنْشُدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ الدِّينَارَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَدُعِيَ لَهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ سَقَطَ مِنِّي فِي السُّوقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ' يَا عَلِيُّ اذْهَبْ إِلَى الْجَزَّارِ فَقُلْ لَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' يَقُولُ لَكَ أَرْسِلْ إِلَيَّ بِالدِّينَارِ وَدِرْهَمُكَ عَلَيَّ فَأَرْسَلَ بِهِ فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' إِلَيْهِ))(١)

ويعلمها قائلاً... إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا

عَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ((:أَنَّ رَجُلًا أَضَافَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام لَوْ دَعَوْنَا رَسُولَ اللَّهِ ' فَأَكَلَ مَعَنَا فَدَعُوهُ فَجَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عِضَادَتَيْ الْبَابِ فَرَأَى الْقِرَامَ قَدْ ضُرِبَ بِهِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَرَجَعَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ لِعَلِيٍّ الْحَقْهُ فَانْظُرْ مَا رَجَعَهُ فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَدَّكَ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَوْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا))(٢)

فعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ النَّبِيِّ ' قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ' { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }
((فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ))(٣)

قُومَا فَصَلِّيَا.... { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا }

فعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: ((دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ' وَعَلَى فَاطِمَةَ مِنْ اللَّيْلِ فَأَيْقَظَنَا لِلصَّلَاةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى هَوِيًّا مِنْ اللَّيْلِ فَلَمْ يَسْمَعْ لَنَا حِسًّا فَرَجَعَ إِلَيْنَا فَأَيْقَظَنَا فَقَالَ

(١) رواه أبو داود وحسنه الألباني.
(٢) رواه أحمدوابو داود وابن ماجة وحسنه الألباني.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ، ومسلم مختصرا من حديث عائشة ﷺا

قُومَا فَصَلِّيَا قَالَ فَجَلَسْتُ وَأَنَا أَعْرُكُ عَيْنِي وَأَقُولُ إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُصَلِّي إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا قَالَ فَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ' وَهُوَ يَقُولُ وَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ مَا نُصَلِّي إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا{ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا }(١)

كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ' وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا وَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا))(٢)

رق لها رقة شديدة

وروى الحاكم فى مستدركه عن عائشة ~ قال : صرخت زينب ~ : ((أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص(٣) بن الربيع قال فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا : نعم قال : أما و الذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال : أي بنية أكرمي مثواه و لا يخلص إليك فإنك لا تحلين له)).

---

(١) رواه أحمد وحسنه الأرناؤوط،والنسائي وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣)المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ١١ / ص ٣٩٧)

« وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، واسم أبي العاص مقسم ، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وخالته خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ زوجه ابنته زينب قبل الإسلام ، فولدت له عليا وأمامة ، فتوفي علي وهو صغير ، وبقيت أمامة إلى أن تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ~ ، وكان أبو العاص فيمن شهد بدرا مع المشركين فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري ﷺ ، فلما بعث أهل مكة في فداء أساراهم قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع بمال دفعت إليه زينب » « وقد ذكرت فيما تقدم ما وقع بينه وبين زينب بنت رسول الله ﷺ إلى أن استشهدت زينب ، فاسمع الآن حسن عاقبة أبي العاص وحسن إسلامه وانتقاله إلى المدينة حتى توفي بحضرة رسول الله ﷺ »

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : ((لما بعث أهل مكة في فداء أساراهم بعثت زينب ابنة رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال و بعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة و قال : إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها و تردوا عليها الذي لها فافعلوا فقالوا : نعم يا رسول الله فأطلقوه و ردوا عليه الذي لها))، عن عائشة ~ : ((أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص و قال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم و قد اصبتم له مالا فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك و إن أبيتم ذلك فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه قال : فردوا عليه ماله حتى إن الرجل ليأتي بالحبل و يأتي الرجل بالشنة و الأداوة حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه ثم قال : يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه قالوا : لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا اني إنما أردت أخذ أموالكم فلما أداها الله عز و جل إليكم و فرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .))

فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ وَقَالَ أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ~ قَالَتْ : ((لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ' قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ' اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا فَأَعْلِمْنَنِي قَالَتْ فَأَعْلَمْنَاهُ فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ وَقَالَ أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ))

رحمته ﷺ بها أمّـــــاً :

قال ﷻ {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً(٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَـــاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) } (الإسراء)

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ قَالَ :((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُـــمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ))(١).

كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ))(٢)

نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

عَنْ أَسْمَاءَ ~ قَالَت: ((قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ))(١)

أوسط أبواب الجنة

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: ((أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ))(٢)

لقد رحمها الله برحمتها صبيها

عن عائشةَ ~ قالت : جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا. فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ. فَأَعْطَتْ كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً. وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا. فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا. فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا، بَيْنَهُمَا. فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا. فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللّهِ . فَقَالَ ﷺ: « إِنَّ اللّه قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ. أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ » (٣)
وفى رواية غير الصحيحين عن أنس بن مالك ــ قال :((جاءت امرأة إلى عائشة ~ تسأل و معها صبيان فأعطتها ثلاث تمرات فأعطت كل صبي تمرة تمرة و أمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين فعمدت إلى التمرة فشقتها نصفين فأعطت كل صبي لها نصف تمرة فجاء النبي ﷺ فأخبرته فقال : و ما يعجبك منها لقد رحمها الله برحمتها صبيها))(٤)

امرأة تبادرني :

---

(١)متفق عليه.

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني ورواه الحاكم فى مستدركه وقال الذهبي : هذا حديث صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه .

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه الحاكم مستدركه وقال الذهبي:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه والبخاري فى الأدب وصححه الألباني.

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: ((أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أنه تأتي امرأة تبادرني فاقول لها : ما لك ؟ من أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي))(١)

*) رحمته ﷺ بهـــا بنتاً:

أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ))(٢)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ)) (٣)

عن جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((من عال ثلاثا من بنات يكفيهن و يرحمهن ويرفق بهن فهو في الجنة فقال رجل : يا رسول الله واثنتين ؟ قال واثنتين حتى قلنا : إن إنسانا لو قال : واحدة لقال واحدة))(٤)

قد رحمها الله تعالى برحمتها ابنيها

---

(١) رواه أبو يعلى مسنده قال حسين سليم أسد : إسناده جيد وفى المتفق عليه عظم أجر الساعي عليه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ' - « السَّاعِى عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ ، يَشُكُّ الْقَعْنَبِىُّ - كَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ » .

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح لغيره ، وهذا إسناد ضعيف وأبو داود وضعفه الألباني.

(٤) رواه أبو يعلى قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح وصححه الألباني وقال رواه أحمد والبزار والبخاري فى الأدب المفرد ويبدو أنه حديث أبى سعيد السابق والله أعلم.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : ((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ((مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ))(١).

الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁ قَالَ : ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتِ فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ))(٢)

*) نماذج رحمته ﷺ بعموم النساء

اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ : ((رَأَى النَّبِيُّ ' النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ قَالَ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرُسٍ فَقَامَ النَّبِيُّ ' مُمْثِلًا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ))(٣)

رُوَيْدَكَ بِالْقَوَارِيرِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ يَحْدُو فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالْقَوَارِيرِ)) قَالَ أَبُو قِلَابَةَ يَعْنِي النِّسَاءَ (٤)

إِنِّي أَرْحَمُهَا

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد والطبراني فى الكبير وصححه الألباني فى الصحيحة برقم٣٢٠٦ وقد قال ' أنه ضعفه قبل ذلك ثم صححه هنا فالله أعلم.

(٣) متفق عليه

(٤) متفق عليه

عَنْ أَنَسٍ ﷺ: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي))(١)

يَا أُمَّ فُلاَنٍ اجْلِسِى فِى أَىِّ نَوَاحِى السِّكَكِ شِئْتِ

عَنْ أَنَسٍ ـ قَالَ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -'- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً . فَقَالَ لَهَا « يَا أُمَّ فُلاَنٍ اجْلِسِى فِى أَىِّ نَوَاحِى السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَجْلِسَ إِلَيْكِ ». قَالَ فَجَلَسَتْ فَجَلَسَ النَّبِىُّ -'- إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا(٢).

عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : ((اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ ' يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ' عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ فَقَالَ عُمَرُ فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ عُمَرُ يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ' فَقُلْنَ نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ))(٣)

امْرَأَةً مِسْكِينَةً مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِى

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِىِّ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -'- أَخْبَرَهُ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعُودُ مَرْضَى مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ وَضُعَفَائِهِمْ وَيَتْبَعُ جَنَائِزَهُمْ وَلاَ يُصَلِّى عَلَيْهِمْ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ امْرَأَةً مِسْكِينَةً مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِى طَالَ سَقَمُهَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -'- يَسْأَلُ عَنْهَا مَنْ حَضَرَهَا مِنْ جِيرَانِهَا وَأَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَدْفِنُوهَا إِنْ حَدَثَ بِهَا حَدَثٌ

(١)متفق عليه

(٢)رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٣) متفق عليه.

فَيُصَلِّى عَلَيْهَا فَتُوُفِّيَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ لَيْلاً ، فَاحْتَمَلُوهَا فَأَتَوْا بِهَا مَعَ الْجَنَائِزِ أَوْ قَالَ مَوْضِعَ الْجَنَائِزِ عِنْدَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ -'- لِيُصَلِّىَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ -'- كَمَا أَمْرَهُمْ. فَوَجَدُوهُ قَدْ نَامَ بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ فَكَرِهُوا أَنْ يُهَجِّدُوا رَسُولَ اللَّهِ -'- مِنْ نَوْمِهِ فَصَلَّوْا عَلَيْهَا ، ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ -'- سَأَلَ عَنْهَا مَنْ حَضَرَهُ مِنْ جِيرَانِهَا فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهَا وَأَنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يُهَجِّدُوا رَسُولَ اللَّهِ -'- لَهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -'- :« وَلِمَ فَعَلْتُمُ؟ انْطَلِقُوا ». فَانْطَلَقُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -'- حَتَّى قَامُوا عَلَى قَبْرِهَا فَصَفُّوا وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ -'- كَمَا يُصَفُّ لِلصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَائِزِ فَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ -'- وَكَبَّرَ أَرْبَعًا كَمَا يُكَبِّرُ عَلَى الْجَنَائِزِ.))(١)

فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : ((أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ' فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ قَالَ أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ فَقَالَ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ))(٢)

وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ :عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))(١)

---

(١) أخرجه البيهقي (٤ / ٤٨) بإسناد صحيح، والنسائي (١ / ٢٨٠، ٢٨١) مختصرا أحكام الجنائز للعلامة الألباني

(٢) متفق عليه ،واللفظ لمسلم وفى رواية غيرهما أنها امرأة .

(١) رواه البخاري قال ابن حجر ' : قوله (بالنساء خيرا) كأن فيه رمزا إلى التقويم برفق بحيث لا يُبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه .. فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدّت ما طُبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها ، أو ترك الواجب . وإنما المراد أن يتركها عل اعوجاجها في الأمور المباحة . وفي الحديث

وَلِنسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا

عَنْ سُلَيْمَانَ بْن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ﷺ:((أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً فَقَالَ أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ))

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ يَعْنِي أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ))(١)

مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ' شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً

عَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ: ((مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ' شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))(١)

المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب . وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن ، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتمّ إلا بالصبر عليها . فتح ٩/٩٥٤

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(١) رواه مسلم.

٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأطفال

لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ــ عَنِ النَّبِيِّ -'- قَالَ « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا »(١).

اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ù : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا))(١)

اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ فَقَالَ أَيْنَ لُكَعُ ثَلَاثًا ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني والأرناؤوط

(١) رواه البخاري

السِّخَابُ فَقَالَ النَّبِيُّ ' بِيَدِهِ هَكَذَا فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' مَا قَالَ))(١)

لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهَا وَلَكَسَوْتُهَا حَتَّى أُنْفِقَهَا

عَنْ عَائِشَةَ ~ : ((أَنَّ أُسَامَةَ عَثَرَ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَدَمِيَ قَالَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُصُّهُ وَيَقُولُ لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهَا وَلَكَسَوْتُهَا حَتَّى أُنْفِقَهَا))(٢)

كان رسول الله ' يدلع لسانه للحسين

عن أبي هريرة ــ قال : كان رسول الله ' يدلع لسانه للحسين فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه فقال له عيينة بن حصن بن بدر : ألا أرى تصنع هذا بهذا والله ليكون لي الابن قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال رسول الله ' : (من لا يرحم لا يرحم)(٣) .

أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ

عَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ: ((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ' فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ' : أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ))(١)

إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا !!

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد و قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث حسن بطرقه

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه و قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

(١) رواه البخاري

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ قَالَ :((قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ' الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ' ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ))(١)

وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ـ قَالَ : ((صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' صَلَاةَ الْأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا قَالَ وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ))(٢) وفى المعجم الكبير للطبراني عَنْ جَابِرٍ ـ قَالَ : " كَانَ الصِّبْيَانُ يَمُرُّونَ بِالنَّبِيِّ ' ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْسَحُ خَدَّهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْسَحُ خَدَّيْهِ ، فَمَرَرْتُ بِهِ ، فَمَسَحَ خَدِّي ، قَالَ : فَكَانَ الْخَدُّ الَّذِي مَسَحَهُ النَّبِيُّ ' أَحْسَنَ مِنَ الْخَدِّ الآخَرِ " .

مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ '

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ قَالَ : ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ' قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَالَ عَمْرٌو فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ))(١) عَنْهُ ـ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' عَلَى أَبِى سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ À فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ' تَذْرِفَانِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ـ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « يَا

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه مسلم

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم.

ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ » . ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ' « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ » . (١)

فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ ù قَالَتْ : ((أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' سَنَهْ سَنَهْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ قَالَتْ فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' دَعْهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' أَبْلِي وَأَخْلِقِي ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي))(٢)

مج مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ ــ قَالَ : ((عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ ' مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ)) (٣)

أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ قَالَ :((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ كَانَ فَطِيمًا قَالَ فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَرَآهُ قَالَ أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ))(١)وفى رواية الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ ــ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَكَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ وَكَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ' ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنُ أَبِي عُمَيْرٍ حَزِينًا فَقَالُوا مَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ))(٢)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم

(٢) رواه أحمد وصححه الشيخ شعيب الأرؤوناط ورواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني.

كِخٍ كِخٍ

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ' - يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ فَيَجِىءُ هَذَا بِتَمْرِهِ وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ù يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً ، فَجَعَلَهَا فِى فِيهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ' فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ فَقَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ' لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ » وعنه ـ قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ ù تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ ، فَجَعَلَهَا فِى فِيهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ' « كِخٍ كِخٍ - لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ - أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ »(١)

يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ù قَالَ كَانَ النَّبِىُّ ' يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ « إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ »(٢)

{ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ }

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ـ قَالَ: ((خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ' فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ù عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ « صَدَقَ اللَّهُ { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ } رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ ». ثُمَّ أَخَذَ فِى الْخُطْبَةِ))(١).

وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ù قَالَ : ((لَوْ رَأَيْتَنِى وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَىْ عَبَّاسٍ وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ إِذْ مَرَّ النَّبِىُّ 'عَلَى دَابَّةٍ فَقَالَ « ارْفَعُوا هَذَا إِلَىَّ ». قَالَ فَحَمَلَنِى أَمَامَهُ وَقَالَ لِقُثَمَ « ارْفَعُوا هَذَا

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخاري

(١) رواه أحمد وقوى اسناده الأرناؤوط وأصحاب السنن وصححه الألباني

إِلَىَّ ». فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَى عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ فَمَا اسْتَحَى مِنْ عَمِّهِ أَنْ حَمَلَ قُثَماً وَتَرَكَهُ قَالَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِى ثَلاَثاً وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ « اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِى وَلَدِهِ ». قَالَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ قُثَمُ قَالَ اسْتُشْهِدَ. قَالَ قُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ وَرَسُولُهُ بِالْخَيْرِ. قَالَ أَجَلْ))(١).

فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ

قَالَ أَنَسٌ ــ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ’ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ’ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ’ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا))(٢)

هذه الرحمة لعموم الأطفال (٣)ولكن اليتيم فله شأن خاص ومعاملة تليق بأعظم يتيم عرفته الإنسانية ﷺ.

---

(١) رواه أحمد وقال الأرناؤوط إسناده حسن

(٢) رواه مسلم

(٣)فهذا التقرير نشرته مفكرة الإسلام على موقعها على الإنترنت تحت هذا العنوان

الأطفال الذين يموتون بسبب القسوة في الولايات المتحد الأمريكيةعلى الرغم من أنّ وفيات الأطفال الناجمة عن الإساءة أو إهمال نادرة نسبيا، فإن معدل ضحايا الأطفال نتيجة القسوة، الذي أكّدته وكالة الخدمات الوقائية للطفل [CPS]، زاد بثبات خلال العقد الماضي. وقد ذكر النظام الوطني لبيانات الإهمال والاعتداء على الأطفال [NCANDS] أنه في عام ١٩٩٧ كان هناك ما يقارب ١,١٩٦ طفل ضحية، أو ١.٧ طفل لكلّ ١٠٠,٠٠٠ في تعداد السكان العام. [هذا التقدير كان مستندًا إلى تقارير من ٤١ ولاية أبلغت عما مجموعه ٩٦٧ ضحية]. وقد ذكرت اللجنة الاستشارية الأمريكية للإهمال والاعتداء على الطفل في عار أمّة: الإهمال والاعتداء القاتل على الأطفال في الولايات المتّحدة، أن تقديرًا أكثر واقعية لوفيات الأطفال السنوية كنتيجة للإساءة والإهمال، المعروفة وغير المعروفة لوكالات خدمات الطفل الوقائية، كان حوالي ٢,٠٠٠، أو تقريبا خمسة أطفال يوميًا. ويعتقد الخبراء

أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِى الْجَنَّةِ

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ ــ عَنِ النَّبِىِّ -'- قَالَ « وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِى الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ ». وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ.))(١)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ: أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -'- قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ لَهُ « إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ ». (٢)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ عَنِ النَّبِىِّ -'- قَالَ « اللَّهُمَّ إِنِّى أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ ». (١)

عَنْ سَهْلٍ ــ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِى الْجَنَّةِ هَكَذَا » . وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا .(٢)وفى لفظ لمسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِى الْجَنَّةِ ». وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

مثل رايان ريني من المركز الوطني لادعاء الاعتداء على الأطفال أنّ عدد وفيات الأطفال سنويًا بسبب القسوة قد يصل إلى ٥٠٠٠.

الأطفال الصغار هم الأكثر تضررًا

يدعم البحث أن الأطفال الصغار جدا [عمر ٥ سنوات وأصغر] هم الضحايا الأكثر تكرارا من ضحايا الأطفال. وقد وضحت بيانات NCANDS لعام ١٩٩٧ من مجموعة ولايات أنّ الأطفال عمر٣ سنوات أوأصغر يمثلون ٧٧ بالمائة من الضحايا. وهؤلاء هم الأكثر تضررًا للعديد من الأسباب التي تتضمّن صغر حجمهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم. ويحدث الاعتداء القاتل عادة بإحدى طريقين: الاعتداء المتكرّر أو الإهمال لفترة زمنية [انتهاك عرض طفل] أو في حادثة اعتداء مندفعة واحدة [غرق، خنق، أو هزّ الطفل الرضيع، على سبيل المثال].ماذا نقول هذه حياهم مع ذواهم وأنفسهم ..... بل ومع فلذات أكبادهم أبنائهم ؟!

قل لي بالله عليك ماذا ننتظر منهم ..... بعد هذا ..... فلله الأمر من قبل ومن بعد.

(١) رواه أحمد وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره

(٢) رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني فى الصحيحة برقم ٨٥٤

(١) رواه أحمد وقال الشيخ الأرناؤوط :اسناده قوىوابن ماجة وحسنه الألباني وفى الصحيحة برقم ١٠١٥

٦) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالخدم والموالي.

رحمته ﷺ بخدمه ومواليه:

(١) متفق عليه

مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ' شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا

عَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ : ((مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ' شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَىْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَىْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))(١).

مَا قَالَ لِى أُفًّا قَطُّ :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: ((قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ' الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ قَالَ فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا))(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ((قَالَ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهِ مَا قَالَ لِى أُفًّا. قَطُّ وَلاَ قَالَ لِى لِشَىْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا))(٣).

دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ أَوْ قَالَ لَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ كَانَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : خَدَمْتُ النَّبِيَّ ' عَشْرَ سِنِينَ فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ أَوْ ضَيَّعْتُهُ فَلَامَنِي فَإِنْ لَامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ : ((دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ أَوْ قَالَ لَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ كَانَ))(١)

فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ' :

فعن أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ ــ قَالَ : ((كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ~ يَتِيمَةٌ وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ' الْيَتِيمَةَ فَقَالَ آنْتِ هِيَهْ لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ فَرَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ قَالَتْ الْجَارِيَةُ دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ' أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي فَالْآنَ لَا

---

(١) رواه مسلم

(٢) متفق عليه

(٣) رواه مسلم

(١) رواه الإمام أحمد - (ج ٢٦ / ص ٤٨٥) وقال الأرناؤوط حديث صحيح

يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا أَوْ قَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ' فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ' مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي قَالَ وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ' ثُمَّ قَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(١).

يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ :أَنَّ النَّبِيَّ ' قَالَ : ((لَهُ يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ)) قَالَ مَحْمُودٌ قَالَ أَبُو أُسَامَةَ يَعْنِي مَازَحَهُ (٢).

ادْعُ اللَّهَ لَهُ

أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ

عَنْ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ﷺ قَالَ: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))(١) وفى أخرى عَنْه ﷺ قَالَ :كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ' وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ' الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَقُولُ لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللَّهِ ' حَاجَةٌ فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ' سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ قَالَ فَقَالَ لِي يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ قَالَ فَقُلْتُ أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ قَالَ فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي قَالَ فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ' لِآخِرَتِي فَإِنَّهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي قال الشيخ الألباني : صحيح وحسنه الأرنؤوط

(١) رواه مسلم.

وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ قَالَ فَجِئْتُ فَقَالَ مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنْ النَّارِ قَالَ فَقَالَ مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ قَالَ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنْ اللَّهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ' لِآخِرَتِي قَالَ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ' طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))(١).

اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَتْ أُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ . قَالَ ﷺ « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ »(٢)

توجيهات نبوية

لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' ((لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ)) ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَجُّ وَبِرُّ أُمِّي لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ)) (١).

---

(١) رواه أحمد بن حنبل قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن دون قوله : " فأعني على نفسك بكثرة السجود "فصحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق : وهو محمد وقد صرح بالتحديث هنا فانتفت شبهة تدليسه وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) متفق عليه.

فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ

عن َبى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ’ « إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ »٠(٢) .

«إخْوانُكمْ خَوَلُكمْ، جَعَلَهمُ اللّهُ تحتَ أيدِيكُمْ. فَمَنْ كانَ أخوهُ تحتَ يدِه فلْيُطْعِمْهُ ممّا يأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، ولا تُكلِّفوهمُ ما يَغْلِبُهم، فإنْ كلَّفتموهُم فأعِينوهُم »(٣)

أعَيَّرتَهُ بأمِّهِ؟ :

عن المَعْرورِ قال: لَقِيتُ أبا ذَرٍّ ﷺ بالرَّبَذةِ وعليهِ حُلَّة، وعلى غُلامِه حُلَّة، فسألتُه عنْ ذلكَ فقال: إنِّي سابَبْتُ رَجُلاً فعَيَّرتُه بأمِّه، فقال لي النبيُّ ’: « يا أبا ذَرّ، أعَيَّرتَهُ بأمِّهِ؟ إنَّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِليَّة. إخْوانُكمْ خَوَلُكمْ، جَعَلَهمُ اللّهُ تحتَ أيدِيكُمْ. فَمَنْ كانَ أخوهُ تحتَ يدِه فلْيُطْعِمْهُ ممّا يأكُلُ....الحديث »(٤).

لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ :

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي فَدَعَاهُ وَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ امْتَثِلْ مِنْهُ فَعَفَا ثُمَّ قَالَ : ((كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ’ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ’ فَقَالَ أَعْتِقُوهَا قَالُوا لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا قَالَ فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا))(١).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه وبوب عليه البخاري بقوله (باب الأَكْلِ مَعَ الْخَادِمِ)

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه البخاري

(١) رواه مسلم

عن أَبِي عُمَرَ قَالَ : أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ ﷺ وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا قَالَ فَأَخَذَ مِنْ الْأَرْضِ عُودًا أَوْ شَيْئًا فَقَالَ مَا فِيهِ مِنْ الْأَجْرِ مَا يَسْوَى هَذَا إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' يَقُولُ((مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ))(١)

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ ﷺ : ((كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنْ الْغَضَبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَإِذَا هُوَ يَقُولُ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا))وفى رواية ((كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ فَقَالَ أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ))(٢)

كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟!

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ فَصَمَتَ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ فَصَمَتَ فَلَمَّا كَانَ فِى الثَّالِثَةِ قَالَ « اعْفُوا عَنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ».(٣)

حقوق المملوك

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ' قال : (للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف إلا ما يطيق فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم)(١)

خفف عنه ....خفف الله عنك

---

(١) صحيح مسلم - (ج ٨ / ص ٤٦٨)

(٢) الروايتين فى صحيح مسلم - (ج ٨ / ص ٤٧٣)

(٣) سنن أبي داود قال الشيخ الألباني : صحيح

(١) رواه ابن حبان [جزء ١٠ - صفحة ١٥٢]قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٥١٩٢ في صحيح الجامع

عن عمرو بن حريث ﷺ أن رسول الله ' قال : (ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجرا في موازينك)(١).

لا تترفع عليه أو تتكبر

عن أَبَى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' ((لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ اسْقِ رَبَّكَ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ رَبِّي وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ فَتَاتِي غُلَامِي))(٢)

لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».(٣)

٧) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأعراب .

الأعراب وما أدراك ما الأعراب ؟!

- هم الذين وصفهم الله ﷻ بقوله {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨)} [التوبة/٩٧-٩٨]

(١) رواه ابن حبان[جزء ١٠ - صفحة ١٥٣]قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم - وقال الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم : ٥٠٥٨ في ضعيف الجامع - والسلسلة الضعيفة برقم ٤٤٣٧.

(٢) رواه مسلم وأحمد

(٣) رواه مسلم

- بل و أكد على سوء طويتهم بقوله {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)}[التوبة/١٠١، ١٠٢]

- وعلى مداهنتهم بألسنتهم بقوله {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)} [الفتح/١١، ١٢]

- وقلة علمهم بالإسلام ومسائل الإيمان بقوله {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [الحجرات/١٤]

إن لفظ (الأعراب [١])في تلكم الآيات جاء لـ (تنبيه المسلمين لأحوال الأعراب لأنهم لبعدهم عن الاحتكاك بهم والمخالطة معهم قد تخفى عليهم أحوالهم ويظنون بجميعهم خيراً .

و (أشد) و (أجدر) اسما تفضيل و لم يذكر معهما ما يدل على مفضل عليه ، فيجوز أن يكونا على ظاهرهما فيكون المفضل عليه أهل الحضر ، أي كفار ومنافقي المدينة . وهذا هو الذي تواطأ عليه جميع المفسرين .

وازديادهم في الكفر والنفاق هو بالنسبة لكفار ومنافقي المدينة . ومنافقوهم أشد نفاقاً من منافقي المدينة . وهذا الازدياد راجع إلى تمكن الوصفين من نفوسهم ، أي كفرهم أمكن في النفوس من كفر كفار المدينة ، ونفاقهم أمكن من نفوسهم كذلك ، أي أمكن في جانب الكفر منه والبعدِ عن الإقلاع عنه وظهور بوادر الشر منهم ، وذلك أن غلظ القلوب وجلافة

---

(١) يقول أ/ سيد قطب ' والتعبير بهذا العموم يعطي وصفاً ثابتاً متعلقاً بالبدو وبالبداوة . فالشأن في البدو أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله .والجدارة بعدم العلم بما أنزل الله على رسوله ناشئة من ظروف حياتهم ، وما تنشئه في طباعهم من جفوة ، ومن بعد عن المعرفة وعن الوقوف عند الحدود ، ومن مادية حسية تجعل القيم المادية هي السائدة . وإن كان الإيمان يعدل من هذه الطباع ، ويرفع من تلك القيم ، ويصلهم بالأفق الوضيء المرتفع على الحسية

الطبع تزيد النفوس السيئة وحشة ونفوراً . ألا تعلم أن ذا الخويصرة التميمي ، وكان يدعى الإسلام ، لما رأى النبي ' أعطى الأقرع بن حابس ومن معه من صناديد العرب من ذهب قَسمَه قال ذو الخويصرة مواجهاً النبي ' «اعدل» فقال له النبي ' " ويحك ومَن يعدل إن لم أعْدِل (١)

فإن الأعراب لنشأتهم في البادية كانوا بعداء عن مخالطة أهل العقول المستقيمة وكانت أذهانهم أبعد عن معرفة الحقائق وأملأ بالأوهام ، وهُم لبعدهم عن مشاهدة أنوار النبي ' وأخلاقه وآدابه وعن تلقي الهدى صباحَ مساءَ أجهلُ بأمور الديانة وما به تهذيب النفوس ، وهم لتوارثهم أخلاق أسلافهم وبعدهم عن التطورات المدنية التي تؤثّر سُمّوا في النفوس البشرية ، وإتقاناً في وضع الأشياء في مواضعها ، وحكمة تقليدية تتدرج بالأزمان ، يكونون أقرب سيرة بالتوحش وأكثر غلظة في المعاملة وأضيع للتراث العلمي والخلقي؛ ولذلك قال عثمان لأبي ذرّ لما عزم على سكنى الربذة : تَعَهَّد المدينةَ كيلا ترتَدَّ أعرابياً .

فأما في الأخلاق التي تحمد فيها الخشونة والغلظة والاستخفاف بالعظائم مثل الشجاعة؛ والصراحة وإباء الضيم والكرم فإنها تكون أقوى في الأعراب بالجبلة ، ولذلك يكونون أقرب إلى الخير إذا اعتقدوه وآمنوا به .

ويجوز أن يكون { أشد } و { أجدر } مسلوبَيْ المفاضلة مستعملين لقوة الوصفين في الموصوفِين بهما على طريقة قوله تعالى : { قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه } [يوسف : ٣٣] . فالمعنى أن كفرهم شديد التمكن من نفوسهم ونفاقهم كذلك ، من غير إرادة أنهم أشد كفراً ونفاقاً من كفار أهل المدينة ومنافقيها(١) .

---

(١) يقول أ/ سيد قطب ' وكثير من الروايات يكشف عن طابع الجفوة والفظاظة في نفوس الأعراب . حتى بعد الإسلام . فلا جرم يكون الشأن فيهم أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، لطول ما طبعتهم البداوة بالجفوة والغلظة عندما يقهرون غيرهم؛ أو بالنفاق والالتواء عندما يقهرهم غيرهم؛ وبالاعتداء وعدم الوقوف عند الحدود بسبب مقتضيات حياتهم في البادية .{ والله عليم حكيم } .عليم بأحوال عباده وصفاته وطباعهم . حكيم في توزيع المواهب والخصائص والاستعدادات ، وتنويع الأجناس والشعوب والبيئات . "

(١) ابن عاشور التنوير والتحرير

أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد، وأجدر، أي: أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، كما قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوَند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني فقال زيد: ما يُريبك من يدي؟ إنها الشمال. فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أو الشمالَ؟ فقال زيد بن صوحان صدق الله: { الأعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ } عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ:((مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ)) ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي من طرق، (١)ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وإنما كانت البعثة من أهل القرى، كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف:١٠٩] ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله ' فردَّ عليه أضعافها حتى رضي، قال: "لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قُرشي، أو ثَقَفي أو أنصاري، أو دَوْسِيّ" (٢) ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن: مكة، والطائف، والمدينة، واليمن، فهم ألطف أخلاقًا من الأعراب: لما في طباع الأعراب من الجفاء(٢).

- **بِأَبِي وَأُمِّي – ﷺ – فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ :**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ ((أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ' دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))(١)وعَنْه ــ : ((دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ' فَقَالَ لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ' إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ))(٢)

---

(١) قال الشيخ الألباني : صحيح

(٢) ابن كثيرالتفسير.

(١) رواه البخاري مفرقاً

(٢) رواه أحمد هكذا

وعن أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ ــ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ : مَهْ مَهْ. فقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : «إِنَّ هٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هٰذَا لِلْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ " (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَــ قَالَ : ((قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ' فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ' قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ))(٢) وفى رواية (٣) عَنْه ﷺ قَالَ: ((دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ' جَالِسٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَقَالَ :لَقَدْ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَ(فرّج ما بين رجليه) يَبُولُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ فَقَامَ إِلَيَّ بِأَبِي وَأُمِّي فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلٍ مِنْ مَاءٍ فَأُفْرِغَ عَلَى بَوْلِهِ)).

- **فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ قَالَ :((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ أَوْ صَفْحَةَ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ' قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا

---

(١) متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم

(٢) رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر ' قَوْله : (لَقَدْ حَجَّرْت وَاسِعًا ، يُرِيد رَحْمَة اللَّه)
حَجَّرْت بِمُهْمَلَةٍ ثُمَّ جِيم ثَقِيلَة ثُمَّ رَاء أَيْ ضَيَّقْت وَزْنًا وَمَعْنًى ، وَرَحْمَة اللَّه وَاسِعَة كَمَا قَالَ تَعَالَى ، وَاتَّفَقَتْ الرِّوَايَات عَلَى أَنَّ " حَجَّرْت " بِالرَّاءِ لَكِنْ نَقَلَ اِبْن التِّين أَنَّهَا فِي رِوَايَة أَبِي ذَرّ بِالزَّايِ ، قَالَ وَهُمَا بِمَعْنًى ، وَالْقَائِل " يُرِيد رَحْمَة اللَّه " بَعْض رُوَاته وَكَأَنَّهُ أَبُو هُرَيْرَة ، قَالَ اِبْن بَطَّال : أَنْكَرَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَعْرَابِيّ لِكَوْنِهِ بَخِلَ بِرَحْمَةِ اللَّه عَلَى خَلْقه ، وَقَدْ أَثْنَى اللَّه تَعَالَى عَلَى مَنْ فَعَلَ خِلَاف ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) وَقَوْله فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى " اِحْتَظَرْت " بِحَاءٍ مُهْمَلَة وَظَاء مُشَالَة بِمَعْنَى اِمْتَنَعْت ، مَأْخُوذ مِنْ الْحِظَار بِكَسْرِ أَوَّله وَهُوَ الَّذِي يَمْنَع مَا وَرَاءَهُ . [فتح الباري جـــ/ صـــ]

(٣)رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة واللفظ له وصححه الألبانى فى صحيح السنن ابى داود والترمذي وابن ماجة.

حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))(١)

وعن أنس بن مالك ــ قال " كان ﷺ رحيما و كان لا يأتيه أحد إلا وعده و أنجز له إن كان عنده " " و جاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال : إنما بقي من حاجتي يسيرة ، و أخاف أنساها .فقام معه حتى فرغ من حاجته ، ثم أقبل فصلى " .(٢)

- **فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ــ قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ' أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ قَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ' فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ))(٣)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ù قَالَ: ((أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ' بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ' يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ قَالَ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي))(١)

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٢٧٨) و قال فى السلسلة الصحيحة – (ج ٥ / ص ٩٣): و هذا إسناد حسن برقم ٢٠٩٤

(٣) متفق عليه

(١) أصله فى الصحيحين وهذا اللفظ عند مسلم.

- **فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللَّهُ ثَلَاثًا**

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ù أَخْبَرَ: ((أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ' يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ))(١)

- **فَقَالَ النَّبِيُّ ' إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ :**

عَنْ أَنَسٍ ـ : ((أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ' الْهَدِيَّةَ مِنْ الْبَادِيَةِ فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ' إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فَقَالَ النَّبِيُّ ' إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ' يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ' يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ الرَّجُلُ أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ' فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ' حِينَ عَرَفَهُ وَجَعَلَ النَّبِيُّ ' يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا فَقَالَ النَّبِيُّ ' لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ))(٢)

- **قَالَ لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ**

أَبِي أَيُّوبَ ـ : ((أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ' وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ ' ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ قَالَ فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ ' تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعْ النَّاقَةَ))(١)

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد والترمذي فى الشمائل وصححه الألباني

(١) رواه مسلم

- **الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: ((قَدِمَ النَّبِيُّ ' الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحْثُثْنَنِي عَلَى خِدْمَتِهِ فَدَخَلَ عَلَيْنَا دَارَنَا فَحَلَبْنَا لَهُ مِنْ شَاةٍ دَاجِنٍ وَشِيبَ لَهُ مِنْ بِئْرٍ فِي الدَّارِ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَقَالَ لَهُ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ شِمَالِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ أَعْرَابِيًّا عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ (١)

- **فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : ((أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ' مَتَى السَّاعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' مَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) و ﷺ عَنْه قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ' فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) قَالَ أَنَسٌ ﷺ : ((فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ))(٢)

- **فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ((أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ' فَبَيْنَا النَّبِيُّ ' يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ' فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنْ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا

(١) رواه مسلم - (ج ١٠ / ص ٣١٩)

(٢) رواهما مسلم

يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ(١))

- **ويسبق بناقته قعود لأعرابي**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: ((كَانَ لِلنَّبِيِّ ' نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ لَا تُسْبَقُ قَالَ حُمَيْدٌ أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ فَقَالَ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ(٢))

وعن ابن عمر ﷺ قال: ((كنا مع النبي ' في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ' تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال ومن يشهد على ما تقول ؟ قال : " هذه السلمة " فدعاها رسول الله ' وهو بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثا أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها)) (٣).

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : ((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ قَالَ « إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ ». فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ -' - فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ' ثُمَّ قَالَ « ارْجِعْ ». فَعَادَ فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ.))(١)

- **فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه**

وعن ابن عمر ù : ((أن النبي ' مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو فرفع الأعرابي ناحية من الخباء فقال من القوم فقيل رسول الله ' وأصحابه يريدون الغزو فقال هل من عرض الدنيا يصيبون قيل له نعم يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين فعمد إلى بكر له

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه الدارمي وقال الألباني (صحيح) مشكاة المصابيح - (ج ٣ / ص ٢٨٨)

(١) رواه الترمذي و قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني (صحيح)

فاعتقله وسار معهم فجعل يدنو ببكره إلى رسول الله ' وجعل أصحابه يذودون بكره عنه فقال رسول الله ' دعوا لي النجدي فو الذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة

قال فلقوا العدو فاستشهد فأخبر بذلك النبي ' فأتاه فقعد عند رأسه مستبشرًا أو قال مسرورًا يضحك ثم أعرض عنه فقلنا يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه فقال أما ما رأيتم من استبشاري أو قال سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله عز وجل وأما إعراضي عنه فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه (١))

- **هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ**

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : ((جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ ' يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلاَّ قَضَيْتَنِى. فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِى مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّى أَطْلُبُ حَقِّى. فَقَالَ النَّبِىُّ ' « هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ». ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا « إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرٌ فَنَقْضِيَكِ ». فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الأَعْرَابِىَّ وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ. فَقَالَ « أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ » (١)).

- **هُمْ أَهْلُ بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَتِهِمْ**

عَنْ عَائِشَةَ ~ أَنَّهَا قَالَتْ : ((أَهْدَتْ أُمُّ سُنْبُلَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' لَبَنًا فَلَمْ تَجِدْهُ فَقَالَتْ لَهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَدْ نَهَى أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامُ الْأَعْرَابِ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ مَا هَذَا مَعَكِ يَا أُمَّ سُنْبُلَةَ قَالَتْ لَبَنًا أَهْدَيْتُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ اسْكُبِي أُمَّ سُنْبُلَةَ فَسَكَبَتْ فَقَالَ نَاوِلِي أَبَا بَكْرٍ فَفَعَلَتْ فَقَالَ اسْكُبِي أُمَّ سُنْبُلَةَ فَسَكَبَتْ فَنَاوَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ' فَشَرِبَ قَالَتْ عَائِشَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ ' يَشْرَبُ مِنْ لَبَنٍ وَأَبْرَدِهَا عَلَى الْكَبِدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ حُدِّثْتُ أَنَّكَ قَدْ

(١) رواه البيهقي بإسناد حسن – صحيح الترغيب والترهيب – (ج ٢ / ص ٦٨)وقال: (حسن)

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني ورواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح ورواه البزار من حديث عائشة مختصرا

نَهَيْتَ عَنْ طَعَامِ الْأَعْرَابِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِالْأَعْرَابِ هُمْ أَهْلُ بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَتِهِمْ وَإِذَا دُعُوا أَجَابُوا فَلَيْسُوا الْأَعْرَابِ))(١)

- **اللهم بارك لأهلها فيها . يعني العتر**

عن ثوبان مولى رسول الله ’ قال :" نزل بنا ضيف بدوي ، فجلس رسول الله ’ أمام بيوته ، فجعل يسأله عن الناس كيف فرحهم بالإسلام ؟ و كيف حدبهم على الصلاة ؟ فما زال يخبره من ذلك بالذي يسره حتى رأيت وجه رسول الله ’ نضرا ، فلما انتصف النهار و حان أكل الطعام دعاني مستخفيا لا يألوا : أن ائت عائشة ~ فأخبرها أن لرسول الله ’ ضيفا ، فقالت : و الذي بعثه بالهدى و دين الحق ما أصبح في يدي شيء يأكله أحد من الناس ، فردني إلى نسائه ، كلهن يعتذرن بما اعتذرت به عائشة ~ ، فرأيت لون رسول الله ’ خسف ، فقال البدوي : إنا أهل البادية معانون على زماننا ، لسنا بأهل الحاضر ، فإنما يكفي القبضة من التمر يشرب عليها من اللبن أو الماء ، فذلك الخصب ! فمرت عند ذلك عتر لنا قد احتلبت ، كنا نسميها (ثمر ثمر) ، فدعا رسول الله ’ باسمها (ثمر ثمر) فأقبلت إليه تحمحم ، فأخذ برجلها باسم الله ، ثم اعتقلها باسم الله ، ثم مسح سرتها باسم الله ، فحفلت (الأصل :فحطت) فدعاني بمحلب ، فأتيته به ، فحلب باسم الله ، فملأه فدفعه إلى الضيف ،فشرب منه شربة ضخمة ، ثم أراد أن يضعه ، فقال رسول الله ’ :" عل " . ثم أراد أن يضعه ، فقال له : " عل " ، فكرره عليه حتى امتلأ و شرب ما شاء ، ثم حلب باسم الله و ملأه و قال : أبلغ عائشة هذا ، فشربت منه ما بدا لها، ثم رجعت إليه ، فحلب فيه باسم الله ، ثم أرسلني به إلى نسائه ، كلما شرب منهرددته إليه ، فحلب باسم الله فملأه ، ثم قال : ادفعه إلى الضيف فدفعته إليه فقال : باسم الله ، فشرب منه ما شاء الله ، ثم أعطاني ، فلم آل

(١) رواه أحمدوقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح وقال الألباني فى السلسلة الصحيحة (صحيح) - (ج ٦ / ص ٤٨٤)أخرجه الحاكم (٤ / ١٢٨) و أحمد (٦ / ١٣٣) و البزار (٢ / ٣٩٥) و قال الحاكم : " صحيح الإسناد " . و وافقه الذهبي ، و هو كما قالا .و قال الهيثمي في " المجمع " (٤ / ١٤٩) : " رواه أحمد و أبو يعلى و البزار ،و رجاله رجال الصحيح " . قلت : و كذلك رجال البزار في إحدى روايتيه (١٩٤١).

أن أضع شفتي علىدرج شفته ، فشربت شرابا أحلى من العسل ، و أطيب من المسك ، ثم قال " " اللهم بارك لأهلها فيها . يعني العتر " (١).

- **فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا أَلْوَانُهَا قَالَ حُمْرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا مِـــنْ أَوْرَقَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ قَالَ أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ قَالَ فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ))(٢)

- **عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ**

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : ((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ قَالَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))(١)

(١) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٦٢٥ : أخرجه بحشل في " تاريخ واسط " (ص ٢٧ - ٢٩) : و هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال " التهذيب "

(٢) متفق عليه

(١) رواه مسلم

٨) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجن

- **فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : ((أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ' إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقَالَ أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ فَقُلْتُ مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ قَالَ هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ **وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ** فَسَأَلُونِي الزَّادَ **فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ** أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا))(١)

(١) رواه البخاري

فيه رحمته ﷺ لهم : باستقبال وفدهم فى قوله ﷺ (أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ)، وثنائه عليهم وتزكيته إياهم فى قوله ﷺ (وَنِعْمَ الْجِنُّ) ،وإجابة سؤالهم بدعاء لهم فى قوله ﷺ (فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ)

- **فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**

عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -' - لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ فَقَالَ عَلْقَمَةُ أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -' - لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ: ((لاَ وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِى الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ قَالَ : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ قَالَ : فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ : « أَتَانِى دَاعِى الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ». قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِى أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ »(١) وفى الترمذي ((لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلَا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنْ الْجِنِّ.))

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : ((قَدِمَ وَفْدُ الْجِنِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ انْهَ أُمَّتَكَ أَنْ يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثَةٍ أَوْ حُمَمَةٍ(٢) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَنَا فِيهَا رِزْقًا قَالَ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ' عَنْ ذَلِكَ))(٣)

فيه رحمته ﷺ لهم : الموافقة والإجابة لما أتاه داعيتهم فى قوله ﷺ (أَتَانِى دَاعِى الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ) ، قراءته عليهم القرآن وهى الرحمة المترلة على الرحمة المرسلة من الرحمن ذي الرحمة فى قوله ﷺ (فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ) ، لين جانبه وحسن خلقه معهم حتى سأله ﷺ الزاد فربما

---

(١) رواه احمد ومسلم والترمذي شرح النووي على مسلم - (ج ٢ / ص ١٩٨) قوله : (اُسْتُطِيرَ أَوْ اُغْتِيلَ)مَعْنَى اُسْتُطِيرَ طَارَتْ بِهِ الْجِنّ ، وَمَعْنَى اُغْتِيلَ قُتِلَ سِرًّا ، وَالْغِيلَة بِكَسْرِ الْغَيْن هِيَ الْقَتْل فِي خُفْيَة (شرح النووى على مسلم)

(٢)حُمَمَةٍ (بضم الحاء وفتح الميمين والحمم الفحم وما أحرق من الخشب والعظام ونحوهما)

(٣) رواه أبو داود قال الشيخ الألباني : صحيح

يكون عند بعض الخلق حدة أو شدة تمنع السائل من إستفياء مسألته (وَسَأَلُوهُ الزَّادَ)، رحمته بهم فى إجابتهم فى قوله ﷺ (لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِى أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا) بل وزادهم مالم يسألوه فى طعام دوابهم فى قوله ﷺ (وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ) ثم رحمته بهم فى نهيه مسلمى الأنس عن تنجيس هذا الطعام والزاد وفيه مراعاة لهم ولحاجتهم فى قوله ﷺ (لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلَا بِالْعِظَامِ) ثم الحظ رحمته ﷺ بنا وبهم وهو يربط بيننا برباط الأخوة الإيمانية فلفظ الأخوة يفح بالرحمة والرأفة وأن لهذه الأخوة حقوق وواجبات لابد من مراعاتها والحفاظ عليها فى قوله ﷺ (فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنْ الْجِنِّ)فأي رحمة هذه التى جمعت جميع الخلق ورعاية مصالحهم وشئونهم دون أن نراه أو نحس بهم .

- **إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ))(١) و تأمل هذا الحديث تجد أخوة الإسلام ورباط الإيمان يمنع من القتل يوجب الاستئذان حتى عندما تجد ما يهولك ويدخل الرعب فى قلبك وان كان هذا وضح جليا فى زمن الصحابة è .

- **لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ**

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ’ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }قَالُوا لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ))(١) فيه ثنائه ﷺ على ردهم وإقراره عليهم فصارت سنة أعلمنا بها رسول ﷺ أنها من قول إخواننا من مؤمني الجن .

- **فَإِذَا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ’ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ**

(١) رواه مسلم

(١) رواه الترمذي قال الشيخ الألباني : حسن

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : ((خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خَيْبَرَ فَاتَّبَعَهُ رَجُلَانِ وَآخَرُ يَتْلُوهُمَا يَقُولُ ارْجِعَا ارْجِعَا حَتَّى رَدَّهُمَا ثُمَّ لَحِقَ الْأَوَّلَ فَقَالَ إِنَّ هَذَيْنِ شَيْطَانَانِ وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ بِهِمَا حَتَّى رَدَدْتُهُمَا فَإِذَا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ' فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّا هَاهُنَا فِي جَمْعِ صَدَقَاتِنَا وَلَوْ كَانَتْ تَصْلُحُ لَهُ لَبَعَثْنَا بِهَا إِلَيْهِ قَالَ فَلَمَّا قَدِمَ الرَّجُلُ الْمَدِينَةَ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ' فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ' عَنْ الْخَلْوَةِ)) (١)

قال العلامة أحمد شاكر ' : من الواضح أن الذي أمر الشيطانين بالرجوع كان من مؤمني الجن.

فى الحديث : الرحمة المتبادلة بين أهل الإيمان حتى لو كانوا إنس وجن ،وأنهم يعدون وينافحون عن إخوانهم فى العقيدة ، وحب الجن لأهل الإسلام ، وشوقهم إلى رسول الله ﷺ ، وإقرائهم السلام له ﷺ مع بعض صحبه ،وأنهم يجمعون زكاتهم ويؤدونها إلى من يستحقونها منهم ، رحمة النبى ﷺ بأمته بنهيهم عن الخلوة .

(١) رواه أحمد والحاكم هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ووافقه الذهبي والألباني فى الصحيحة برقم ٢٦٥٨ وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن

٩) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالأمة في الدنيا والآخرة.

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }(التوبة ١٢٨ - ١٢٩)

قال العلامة السعدي ‘(١) :

يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ’ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

{ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

(١) التفسير

{ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ } فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. { بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره { فَإِنْ } آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن { تَوَلَّوا } عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تزل في دعوتك، وقل { حَسْبِيَ اللَّهُ } أي: الله كافيٌّ في جميع ما أهمني، { لا إِلَهَ إِلا هُوَ } أي: لا معبود بحق سواه.

{ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ } أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى.

وقال الفخر الرازي(١) فى قوله ﷻ:{ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ }

الصفة الرابعة والخامسة: قال ابن عباس ù: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه ، فقال : {بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ } و لم يقل : رؤوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق ؟

الجواب أن قوله: {بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ } يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط ، فلهذه الدقيقة عدل على ذلك النسق)).

وقال القاضي عياض ‘(١) :

(قال السمرقندي : و قرأ بعضهم : من أنفسكم ــ بفتح الفاء و قراءة الجمهور بالضم

(١) التفسير الكبير جـ٨ صـ١٩٣

(١) الشفا جـ١ صـ١٧.

قال القاضي الإمام أبو الفضل ــ [وفقه الله] أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين : من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه و يتحققون مكانه و يعلمونه صدقه و أمانته فلا يتهمونه بالكذب و ترك النصيحة لهم لكونه منهم و أنه لم تكن في العرب قبيلة إلا و لها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة [و هو عند ابن عباس و غيره معنى قوله تعالى : { قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}(الشورى: من الآية٢٣)] و كونه من أشرفهم و أرفعهم و أفضلهم على قراءة الفتح و هذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة و أثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم و رشدهم و إسلامهم و شدة ما يعنتهم و يضر بهم في دنياهم و أخراهم و عزته و رأفته و رحمته بمؤمنهم .

قال بعضهم : أعطاه اسمين من أسمائه : رؤوف رحيم

و مثله في الآية الأخرى : قوله تعالى : {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (آل عمران:١٦٤)

و في الأية الأخرى : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الجمعة:٢)

و قوله تعالى : {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة:١٥١)

و قال جعفر ابن محمد : علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم و بينه مخلوقا من جنسهم في الصورة و ألبسه من نعمته الرأفة و الرحمة و أخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته و موافقته فقال تعالى : {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}(النساء: من الآية٨٠). إ.هـ))

وقد ضرب لرحمته وشفقته على أمته، مثلا برجلٍ استوقد نارا فلما أضاءت جعل الفراش والدواب تقع في النار والرجل يحاول منعها وحجزها عن النار، وهي تأبى إلا الوقوع فيها.
كما فى الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ’ ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))(١)

قال القاضي عياض ’ : ((أما إحسانه و أنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم و رحمته لهم و هدايته إياهم و شفقته عليهم و استنفاذهم به من النار و أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم و رحمة للعالمين و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا و يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلهم الكتاب و الحكمة و يهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا و أعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين ؟ و أي إفضال أعم منفعة و أكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية و منقذهم من العماية و داعيهم إلى الفلاح و وسيلتهم إلى ربهم و شفيعهم و المتكلم عنهم و الشاهد لهم و الموجب لهم البقاء الدائم و النعيم السرمد))(١).

(١) رواه مسلم والتقحم الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، والحجز جمع حجزة وهي معقد الإزار.
(١) الشفا جـ١ صـ١٨.

نماذج من رحمته ﷺ بالأمة

- **أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ**

عَنْ أَبِي مُوسَى ــ قَالَ : ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ))وفى رواية الحاكم عن أبي بردة ، قال : بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبا ، فقال رجل ، من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ’ : مما تعجب يا أبا بردة ؟ قلت : أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض ، قال : فلا تعجب فإني سمعت والدي ، أخبرني أنه سمع رسول الله ’ يقول : « إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب ، إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن »(١)

(١) رواه أبو داود والحاكم وقال الذهبى صحيح الإسنادوصححه الألباني فى الصحيحة برقم ٩٥٩

- **وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**

عَنْ ثَوْبَانَ ـ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))وعَنْه ـ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ' قَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَه))(١)

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ـ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' : ((أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللَّهِ ' اللَّيْلَةَ كُلَّهَا حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْ صَلَاتِهِ جَاءَهُ خَبَّابٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلَاةً مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' أَجَلْ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شِيَعًا فَمَنَعَنِيهَا))(١)

- **بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ**

(١) رواه مسلم

(١) رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

عَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِى الأَرْضِ ». وَهُوَ يَشُكُّ فِى السَّادِسَةِ قَالَ « فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِى الآخِرَةِ نَصِيبٌ »(١).

- **إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي**

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ' ~ تَقُولُ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ رَحْمَةٌ))(٢)

وفى رواية البخاري عَنْ عَائِشَةَ ~ زَوْجِ النَّبِيِّ ' قَالَتْ : ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ قَالَتْ وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا { هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا }(٣)))

وأرشدهم إلى الدعاء وقتها فعَنْ عَائِشَةَ ~ زَوْجِ النَّبِيِّ ' أَنَّهَا قَالَتْ : ((كَانَ النَّبِيُّ ' إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ قَالَتْ وَإِذَا تَخَيَّلَتْ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ :{ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا }))(١)

---

(١) رواه أحمد والحاكم وقال الذهبي صحيح الإسناد ،وصححه الألباني صحيح الجامع ٢٨٢٥ والسناء:ارتفاع المترلة والقدر.

(٢) رواه مسلم

(٣) متفق عليه

(١) رواه مسلم وغيره

نماذج من رحمته ﷺ بالأمة فى الأمور الشرعية

قال ﷻ عنه ﷺ { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ **يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ** الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) }[الأعراف/١٥٦-١٥٧]

- **فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ù أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ' حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِهِ « بَيْنَمَا أَنَا فِى الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ فِى الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا ، إِذْ أَتَانِى آتٍ فَقَدَّ - قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهْوَ إِلَى جَنْبِى مَا يَعْنِى بِهِ

قَالَ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِى ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا ، فَغُسِلَ قَلْبِى ثُمَّ حُشِىَ ، ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ » . - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ قَالَ أَنَسٌ نَعَمْ ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ - « فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِى جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ، فَقَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ . فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ، ثُمَّ قَالاَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ . فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ . قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِى حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ . فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِى حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ' - . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِى حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قَالَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا مُوسَى قَالَ هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى ، قِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِى لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِى ، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ

أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِى . ثُمَّ صَعِدَ بِى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلاَمَ قَالَ مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِىِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ رُفِعَتْ لِى سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ . فَقُلْتُ مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ ، فَنَهَرَانِ فِى الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ . ثُمَّ رُفِعَ لِى الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ هِىَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ . ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَىَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ . فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ بِمَا أُمِرْتَ قَالَ أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّى وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ . فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّى عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّى عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّى عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ بِمَا أُمِرْتَ قُلْتُ أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّى قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ . قَالَ سَأَلْتُ رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ – قَالَ – فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِى »(١) .

- **وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِهِ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:"ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالآخَرُ عَنْهُ وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِهِ" (٢)

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري

(٢) رواه الطبراني فى الكبير وقال الهيثمى : (رواه الطبراني في (الاوسط) و (الكبير) واسناده حسن) وقال

عَنْ أَبِي رَافِعٍ ﷺ قَالَ : ((ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ' بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجِيَّيْنِ خَصِيَّيْنِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا عَمَّنْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ وَلَهُ بِالْبَلَاغِ وَالْآخَرُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَدْ كَفَانَا(١)))

وعن جابر بن عبد الله ù أن رسول لله ' أتى بكبشين أقرنين أملحين عظيمين موجوأين فأضجع أحدهما [وقال :بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وآل محمدثم أضجع الآخر] فقال : " بسم الله والله أكبر عن محمد وأمته من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ "(٢)

- **مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : ((قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ' يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ' مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ (١))

- **فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**

عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ : ((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ' يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ' فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ' قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا

الألباني: فيه القتباني فيه ضعف يسير وأخرج له مسلم في الشواهد فالاسناد حسن

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير بنحوه وإسناد أحمد والبزار حسن وقال الألباني : وهذا إسناد حسن لولا أن شريكا وهو ابن عبد الله القاضي سئ لحفظ لكن قد تابعه جماعة من الثقات عن عبد الله بن محمد وهو ابن عقيل وتابع هذا ، وضعفه الأرناؤوط .

(٢) وقال الهيثمي رواه أبو يعلى وإسناده حسن . ولجابر حديث رواه أبو داود باختصار مجمع الزوائد [جزء ٤ - صفحة ١٩]

(١) رواه البخارى وغيره

وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي (١)) ولمسلمٍ ((عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ' سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ' عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا آكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

- **وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ**

---

(١) متفق عليه . وقال الحافظ ابن حجر ' فتح الباري لابن حجر فو قوله ﷺ(فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)الْمُرَاد بِالسُّنَّةِ الطَّرِيقَة لَا الَّتِي تُقَابِل الْفَرْض ، وَالرَّغْبَة عَنْ الشَّيْء الْإِعْرَاض عَنْهُ إِلَى غَيْره ، وَالْمُرَاد مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَمَّحَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيق الرَّهْبَانِيَّة فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ اِبْتَدَعُوا التَّشْدِيد كَمَا وَصَفَهُمْ اللَّه تَعَالَى وَقَدْ عَابَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَا وَفُّوهُ بِمَا الْتَزَمُوهُ ، وَطَرِيقَة النَّبِيّ ' الْحَنِيفِيَّة السَّمْحَة فَيُفْطِر لِيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْم وَيَنَام لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَام وَيَتَزَوَّج لِكَسْرِ الشَّهْوَة وَإِعْفَاف النَّفْس وَتَكْثِير النَّسْل . وَقَوْله فَلَيْسَ مِنِّي إِنْ كَانَتْ الرَّغْبَة بِضَرْبٍ مِنْ التَّأْوِيل يُعْذَر صَاحِبه فِيهِ فَمَعْنَى " فَلَيْسَ مِنِّي " أَيْ عَلَى طَرِيقَتِي وَلَا يَلْزَم أَنْ يَخْرُج عَنْ الْمِلَّة وَإِنْ كَانَ إِعْرَاضًا وَتَنَطُّعًا يُفْضِي إِلَى اِعْتِقَاد أَرْجَحِيَّة عَمَله فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي لَيْسَ عَلَى مِلَّتِي لِأَنَّ اِعْتِقَاد ذَلِكَ نَوْع مِنْ الْكُفْر . وَفِي الْحَدِيث دَلَالَة عَلَى فَضْل النِّكَاح وَالتَّرْغِيب فِيهِ ، وَفِيهِ تَتَبُّع أَحْوَال الْأَكَابِر لِلتَّأَسِّي بِأَفْعَالِهِمْ وَأَنَّهُ إِذَا تَعَذَّرَتْ مَعْرِفَته مِنْ الرِّجَال جَازَ اِسْتِكْشَافه مِنْ النِّسَاء ، وَأَنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَى عَمَل بِرّ وَاحْتَاجَ إِلَى إِظْهَاره حَيْثُ يَأْمَن الرِّيَاء لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَمْنُوعًا . وَفِيهِ تَقْدِيم الْحَمْد وَالثَّنَاء عَلَى اللَّه عِنْد إِلْقَاء مَسَائِل الْعِلْم وَبَيَان الْأَحْكَام لِلْمُكَلَّفِينَ وَإِزَالَة الشُّبْهَة عَنْ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَأَنَّ الْمُبَاحَات قَدْ تَنْقَلِب بِالْقَصْدِ إِلَى الْكَرَاهَة وَالِاسْتِحْبَاب . وَقَالَ الطَّبَرِيُّ : فِيهِ الرَّدّ عَلَى مَنْ مَنَعَ اِسْتِعْمَال الْحَلَال مِنْ الْأَطْعِمَة وَالْمَلَابِس وَآثَرَ غَلِيظ الثِّيَاب وَخَشِن الْمَأْكَل . قَالَ عِيَاض هَذَا مِمَّا اِخْتَلَفَ فِيهِ السَّلَف فَمِنْهُمْ مَنْ نَحَا إِلَى مَا قَالَ الطَّبَرِيُّ وَمِنْهُمْ مَنْ عَكَسَ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتكُمْ فِي حَيَاتكُمْ الدُّنْيَا) قَالَ وَالْحَقّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَة فِي الْكُفَّار وَقَدْ أَخَذَ النَّبِيّ ' بِالْأَمْرَيْنِ . قُلْت : لَا يَدُلّ ذَلِكَ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ إِنْ كَانَ الْمُرَاد الْمُدَاوَمَة عَلَى إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ ، وَالْحَقّ أَنَّ مُلَازَمَة اِسْتِعْمَال الطَّيِّبَات تُفْضِي إِلَى التَّرَفُّه وَالْبَطَر وَلَا يَأْمَن مِنْ الْوُقُوع فِي الشُّبُهَات لِأَنَّ مَنْ اِعْتَادَ ذَلِكَ قَدْ لَا يَجِدهُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَطِيع الِانْتِقَال عَنْهُ فَيَقَع فِي الْمَحْظُور كَمَا أَنَّ مَنْع تَنَاوُل ذَلِكَ أَحْيَانًا يُفْضِي إِلَى التَّنَطُّع الْمَنْهِيّ عَنْهُ وَيَرُدّ عَلَيْهِ صَرِيح قَوْله تَعَالَى { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ } كَمَا أَنَّ الْأَخْذ بِالتَّشْدِيدِ فِي الْعِبَادَة يُفْضِي إِلَى الْمَلَل الْقَاطِع لِأَصْلِهَا وَمُلَازَمَة الِاقْتِصَار عَلَى الْفَرَائِض مَثَلًا وَتَرْك التَّنَفُّل يُفْضِي إِلَى إِيثَار الْبَطَالَة وَعَدَم النَّشَاط إِلَى الْعِبَادَة وَخَيْر الْأُمُور الْوَسَط ، وَفِي قَوْله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ مَعَ مَا اِنْضَمَّ إِلَيْهِ إِشَارَة إِلَى ذَلِكَ ، وَفِيهِ أَيْضًا إِشَارَة إِلَى أَنَّ الْعِلْم بِاَللَّهِ وَمَعْرِفَة مَا يَجِب مِنْ حَقّه أَعْظَم قَدْرًا مِنْ مُجَرَّد الْعِبَادَة الْبَدَنِيَّة ، وَاَللَّهُ أَعْلَم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ' قَالَ « انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِى وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِى أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّى أُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ » (١) وفى لفظٍ للبخاري سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ ، وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ حَمُولَةً ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَشُقُّ عَلَىَّ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّى ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّى قَاتَلْتُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلْتُ ، ثُمَّ أُحْيِيتُ ثُمَّ قُتِلْتُ ، ثُمَّ أُحْيِيتُ » .و لمسلمٍ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ' فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِى يَدِهِ لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِى وَلاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِى ».

- **إِنَّهُ لَوَقْتُهَا لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى**

عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ' لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ حَتَّى رَقَدَ النَّاسُ وَاسْتَيْقَظُوا ، وَرَقَدُوا وَاسْتَيْقَظُوا ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ :الصَّلاَةَ . قَالَ عَطَاءٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَخَرَجَ نَبِىُّ اللَّهِ ' كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ الآنَ ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى لأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا هَكَذَا» متفق عليه وفى لفظ لمسلمٍ عَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ أَعْتَمَ النَّبِىُّ ' ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى فَقَالَ « إِنَّهُ لَوَقْتُهَا لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى ».

- **لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى**

(١) متفق عليه

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ قَالَ « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى – أَوْ عَلَى النَّاسِ– لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ »(١) .

- **افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ù : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ وَقَفَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونه، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ . فَقَالَ « اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ » . فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ ، فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِىَ . قَالَ « ارْمِ وَلاَ حَرَجَ » . فَمَا سُئِلَ النَّبِىُّ ’ عَنْ شَىْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ (٢)).

- **لَكِنِّى خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**

عَنْ عَائِشَةَ ~ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى فِى الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّوْا مَعَهُ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ’ فَصَلَّوْا بِصَلاَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَىَّ مَكَانُكُمْ ، لَكِنِّى خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا»(١) .

- **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ’ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ». فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’« لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ – ثُمَّ قَالَ – ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

(١) متفق عليه

قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ »(١).

نماذج من رحمته ﷺ بالأمة فى أمور الآخرة

- **دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ**

أَبِي هُرَيْرَةَ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’قَالَ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ))(٢)

- **إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ù : ((أَنَّ النَّبِيَّ ’ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي }الْآيَةَ
وَقَالَ عِيسَى ﷺ { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ Àفَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ’ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ))(١).

---

(١) رواه البخاري مختصرا ومسلم بلفظه وغيره

(٢) متفق عليه

(١) رواه مسلم

- **يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي**

روى الإمام البخاري ' بسنده إلى مَعْبَد بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: ((اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَقُلْنَا لِثَابِتٍ لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَقَالَ يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَقَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ' قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ' فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ هِيهْ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا قُلْنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ وَقَالَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ

فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ(١))) وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ ’ بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ Àفَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ . وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِى عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، **نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى** ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِى دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِى **نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى** اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَنْتَ نَبِىُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ – فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِى الْحَدِيثِ – **نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى** ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، **نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى** ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري

اشْفَعْ لَنَا أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ' فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ' فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِى ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، **فَأَقُولُ أُمَّتِى يَا رَبِّ ، أُمَّتِى يَا رَبِّ** فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ **أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ** ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » .

١٠) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالعصاة

المعصية تلك المصيبة التى لو نزلت بالعبد سقط من عين الحق والخلق ، بل ربما استقذر البعض من ذكر أصحابها فى مجالسهم ، فهم أهل المعايب والمثالب ، لا كرامة لهم ، ولا وزن لمشاعرهم ، يلاقيهم الناس باللوم والعتاب ، وربما باللعن والسباب ، وعبوس الوجه وتجهم الملامح .

ولكن ماذا لو حال الطبيب بين المريض و دوائه ؟

بل كيف تنظر الأم إلى ولدها المصاب المبتلى؟

وإذا رحمت فأنت أم أو أبَ هذان في الدنيا هما الرحماءُ

- **أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ))(١)

---

(١) رواه البخاري ، لعل هذا تحقيقٌ لقوله ﷻ { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(٣٢) } فاطر يقول الإمام ابن كثير ' :

يقول تعالى: { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } يا محمد من الكتاب، وهو القرآن { هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } أي: من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالتنويه ، وأنه مترل من رب العالمين.

{ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ } أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على مَنْ سواه. ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل مترلة محمد ' فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) } .

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع:

فقال: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

{ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

{ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ } وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا }، قال: هم أمة محمد ' وَرَّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغْفَر له، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وعن ابن عباس، عن رسول الله ' أنه قال ذات يوم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي". قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ' .

وهكذا رُوي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين، على ما فيه من عوج وتقصير. وقال آخرون: بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين الكتاب.

والصحيح: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله '، من طرق يشد بعضها بعضا، ونحن نورد منها ما تيسر:

الحديث الأول: ما رواه الإمام أحمد بسنده عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ -'- أَنَّهُ قَالَ فِى هَذِهِ الآيَةِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قَالَ « هَؤُلاَءِ

كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ وَكُلُّهُمْ فِى الْجَنَّةِ »(ورواه الترمذي قال الشيخ الألباني : صحيح).

ومعنى قوله: "بمنزلة واحدة" أي: في أنهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة.

الحديث الثاني: وروى الإمام أحمد ' بسنده عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -'- يَقُولُ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَاباً يَسِيراً وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحْبَسُونَ فِى طُولِ الْمَحْشَرِ ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلاَفَاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } (رواه أحمد وغيره وضعفه الألباني والأرناؤوط ثم ذكر الإمام الحافظ ابن كثير عدة من الأحاديث.).

وذكر ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ -وهو أعلم تبارك وتعالى- فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك فيقول الرب عز وجل: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي: وتلا عبد الله هذه الآية: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } الآية.

أثر آخر: قال أبو داود الطيالسي بسنده عن عقبة بن صُهْبَان الهُنَائي قال: سألت عائشة، ~، عن قول الله: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } الآية، فقالت لي: يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ' ، شهد له رسول الله ' بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم. قال: فجعلت نفسها معنا .وهذا منها، ~، من باب الهَضْم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال عبد الله بن المبارك، ': قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، _: في قوله تعالى: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } قال: هي لأهل بدونا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وسابقنا أهل الجهاد. رواه ابن أبي حاتم.وعن كعب الأحبار قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله تعالى قال: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } إلى قوله: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ } قال: فهؤلاء أهل النار.أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } إلى قوله: { بِإِذْنِ اللَّهِ } قال: تماسَّت مناكبهم ورَب كعب ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.عن أبي إسحاق السَّبيعي في هذه الآية: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } الآية، قال أبو إسحاق: أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج.وعن محمد بن الحنفية قال: إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله.

وقال أبو الجارود: سألت محمد بن علي -يعني: الباقر-عن قوله: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } فقال: هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا. فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام. وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا

- **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ' : ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ)) (١)

- **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**

وعن أبي أُمَامَةَ ــ قال: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))(٢) .

- **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ــ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ' فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى : ((لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي)) (1) ﷺللذَّاكِرِينَ} (هود: ١١٤) قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ قَالَ وفى رواية لمسلم قَالَ أَصَابَ رَجُلٌ مِنْ امْرَأَةٍ شَيْئًا دُونَ الْفَاحِشَةِ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ' فَذَكَرَه.

يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) } .يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المترل من رب العالمين يوم القيامة. إ.هـ (بتصريف من تفسير ابن كثير)

(١) رواه البخاري

(٢) رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح والمعجم الكبير للطبراني .

(١) رواه البخاري ومسلم.

- **كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ سَمِعْتُ : رَسُولَ اللَّهِ ' يَقُولُ : ((كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ))(١)

- **مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ ؟**

عن خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ــ ، قَالَ :((نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' مَرَّ الظَّهْرَانِ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بنسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ ، فَأَعْجَبْنَنِي ، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي ، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْ قُبَّتِهِ ، فَقَالَ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ ؟ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ' هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ لِي شَرَدَ ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الأَرَاكَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خَضِرَةِ الأَرَاكِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، أَوْ قَالَ : يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، فَقَالَ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ ؟ ،ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ ، إلا قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ ؟ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ ' ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِي ، فَقَالَ : طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' ولأُبْرِئَنَّ صَدْرَهُ ، فَلَمَّا قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ ؟ ، فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ ثَلاثًا ، ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ (١)) .

---

(١) رواه مسلم .

(١)المعجم الكبير للطبراني – (ج ٤ / ص ٢٧٤) قال الهيثمي رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة . المجمع ٤٠١/٩ وبالرجوع إلى المعجم الكبير للطبراني ٢٠٣/٤ تبين أن الرواية من طريق

- **شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ :عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ:((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))(١)

- **لا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ــ : ((أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ' كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ' وَكَانَ النَّبِيُّ ' قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ': لا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))(٢)

- **لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ قَالَ: ((أُتِيَ النَّبِيُّ ' بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ))(١) وعَنهْ ــ قال :((أُتِيَ النَّبِيُّ ' بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ اضْرِبُوهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ قَالَ : [فقال رسول الله '] لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ))(٢)

زيد بن أسلم يحدّث أن خوات بن جبير قال نزلنا .. وفي ترجمة خوات ــ في التهذيب : وأرسل عنه زيد بن أسلم وفي الإصابة في وفاة خوات سنة ٤٠ أو ٤٢ وأما زيد بن أسلم ففي السير أنه توفي سنة ١٣٦ وعلى ذلك فالسند منقطع .

(١) والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(١) رواه البخاري.

(٢)رواه البخاري.

- **لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ وَلَكِنْ قُولُوا رَحِمَكَ اللَّهُ**

وفي رواية ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’ :((لأَصْحَابِهِ بَكِّتُوهُ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ مَا خَشِيتَ اللَّهَ وَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ’ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ وَقَالَ فِي آخِرِهِ وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ الْكَلِمَةَ وَنَحْوَهَا))(١)وفي رواية :((فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ :أَخْزَاكَ اللَّهُ .قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’: لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ وَلَكِنْ قُولُوا رَحِمَكَ اللَّهُ))(٢).

- **لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ**

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ : ((قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ’ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ « وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’ « وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ النَّبِىُّ -’- مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -’- « فِيمَ أُطَهِّرُكَ ». فَقَالَ مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ’« أَبِهِ جُنُونٌ ». فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ « أَشَرِبَ خَمْرًا ». فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’-« أَزَنَيْتَ ». فَقَالَ نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ’ فَوَضَعَ يَدَهُ فِى يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِى بِالْحِجَارَةِ - قَالَ - فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ’وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ». قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ. - قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ’ « لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ (١)»

---

(١) أبو داود كتاب الحدود باب الحد في الخمر رقم ٤٤٧٨ ٤/٦٢٠ ، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٧٥٩.

(٢) رواه أحمد ٢/٣٠٠ قال أحمد شاكر : إسناده صحيح المسند ت. أحمد شاكر رقم ٧٩٧٣.

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم

يَزِيدُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : ((كَانَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أَبِي فَأَصَابَ جَارِيَةً مِنْ الْحَيِّ فَقَالَ لَهُ أَبِي ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ' فَأَخْبِرْهُ بِمَا صَنَعْتَ لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ لَكَ وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَخْرَجًا فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَعَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَعَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعَ مِرَارٍ قَالَ ' إِنَّكَ قَدْ قُلْتَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَبِمَنْ قَالَ بِفُلَانَةٍ فَقَالَ هَلْ ضَاجَعْتَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ هَلْ بَاشَرْتَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ هَلْ جَامَعْتَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ فَأُخْرِجَ بِهِ إِلَى الْحَرَّةِ فَلَمَّا رُجِمَ فَوَجَدَ مَسَّ الْحِجَارَةِ جَزِعَ فَخَرَجَ يَشْتَدُّ فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ وَقَدْ عَجَزَ أَصْحَابُهُ فَنَزَعَ لَهُ بِوَظِيفِ بَعِيرٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَتَلَهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ' فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَتُوبَ فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ(١)

- **مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ**

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ــ:((أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي فَرَدَّهُ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالُوا مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ قَالَ فَجَاءَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى قَالَ إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ قَالَ اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ

(١) رواه أبو داود وغيره و أصله فى الصحيحين وقال الألباني :صحيح ، دون قوله : " لعله أن ... "

عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ’ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ))(١)

- **لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى**

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ ((أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ –’– وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ –’– وَلِيَّهَا فَقَالَ « أَحْسِنْ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعَتْ فَائْتِنِى بِهَا ». فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ –’– فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ تُصَلِّى عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ فَقَالَ « لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى »(٢)).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم .

١١) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالحيوان .

قال ﷻ{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام:٣٨)

قوله تعالى: { وما من دابَّة في الأرض } قال ابن عباس : يريد كل ما دبَّ على الأرض .

قال الزجاج : وذكر الجناحين توكيد ، وجميع ما خُلق لا يخلو إما أن يدبَّ وإما أن يطير .

قوله تعالى : { إلا أُمم أمثالكم } قال مجاهد : أصناف مصنفة .

وقال أبو عبيدة : أجناس يعرفون الله ويعبدونه .

وفي معنى «أمثالكم» أربعة أقوال :

أحدها : أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : في معرفة الله ، قاله عطاء .

والثالث : أمثالكم في الخلق والموت والبعث ، قاله الزجاج .

والرابع : أمثالكم في كونها تطلب الغذاء ، وتبتغي الرزق ، وتتوقَّى المهالك،قاله ابن قتيبة.

قال ابن الإنباري : وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركَّب في المشركين عقولاً ، وجعل لهم أفهاما ألزمهم بها أن يتدبَّروا أمر النبي ' ويتمسكوا بطاعته ، كما جعل للطير أفهاما يعرف بها بعضها إشارة بعض ، وهدى الذَّكَرَ منها لإتيان الأنثى ، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها .

قوله تعالى : { ما فرَّطنا في الكتاب من شيء } في الكتاب قولان :

أحدهما : أنه اللوح المحفوظ . روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس : ما تركنا شيئا إلا وقد كتبناه في أم الكتاب ، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنه القرآن ، روى عطاء عن ابن عباس : ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم . فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص ، فيكون المعنى : ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب ، إما نصاً ، وإما مجملاً ، وإما دلالة ، كقوله تعالى : { ونزلنا عليك الكتاب تِبياناً لكل شيء } [النحل : ٨٩] أي : لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين .

قوله تعالى : { ثم إلى ربهم يحشرون } فيه قولان :

أحدهما : أنه الجمع يوم القيامة . عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِى فِيمَ تَنْتَطِحَانِ ». قَالَ لاَ. قَالَ « لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِى وَسَيَقْضِى بَيْنَهُمَا »(١) وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ قَالَ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ))

والثاني : أن معنى حشرها : موتها ، قاله ابن عباس ، والضحاك (٢) .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ : ((لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ’ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا))(٣)وعنه ﷺ : ((تركنا رسول الله ’ وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم))قال أبو حاتم : معنى (عندنا منه) يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحاته ’ (٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ :سُئِلَ النَّبِيُّ ’ عَنْ الْحُمُرِ فَقَالَ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ :{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }(١)

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ ابْنَيْ بُسْرٍ السَّلْمَيَيْنِ ù قَالَ: ((دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ : يَرْحَمُكُمَا اللَّهُ الرَّجُلُ مِنَّا يَرْكَبُ دَابَّتَهُ فَيَضْرِبُهَا بِالسَّوْطِ وَيَكْفَحُهَا بِاللِّجَامِ هَلْ سَمِعْتُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ’ فِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَا لَا مَا سَمِعْنَا مِنْهُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ نَادَتْ مِنْ جَوْفِ الْبَيْتِ أَيُّهَا

---

(١) رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن قال الألباني فى السلسلة الصحيحة - (ج ٤ / ص ١٦٢) :ورواه الطاليسي و إسناده صحيح حديث رقم ١٥٨٨

(٢) ابن الجوزي زاد المسير - (ج ٢ / ص ٣٢٨)

(٣) رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح[جزء ١ - صفحة ٢٦٧]

(١) متفق عليه

السَّائِلُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } فَقَالَا : هَذِهِ أُخْتُنَا وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَّا وَقَدْ أَدْرَكَتْ رَسُولَ اللَّهِ '(١))

ثناءه ﷺ على بعض الحيوانات:

وقد أناط الإسلام وجوب الإحسان إلى بعض الحيوانات بمنافعها المعنوية وصفاتها الحميدة، فأوجب الرفق بها لذلك.

- **الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ù قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ))

- **الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة**

عن عروة البارقي ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : "((الإبل عز لأهلها و الغنم بركة و الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة))"(٢)

- **لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ**

وروى النسائي عن زيد بن خالد الجهني ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله: " لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ" وفى رواية ((لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ))(١).

---

(١) رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

(٢) أخرجه البرقاني في مستخرجه، ونبه عليه الحميدي، ونقله ابن حجر (فتح الباري ٣٩٥/٦) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٣٦٢ :أخرجه ابن ماجة (٢٣٠٥) و أبو يعلى في " مسنده " (٤ / ١٦١٤ الجامع الصغير وزيادته [جزء ١ - صفحة ٤٥٣] قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٧٦٠ في صحيح الجامع.

(١) رواه الإمام أحمد وقال إبنه (قَالَ أَبِي قَالَ أَبُو النَّضْرِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَبِّ الدِّيكِ وَقَالَ إِنَّهُ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ) رواه أبو داود أيضاً وابن حبان في صحيحه، إلا أنه قال: " فإنه يدعو للصلاة" على ما نقله المنذري (١٣٣/٥)وصححه الألباني في سنن أبي داود وغيره وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين وقد اختلف في وصله وإرساله

- **إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ**

عَنْ حُمَيْدَةَ بِنْتِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ كَبْشَةَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ – وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ أَبِى قَتَادَةَ –: ((أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ ﷺ دَخَلَ فَسَكَبَتْ لَهُ وَضُوءًا فَجَاءَتْ هِرَّةٌ فَشَرِبَتْ مِنْهُ فَأَصْغَى لَهَا الإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ قَالَتْ كَبْشَةُ فَرَآنِى أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَتَعْجَبِينَ يَا ابْنَةَ أَخِى فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ قَالَ « إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ »(١)).

عَنْ دَاوُدَ بْنِ صَالِحِ بْنِ دِينَارٍ التَّمَّارِ عَنْ أُمِّهِ أَنَّ مَوْلَاتَهَا أَرْسَلَتْهَا بِهَرِيسَةٍ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ((فَوَجَدَتْهَا تُصَلِّي فَأَشَارَتْ إِلَيَّ أَنْ ضَعِيهَا فَجَاءَتْ هِرَّةٌ فَأَكَلَتْ مِنْهَا فَلَمَّا انْصَرَفَتْ أَكَلَتْ مِنْ حَيْثُ أَكَلَتْ الْهِرَّةُ فَقَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ’ قَالَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّمَا هِيَ مِنْ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ’ يَتَوَضَّأُ بِفَضْلِهَا(٢))

على العكس تمامًا من تلك المرآة غليظ الكبد،صلدة القلب، قاسية المشاعر، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ’ قَالَ : ((« دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِى هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِىَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً »(٣)).

في صور من رحمته ﷺ بالحيوان الأعجمي :

- **فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: ((أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ’ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ’ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ’ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ’ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنْ

---

(١) رواه الخمسة وصححه الألباني ومن منطلق حق الحيوان في الرعاية فقد أوقف المسلمون وقفاً للقطط سمي يوقف الهررة حيث يعدون طعاماً للقطط تأكل منه ثم تنصرف في الصباح والمساء.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه

الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ(١))

- **ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟**

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ : ((ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ' بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ وَوَضَعَ جِرَانَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ' فَقَالَ أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ فَجَاءَ فَقَالَ بِعْنِيهِ فَقَالَ لَا بَلْ أَهَبُهُ لَكَ فَقَالَ لَا بِعْنِيهِ قَالَ لَا بَلْ أَهَبُهُ لَكَ وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ قَالَ أَمَا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ))(٢) و في رواية ((وَأَمْرَ الْبَعِيرِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَا لِبَعِيرِكَ يَشْكُوكَ زَعَمَ أَنَّكَ سَانِيهِ حَتَّى إِذَا كَبُرَ تُرِيدُ أَنْ تَنْحَرَهُ قَالَ صَدَقْتَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا قَدْ أَرَدْتُ ذَلِكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَفْعَلُ)) وفي المستدرك ((ثم أتاه بعير فقام بين يديه ، فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه ، فقال :ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر و ذهب عمله تواعدناعليه لننحره غدا .فقال رسول الله ' :لا تنحروه و اجعلوه في الإبل يكون معها)) (٣).

- **أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ù قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ' عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا فَقَالَ :« أَفَلاَ قَبْلَ هَذَا أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتًا »وفي زيادة « أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ » وفى رواية للحاكم ((أتريد أن تميتها موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها))(١)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني والأرناؤوط

(٢) رواه أحمد وقال الألباني صحيح السلسلة الصحيحة برقم٤٨٥ والذي بعده أيضًا.

(٣) و قال الحاكم : " صحيح الإسناد " . و وافقه الذهبي

(١) رواه البيهقي والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني فى السلسلة الصحيحة برقم ٢٤

- مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا.... اردد رحمة لها

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' فِى سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً(١) مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ(٢) فَجَاءَ النَّبِىُّ ' فَقَالَ « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا »(٣). وفي رواية (ونزل ﷺ منزلًا، فأخذ رجلٌ بيْضَ حُمَّرة، فجاءت ترفّ على رأس النبي ﷺ فقال: أيكم فجَع هذه ببيضتها؟ فقال رجل: يا رسول الله، أنا أخذت بيضتها، فقال النبي ': اردد رحمة لها) (٤).

- **إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' فِى سَفَرٍ ... وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ». قُلْنَا نَحْنُ. قَالَ « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ »»(٥).

- **فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ**

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَالَ « نَزَلَ نَبِىٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً » وفي رواية « قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ »(١) .

- **وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ**

---

(١) الحمرة : طائر صغير

(٢) ترفرف بجناحيها

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني السلسلة رقم ٢٥

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: ٣٨٤، وهو فى صحيح الأدب المفرد وقال الشيخ الألباني : صحيح .

(٥) رواه أبو داود وصححه الألباني السلسلة رقم ٢٥

(١) متفق عليهما

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى لأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ إِنِّى لأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا. فَقَالَ « وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ » وزاد فى الأدب المفرد (رَحِمَكَ اللَّهُ مرتين)(١).

- **مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ ' يَوْمَ الْقِيَامَة**

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ': ((مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ ' يَوْمَ الْقِيَامَة))(٢)

- **نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ(٣))

- **فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا به**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ((قَالَ النَّبِيُّ ' بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ))(١) و في رواية مسلم ((أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا))

---

(١) رواه أحمد فى مسنده[جزء ٣ - صفحة ٤٣٦]وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ورواه البخاري فى الأدب المفرد وإسناده صحيح وصححه الألباني فى السلسلة الصحيحةبرقم ٢٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٢٦٨)وحسنه الألباني فى السلسلة الصحيحة برقم ٢٧.

(٣) متفق عليه

(١) متفق عليه

توجيهات نبوية

- **إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ(١))

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ« ارْكَبُوا هَذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً وَابْتَدِعُوهَا سَالِمَةً ولاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ »(٢).

قوله (كلوها) قيدوها بضم الكاف من الأكل و عليه جرى المناوي في شرح هذه الكلمة ، فإذا صحت الرواية بذلك فلا كلام ، و إلا فالأقرب عندي أنها (كلوها) بكسر الكاف من وكل يكل كل أي اتركوها ، هذا هو المتبادر من سياق الحديث .

و يؤيده الحديث المتقدم (رقم ٢٢) بلفظ " اركبوا هذه الدواب سالمة ، و ايتدعوها سالمة ... " ، أي اتركوها سالمة و الله أعلم .

(المعجمة) : أي التي لا تقدر على النطق فتشكو ما أصابها من جوع أو عطش ، و أصل الأعجم : الذي لا يفصح بالعربية و لا يجيد التكلم بها عجميا كان أو عربيا سمي به لعجمة لسانه ، و التباس كلامه (١).

- **اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً**

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني

(٢) رواه أحمد والدرامي والبيهقي وحسنه الأرناؤوط وصححه الألباني السلسلة الصحيحة برقم ٢١

(١) السلسلة الصحيحة جـ١ / ٣١

عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ ﷺ قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ : « اتَّقُوا اللَّهَ فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً »(١).وأصل القصة عند الإمام أحمد عَنْ سَهْلَ ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ الأَنْصَارِىَّ ﷺ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ((أَنَّ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعَ سَأَلاَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ بِهِ لَهُمَا فَفَعَلَ وَخَتَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَمَرَ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِمَا فَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَقَالَ مَا فِيهِ قَالَ فِيهِ الَّذِى أُمِرْتُ بِهِ. فَقَبَّلَهُ وَعَقَدَهُ فِى عِمَامَتِهِ وَكَانَ أَحْلَمَ الرِّجْلَيْنِ وَأَمَّا الأَقْرَعُ فَقَالَ أَحْمِلُ صَحِيفَةً لاَ أَدْرِى مَا فِيهَا كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ. فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِمَا وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِى حَاجَةٍ فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَقَالَ « أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ ». فَابْتُغِىَ فَلَمْ يُوجَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اتَّقُوا اللَّهَ فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ ارْكَبُوهَا صِحَاحاً وَارْكَبُوهَا سِمَاناً » كَالْمُتَسَخِّطِ آنِفاً « إِنَّهُ مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ قَالَ « مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ »(٢) .

- **فَلْيُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ وَلَا يَعْبِطُوا بِهَا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا.**

سَوَادَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ﷺ قَالَ : ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ فَأَمَرَ لِي بِذَوْدٍ ثُمَّ قَالَ لِي إِذَا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَمُرْهُمْ فَلْيُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ وَلَا يَعْبِطُوا بِهَا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا (١)).

ففي حديث عند الطبراني والبزار وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أخِّروا الأحمال، فإنَّ اليدَ مُغْلقةٌ، والرِّجْلَ مُوثَقَة) (٢).

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني السلسلة برقم ٢٣

(٢) رواه أحمد المسند[جزء ٤- صفحة ١٨٠] وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(١) أخرجه أحمد: ٤٨٤/٣ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن والطبراني: ٦٤٨٢، والبيهقي: ١٤/٨،وجود إسناده الهيثمي في «المجمع»: ١٩٦/٨، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة»: ٣١٧(الرباع : جمع ربع وهو ما ولد من الإبل في الربيع لا يبطوا : أي لايشقوا أو يجرحوا)

الآثار السلفية

أ – عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب ضرب جمالا ، و قال : لم تحمل على بعيرك مالا يطيق ؟ !(٢)

ب – عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب : أن رجلا حد شفرة و أخذ شاة ليذبحها ، فضربه عمر بالدرة و قال أتعذب الروح ؟!ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها ؟ !(١) .

ج – عن محمد بن سيرين : أن عمر ــ رأى رجلا يجر شاة ليذبحها فضربه بالدرة و قال : سقها – لا أم لك – إلى الموت سوقا جميلا (٢).

---

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع»: ٢١٦/٣، أبو يعلى في «المسند»: ٥٨٥٢، والبزار في «كشف الأستار»: ١٠٨١، والبيهقي: ١٢٢/٦، و«أبو القاسم بن الجراح الوزير» في «المجلس السابع من الأمالي»: ١/٢، وابن صاعد في «جزء من أحاديثه»: ٢/٩. والمخلص في الثاني من السادس «من الفوائد المنتقاة»: ١/٨٨، وأبو محمد المخلدي في «الفوائد»: ١/٢٨٥، ٢، كما في «السلسلة الصحيحة» لشيخنا الألباني: ١١٣٠، وصحح إسناده.

(٢)قال الألباني : رواه ابن سعد في " الطبقات " (٧ / ١٢٧) و سنده صحيح إلى المسيب ابن دار ، و لكني لم أعرف المسيب هذا . ثم تبين لي أن الصواب في اسم أبيه (دارم) ، هكذا ورد في سند هذا الأثر عند أبي الحسن الأخميمي في " حديثه " (ق ٦٢ / ٢) ، و هكذا أورده ابن أبي حاتم في " الجرح و التعديل " (٤ / ١ / ٢٩٤) و قال : " مات سنة ست و ثمانين " و لم يذكر فيه جرحا و لا تعديلا ، و أما ابن حبان فذكره في " الثقات " (١ / ٢٢٧) و كناه بأبي صالح .

(١)قال الألباني : رواه البيهقي (٩ / ٢٨٠ – ٢٨١)

(٢)قال الألباني : رواه البيهقي أيضا

د – عن وهب بن كيسان :أن ابن عمر رأى راعي غنم في مكان قبيح ، و قد رأى ابن عمر مكانا أمثل منه ، فقال ابن عمر : ويحك يا راعي حولها ، فإني سمعت النبي ’ يقول : " كل راع مسؤول عن رعيته " (١) .

هـ – عن معاوية بن قرة قال : كان لأبي الدرداء جمل يقال له : (دمون) ، فكان إذا استعاروه منه قال : لا تحملوا عليه إلا كذا و كذا ، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك ، فلما حضرته الوفاة قال : يا دمون لا تخاصمني غدا عند ربي ، فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق (٢) .

و – عن أبي عثمان الثقفي قال : كان لعمر بن عبد العزيز ــ غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم فجاء يوما بدرهم و نصف ، فقال : أما بدا لك ؟ قال : نفقت السوق ، قال : لا و لكنك أتعبت البغل ! أجمه ثلاثة أيام (٣).

تلك هي بعض الآثار التي وقفت عليها حتى الآن ، و هي تدل على مبلغ تأثر المسلمين الأولين بتوجيهات النبي ’ في الرفق بالحيوان ، و هي في الحقيقة قل من جل و نقطة من بحر ، و في ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذى وضع للناس مبدأ (الرفق بالحيوان) ، خلافا لما يظنه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوربيين ، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين ، ثم توسعوا فيها ، و نظموها تنظيما دقيقا ، و تبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم ، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم ! و غرهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبقا في دولة من دول الإسلام ، و كانوا هم أحق بها و أهلها !

---

(١)قال الألباني : رواه أحمد (رقم ٥٨٦٩) و سنده حسن

(٢)قال الألباني : رواه أبو الحسن الأخميمي في " حديثه " (٦٣ / ١)

(٣)قال الألباني : رواه أحمد في " الزهد " (١٩ / ٥٩ / ١) بسند صحيح إلى أبي عثمان ، و أما هذا فلم أجد له ترجمة

و لقد بلغ الرفق بالحيوان في بعض البلاد الأوربية درجة لا تخلو من المغالاة ، و من الأمثلة على ذلك ما قرأته في " مجلة الهلال " (مجلد ٢٧ ج ٩ ص ١٢٦) تحت عنوان : " الحيوان و الإنسان " : " إن محطة السكك الحديدية في كوبنهاجن كان يتعشعش فيها الخفاش زهاء نصف قرن ، فلما تقرر هدمها و إعادة بنائها أنشأت البلدية برجا كلفته عشرات الألوف من الجنيهات ، منعا من تشرد الخفاش " .

و حدث منذ ثلاث سنوات أن سقط كلب صغير في شق صغير بين صخرتين في إحدى قرى إنكلترا ، فجند له أولو الأمر مائة من رجال المطافئ لقطع الصخور و إنقاذ الكلب ! و ثار الرأي العام في بعض البلاد أخيرا عندما اتخذ الحيوان وسيلة لدراسة الظواهر الطبيعية ، حين أرسلت روسيا كلبا في صاروخها ، و أرسلت أمريكا قردا(١)

الخلاصة

ومن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية السابقة يتضح التالي :

أن رحمة الإسلام بالحيوان الأعجمي جاءت على ثلاث أمور :

- **رحمته في الذبح .**
- **رحمته في المعاملة.**
- **رحمته بتحريم التعذيب .**

- الرحمة في الذبح :

ومن رحمة الشرع ورأفته أنه قيد هذا الذبح وضبطه بضوابط تجعله أخف ألماً للحيوان بقدر الإمكان وأكد الإسلام هذا بأصلٍ عامٍ وهو قوله تعالى {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(البقرة: من الآية١٩٥)وأكده بأصل خاص وهو قول النبي ﷺ " والشاة إن رحِمتها رحِمك الله " مرتين (١) .

(١)كل النقل السابق من السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني من الرفق بالحيوان جـ١ صـ ٣٥ وما بعدها.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد٣٧٣

وقال هذا حينما قال رجل: يا رسول الله أني لأذبح الشاة فأرحمها ، فذكره
وقوله ﷺ " إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإن قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح " (١) . وقال أيضا " من رحِم- ولو ذبيحة عصفورٍ - رحمه الله يوم القيامة " (٢).

قال البغوي ':الإحسانُ في القتلِ والذبحِ مكتوبٌ على الإنسان كما نطق به الحديث.(٣) . وعليه ينبغي أن يكون الذابحُ عالماً بطريقة الذبح الشرعية وإلا لن يتحقق الإحسان في الذبح .وبعد ذِكر هذا الأصل العام بيّن النبي ﷺ بعض التفاصيل المبيّنة والموضحة لهذا الأصل:

١- إحدادُ الأداة التي سيذبحُ بها ، لحديث " وليُحِد أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته "(٤) وهذا لتخِفّ اليدُ في الذبح ويسرعُ إمرارُ الأداةِ على الحلقِ من غير أن تختنق الذبيحة بما ينالُها من ألم الضغط .

٢- وعلى الذابح أن يسحب الذبيحة للذبح برفق من غير أن يؤذيها ، وهذا داخل في الإحسان في الحديث السابق ، ولاحظ ذلك الخليفةُ الراشدُ عمر بن الخطاب لما " رأى رجلاً يجرُ شاةً ليذبحها فضربه بالدُرةِ وقال سُقها - لا أُم لك - إلى الموت سوقاً جميلاً " (١) .

٣- وأن لا يُحِدّ الشفرة أمامها، ولقد رأى رسول الله ﷺ " رجلاً واضعٌ رِجلهُ على صفحة شاةٍ وهو يُحِدُ شفرته وهي تلحظُ إليه ببصرِها فقال ﷺ " أفلا قبل هذا أتريدُ أن تُميتها موتات " (٢)

---

(١) مسلم ٥٠٢٨

(٢) السلسلة الصحيحة ٢٧

(٣) شرح السنة تحت حديث ٢٧٨٣

(٤) مسلم ٥٠٢٨

(١) البيهقي ١٩١٤٣ والصحيحة تحت حديث ٣٠ج وقد سبق

(٢) البيهقي١٩١٤١والصحيحة٢٤ وقد سبق

وفي هذا مراعاةُ الحيوان ، وعدم تعذيبه ولو تعذيباً معنوياً ذلك لما رأى النبي ﷺ حالها وهي تنظر للسكين وهي تحد ، وعلم أنها تعلم ما سيأتيها من وراء ذلك ، وهذا وحده مؤلمٌ للنفسِ كالقتلِ فلذلك قال ﷺ (موتات) وفي رواية (موتين) .

وعلى هذا لا ينبغي أن تذبح البهائم في مكان واحد ينظر بعضُها إلى بعض حين الذبح فهذا أشدُ ألماً لها من رؤيتها للشفرة وهي تُحد، وبالتجربة إنها تنفُرُ من هذا وتضطرب خوفاً .

ولقد امتدت هذه الرحمة إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتدوا به وتمسكوا بشرعه فهذا الخليفة عمر بن الخطاب ــ رأى رجلاً حدّ شفرته وأخذ شاةً ليذبحها فضربه عمر ــ بالدُرةِ وقال أتُعذب الروح ألا فعلت هذا قبل أن تأخُذها"(١).

وهذه الرحمة المادية والمعنوية أفضل من الطرق المستخدمة في البلاد الأجنبية التي يُمهد لها قبل الذبح بوسائل يظنونها رحمة وتخفيف وهي تعذيب مُريب كالصدمات الكهربائية أو إستخدام الغاز المُخدِرِ أو المسدس ذو الطلقة المسترجعة . (المرشد العملي لسلامة الأغذية،الباب الثاني،الفصل التاسع)

– الرحمة في المعاملة :

رحم الإسلام الحيوان رحمةً ماديةً ومعنويةً وحرِص على عدم إيذائه خاصةً عند انتفاءِ المصلحة . وكانت هذه الرحمةُ نابعةً من سيرة النبي ﷺ وأقواله .

أما السيرة فقول الصحابي الجليل ابن مسعود : كُنا في سفرٍ مع النبي ﷺ " فأنطلق لحاجةٍ فرأينا حُمّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمّرة فجعلت تُفرِشُ، فجاء النبي ﷺ فقال " من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها " (١) .

الحُمّرة : طائر صغير كالعصفور

تُفرش : أي ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها

فجع : من أصابته مصيبة .

---

(١) البيهقي١٩١٤٢والصحيحة تحت حديث ٣٠(ب)

(١) صحيح سنن أبي داود ٥٢٦٨ وقد سبق

والظاهر أن هذا للاستحبابِ فهو من رحمة النبيﷺ بهذه الحُمّرة خاصة وقد أتتــهُ تُرفــرِفُ وكأنها تشتكي، ولم تكن هناك مصلحة ظاهرة في أخذِ فِراخها، ولذلك أُمِــروا اســتحباباً بإرجاع أولادها لها

وعليه فيُستحبُ أن لا يُفرق بين الأم وأولادها الصغار إن كان هذا حالهم إلا إن كــبروا أو كان أخذهم صغاراً لمصلحة راجحة، والله أعلم .

ومن سيرته أيضاً أنه ﷺ " دخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت ... (فقال لصاحب الجمل) :

" أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي انك تُجيعُهُ وتُدئِبُهُ " (١) .

تُدئِبُهُ : تُكدِّه وتُتعِبُهُ .

وفي هذا الحديث دلالة على عدم جواز تجويع الحيوان ، وأيضاً لا يحِقُ لصاحبه التأخر عــن إطعامه لأنه من جنسِ تعذيبه .

وينبغي عليه أيضاً أن لا يحمّلهُ من الأعمال [ما لو رآها كلُ عاقلٍ علِم أنهــا مُتعِبــةٌ لــه] وعبر النبي ﷺ بالتقوى إشارةً إلى أن هذا الرجل مفرط في حق الله إذ لم يُعطِ هذا الحيــوان حقه وكل راعٍ مسئولٌ عن رعيته .

وهذه سيرته ﷺ وأما أقواله فقد قررت أحكاماً عِدة رعاية وحماية لهذا الحيــوان الضــعيف الذي لا ينطق ولا يستطيع التعبير عما به من ضُر .

وهذه الأحكام كغيرها من أحكام الشرع يُحاسبُ عليها المرءُ إن فرط بها ويُؤجرُ إن تعهدها ولم يتعداها من هذه الأحكام:

١- عدمُ تحميلِ الحيوان ما لا يُطيقُ للحديثين السابقين، وعدم إتعابه بلا حاجة لقوله ﷺ : " إياكم أن تتخذوا ظهور دوابِكم منابر فإن الله إنما سخرها لكــم لتُــبلِغكم إلى بلــدٍ لم تكونوا بالغية إلا بشِقِ الأنفسِ وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتِكم " (١) .

والمنبر هو ما يقِفُ عليه الخطيب ليتكلم، وشبه الدابة به لكي لا تُتخذ هــي منــبراً فيقــفُ

(١) صحيح سنن أبي داود ٢٥٤٩

(١) صحيح سنن أبي داود ٢٥٦٧

عليها الإنسان ويتكلم فيُؤذها إلا أن تكون هناك حاجةٌ لذلك فلا بأس،وأيضا لا يتخذها كُرسِياً فيجلس عليها من غير حاجة ،قال النبيﷺ " اركبوا هذه الدواب سالمة ،ولاتتخذوها كراسي" (١) وهذه صورة من صور إتعابه .

ومن صورها أيضاً: إتعابٌ الرجلِ لفرسه حين التسابق عليه بالزجرِ والصياحِ ، وهذا منعه النبي ﷺ بقوله " لا جلب ولا جنب في الرِهانِ "(٢)

قال شارحه (٣): ويُطلق الجلبُ أيضاً على حث فرس السباق على قوة الجري بمزيد الصياح عليه لما يترتب عليه من إضرار الفرس .

قلت : وقوله ﷺ " في الرِهان" ليس تقيداً بل خرج مخرج الغالب ، بمعنى : أن الرجل في السباق عند وجودِ الرهن يكون أحرص على الفوز فيكون أشد على دابته ،وهذا لا ينفي وجود الجلب حين عدم وجود الرهن ، وعليه فالجلب ممنوع في السباق ،سواءٌ كان برهنٍ أو بغيره ، لأن العلة واحدة وهي إتعاب الدابة .والله أعلم

وقد صحّ عن الخليفة عمر بن عبدالعزيز أن غلاماً عمِل على بغلٍ له ، ويأتيه بدرهمٍ كل يوم، فجاء يوماً بدرهمٍ ونصف، فقال(عمر بن عبدالعزيز): ما بدا لك؟[أي:من أين هذه الزيادة] قال: نفِقتُ السوق [أي:درت السوق كله] قال (عمر) :لا، لكنك أتعبت البغل ، إجِمّه ثلاثة أيام (١)، أجِمه :أرِحهُ ،أترُكهُ ولاتركبهُ .

٢- أن يغذيه بما هو متعارفٌ عليه، فإن لم يستطع وخاف عليه من الموت فليتركه يرعى في أرض الله الواسعة فذلك خيرٌ من أن يلقى حتفه في بيته ، فقد ذكر الله سبحانه حق الحيوان في التعايش والتغذي، فقال ﷻ { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)} [النازعات/٣٠-٣٣]. ومن رحمة الله أن جعل لصاحب البهيمة أجراً في إطعامِها -

(١) رواه أحمد والدرامي والبيهقي وحسنه الأرناؤوط وصححه الألباني السلسلة الصحيحة برقم٢١

(٢) صحيح سنن أبي داود ٢٥٨١

(٣) عون المعبود

(١) رواه أحمد في الزهد. والصحيحه تحت حديث٣٠ (و)

وإن كان ماءً – ، قال رسول الله ﷺ: " في كل كبدٍ رطبةٍ أجر" (١) قال ابن حجر العسقلاني ' : أي الأجرُ ثابتٌ في إرواءِ كلِ كبدٍ حيةٍ(٢)

فهذا حث على إطعام الحيوان وعدم استصغار ذلك وعدم الأسف على المال المدفوع فيه.

و قال ابن حجر : أما قوله (في كل كبدٍ) فمخصوص ببعض البهائم مما لا ضرر فيه لأن المأمور بقتله كالخنزير لا يجوز أن يقوى ليزداد ضرره .

ولقد قص النبي ﷺ لأصحابه قصة واعظاً لهم وحاثاً على العمل بمعناها فقال : " بينما كلب يُطِيفُ بركيّة كاد يقتله العطش **إذ** رأته بغي من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت موقها فسقته فغُفِر لها به " (٣) . **ركية: بئر ذات ماء.**

وفي الحديث: عِظم رحمة الله سبحانه إذ جازى هذه البغي(أي:تعمل بالزنا) بالمغفرة لرحمتِها بهذا الكلب و سُقياه .

ولقد انتفع الصحابة بهذا الوعظ ، فالآثارُ عنهم في رعاية الحيوان والرفقِ به كثيرةٌ ومنها ((أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه رَأَى رَاعِيَ غَنَمٍ فِي مَكَانٍ قَبِيحٍ وَقَدْ رَأَى ابْنُ عُمَرَ مَكَانًا أَمْثَلَ مِنْهُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيْحَكَ يَا رَاعِي حَوِّلْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) (١)

وبلغت رحمة الله بالخلق بأن جعل الأجر في الزرع الذي يزرعه المسلم إذا أكل منه الحيوان، وهذا فضلٌ عظيمٌ وبابٌ من الأجرِ كبير وحثٌ على عدم البُخلِ وتغطيةِ كل المزروعاتِ،ما لم تكن للتجارة كما يفعله الكثيرُ اليوم مع النخل وغيره،فيقومون بتغطية جميعِ الثمارِ لكي لا يأكلهُ الطير وغيره ، فهؤلاء قد فاتهم أجرٌ كثير لبُخلِهم هذا، فالنبي ﷺ يقول " ما مِن مسلمٍ يغرِسُ غرساً أو يزرعُ نخلاً فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة " (٢)

---

(١) البخاري ٢٣٦٣ومسلم ٥٨٢٠

(٢) فتح الباري تحت حديث ٢٣٦٣

(٣) البخاري ٣٤٦٧ مسلم ٥٨٢٢

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ٤١٦

(٢) البخاري ٢٣٢٠مسلم ٣٩٥٠

- و من حُسنِ إطعامِ الدوابِ: أن الرجل إذا خرج على دابته مسافراً-وهو نادرٌ اليوم- أوقاطعاً لمسافة طويلة ورأى في طريقه عُشباً أو غِذاءً لها فلِيقف ولِيُدعها تأكل،أما إن كان الطريقُ صحراوياً لاغِذاء لها فيه فليُسرع ليبلُغ غايته ويُطعِمها قبل أن تضعف في الطريق. هذا ما أرشد إليه الشرع، قال رسول الله ﷺ "إذا سافرتم في الخِصبِ فأعطوا الأبل حظها من الأرض ،وإذا سافرتم في السنةِ فأسرعوا عليها السير..."(١)

السنة: القحطُ

٣- متابعةُ الحيوانِ وعدم إهماله فلقد صحّ عن النبي ﷺ أنه خرج يوماً " لحاجته فمر ببعيرٍ مُناخٍ على بابِ المسجد في أولِ النهارِ ثم مرَ به في آخر النهارِ وهو في مكانِهِ ، فقال : "أين صاحب هذا البعير" ؟ فأبتُغِي فلم يوجد فقال : " اتقوا الله في هذه البهائم ، اركبوها صالحة وكُلوها سِماناً .."(٢).

أي: اركبوها حال كونها صالحة للركوب وذلك في حال نشاطِها وقوتِها ، وُكلوها حال كونها سمينةً صالحةً للأكل .

وعليه فلا ينبغي إهمالُ الحيوانِ وتركهُ بلا عنايةٍ ومتابعة ، فقد يجوعُ ويعطِشُ ،وقد يتأذى فلا يجدُ مُنقِذاً، ولقد وقع لأحد جيراننا أنه أحضر أُضحيةً وأوثقها بحبلٍ في رقبتها ، وغاب عنها فتحركت وضاق عليها الحبل ثم أتى فوجدها قد ماتت مختنقةً ، وسبب ذلك

١- الأهمال وطول الغياب

٢- ربط الحبل في الرقبة والأحوط جعله في الرجل والأفضل من هذا كله أن نجعل لها مكاناً يسرح فيه .

وهذه بعض جوانب الرحمة بالحيوان في الإسلام وهي تُمثلُ عظمة هذا الدين ورأفتهُ مع أن هناك جوانب لم تُذكر فأسأل الله التوفيق والازدياد بالعلم النافع .

---

(١) مسلم ٤٩٣٦

(٢) رواه أحمد المسند[جزء ٤- صفحة ١٨٠] وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح وقد سبق.

قال الشيخ ابن باز ' أن الحيوان : عُرضةٌ لأنواعٍ كثيرة من المتاعب عند شحنه ونقلِه بكمياتٍ كبيرةٍ خلال مسافاتٍ طويلة ربما ينتِجُ عنها تزاحمٌ مُهلكٌ لضعيفها وجوعٌ وعطشٌ وتفشي الأمراض فيها وحالاتٌ أخرى مُضرة تستوجب النظر السريع والدراسة الجادة من أولياء الأمور بوضع ترتيبات مريحة شاملة لوسائل النقل والترحيل والإغاثة من إطعامٍ وسقي وغير ذلك من هَويةٍ وعلاجٍ وفصلِ الضعيفِ عن القوي الخطر ،وهذا اليوم شيءٌ ممكن للمؤسسات المستثمرة والأفراد والشركات المصدرة والمستوردة ، وهو من واجب نفقتها على مُلاكِها ومن هي تحت يده بالمعروف . (١)

* إن من عظمةِ الإسلامِ وتمامه أنه لما أسس قواعد الرحمةِ بالحيوان فهو في الوقت نفسه أسّس ما يحفظ هذه القواعد ويدفع الخلل عنها، فنهى عن أمور تُخِلُ بمقاصد هذه القواعد.

- الرحمة بتحريم التعذيب :

إن تحريم تعذيبِ الحيوانِ يُفهم من تعاليم الإسلام بوضوحٍ وصراحة ويؤخذ ذلك من الأمر برحمة هذا الحيوان وعدم تجويعه وإتعابه كما سبق والأمر بالشيء نهيٌ عند ضده فهو لما أمرنا برحمته فهو ينهانا عن تعذيبه، كما أن الأمر بالإيمان يتضمن النهي عن الكفر . ويؤخذ أيضاً - تحريم التعذيب- من أحاديث صرحت بتحريم صور من التعذيب وهذه الصور التي سنذكرها يُقاس عليها غيرها من مثلها في المعنى .

الصورة الأولى:

١- **صبرُ الحيوانِ**: أي أن يُحبس وهو حي ويُتخذ هدفاً يُرمى. وفي تحريم هذا نصوص عدة منها نص عام وهو قوله تعالى{ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة: من الآية١٩٠)ونص خاص وهو أن ابن عمر ــ مر " بنفرٍ نصبوا دجاجةً يرمونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها وقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ أن النبي " لعن من فعل هذا " (١) واللعن

(١) مجموع فتاوي الشيخ ابن باز ٣/ ١١٧٨

(١) البخاري ٥٥١٥ ومسلم ٥٠٣٤

يدل على التحريم بل يدل على أنها كبيرة . وفي رواية قال ﷺ " لا تتخذوا شيئاً فيه روحٌ غرضاً " (١) .

قال النووي في شرح مسلم : أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضاً ترمون إليه كالغرض من الجلود ونحوها وهذا النهي للتحريم . أهـ

وأيضا قصة المرأة التي دخلت النار بهرة حبستها و لم تُطعمها حتى ماتت فهي معروفة(٢) .

قال ابن حجر ' : وظاهر هذا الحديث أن المرأة عُذِبت بسبب قتلِ هذه الهرة بالحبسِ. أهـ وذهب إلى هذا النووي وقيل غير ذلك .

وهذا التحريم سببه بيّن ،وهو :

١- قتلُ نفسٍ بلا سبب

٢- تعذيبُ هذه النفس

٣- تضييع لماليته أي أن لهذا للحيوان قيمة ، فقد 'ينتفع به بالبيع أو الاستخدام .

ملاحظة : المحظور هنا هو الحبس مع التعذيبِ وعدم الإطعامِ وأما الحبسُ مع الإطعام وعدم التعذيب والإيذاء فجائزٌ، يُفهمُ ذلك من مفهوم الأحاديث السابقة وصراحة من حديث أنس لما قال : كان النبي ﷺ أحسن الناسِ خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير .. وكان إذا جاء قال ﷺ " يا أبا عمير ما فعل النُغير " نغرٌ كان يلعب به .(٣) .

النُغير : طير صغير.

قال ابن حجر: في الحديث " جواز لعِب الصغير بالطير وجواز إمساكُ الطير في القفص ونحوه . أهـ.

شرط أن لا يعذبه الطفل، فعلى الأبوين أن يُنبِهانِهِ إلى هذا، ونقل ابن حجر عن القرطبي قوله : أما تمكينه من تعذيبه ولا سيما حتى يموت فلم يبح قط .

الصورة الثانية :

---

(١) مسلم ٥٠٣٢

(٢) البخاري وقد سبق ٢٣٦٥

(٣) البخاري ٦٢٠٣مسلم ٥٥٧٨ وقد سبق

٢ - **التمثيلُ بالحيوانِ** :هو ما يُفعل بالحيوان الحي من تشويه ، كقطعِ بعض أطرافِهِ وغير ذلك وهذا محرم ، نهى النبي ﷺ عنه (١) بل ولعن صاحبه ، قال ابن عمر ـ : " لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان "(٢) وأتى النبيﷺ رجلاً يشُوقُ آذان بعض الابل بالموسى[الموسى: هو آلة حادة يُحلقُ بها] ويحرمها على نفسه –وهذه عبادة جاهلية – فقال له النبيﷺ " فكل ما آتاك الله لك حِل ، ساعِدُ الله أشد من ساعِدِك ، وموسى الله أشد من موساك "(٣) وهذا تحذيرٌ من النبيﷺ من أن يُمثل بالحيوان و عليه من كان عنده حيوان بريٌ أو بحريٌ ،صغيرٌ أم كبيرٌ(كالحوت) فلا يجوز له قطعُ أطرافِهِ وتشويهِهِ لأن في ذلك من التعذيب ما لا يخفى .

الصورة الثالثة:

٣- **الخِصاءُ** أي إخصاء الحيوان برض خصيته أو قطع ذكره أو بإعطائه من الأدوية ما يجعله خصي لا يمكنه التناسل. عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِخْصَاءِ الْخَيْلِ وَالْبَهَائِمِ (٤) .

وسبب ذلك لما يفوت عليه من مصلحة التناسل، إتلافُ فطرةٍ وضعها الله فيه ، و ما يحصلُ للحيوانِ من ألمٍ حين خِصائِهِ –إن كان بغير دواء- .

ولعدم مصلحة في ذلك إلا قولهم إنه بذلك يسمنُ ويكبرُ ويطيبُ لحمُهُ .

ومن المُمكِن أن نستغني عن الخِصاء وأن نُحصِل اللحم الطيب السمين بالغذاء والعناية السليمة.

والقاعدة تقول " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (١) . ولكن إن انتفت هذه المفاسد فوجدت طريقة لا يتألم معها الحيوان-الدواء-ووُجدت المصلحة والحاجة لهذا الفعل جاز .

---

(١) البخاري٥٥١٦

(٢) البخاري٥٥١٥

(٣) ص م ٨٩٨

(٤) رواه أحمد و قَالَ ابْنُ عُمَرَ فِيهَا نَمَاءُ الْخَلْقِ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٩٥٦

(١) شرح قواعد الفقهية للزرقا ، قاعدة (٢٩)

الصورة الرابعة :

٤- **وسمُ الوجهِ أو ضربهِ** : الوسمُ أصله من السمةِ وهي العلامة، والمراد هنا جعلُ علامةٍ في الوجه بالكي أو الجرح وما أشبه ذلك .

وهذا محرم بدليل " أن النبي ﷺ مر عليه حمارٌ قد وُسِم في وجهه فقال " لعن الله الذي وسمه " (١) . وفي رواية " لعن الله من فعل هذا، لا يسمنّ أحدٌ الوجه ولا يضربنه " (٢) .

فالنبي ﷺ نهى عنه لمنع تعذيبه وتشويهِ وجههِ ولكن إن كانت هناك مصلحة تستدعي الوسم للتمييز بين الدواب فيجوز ولكن في غير الوجه .

ودليل ذلك قول أنس ــ : " غدوتُ إلى رسولِ الله ﷺ ...فوافيتُهُ في يده الميسم يسِمُ إبل الصدقة " (٣) .

قال ابن حجر ‘ : الحكمة فيه تميزها وليردها من أخذها ومن ألتقطها وليعرفها صاحِبُها فلا يشتريها إذا تصدق بها مثلاً لئلا يعود في صدقته . (٤).

وذهب إلى هذا جمهور العلماء والعلة كما قلنا : جواز إيلام الحيوان للحاجة والمصلحة الراجحة .

قال النووي ‘ : إذا وسم فيُستحبُ أن يسِم الغنم في آذانها والإبل والبقر في أصول أفخاذها لأنه موضعٌ صلب فيقِل الألم فيه، ويُخِفّ شعره ويُظهر الوسم " فإن قيل : لِم لا تستبدلون الوسم باللون يوضعُ على جلده أو شعره فهذا لا يؤذيه وتتحقق به المصلحة؟

الجواب / اللونُ يزولُ بالغسلِ ، والشعرُ قد يتغير فلا تحصل المصلحة به ، أما الوسمُ فلا يزول ولكن إن وجدنا شيئاً لا يزولُ ولا يؤُلِمُ صِرنا إليه .

الصورة الخامسة :

---

(١) (مسلم ٥٥١٨

(٢) البخاري في الأدب المفرد١٧٥

(٣) البخاري ١٥٠٢ مسلم ٥٥٢٣

(٤) فتح الباري تحت حديث ١٥٠٢

٥- **لعنُ الحيوانِ** والدعاءُ عليه، فالدعاء عليه طلبٌ للضُرِ له وقد يستجيب الله هذا الدعاء فيتأذى الحيوان بذلك، وهذا منهي عنه لِما جاء عن النبي ﷺ أنه كان " في بعض أسفاره وامرأةٌ من الأنصار على ناقةٍ ، فتضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال " خُذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة " (١) وفي رواية " لا أيمُ الله لا تصاحبُنا راحلةٌ عليها لعنة من الله " (٢) .

قال النووي ؒ : إنما قال هذا زجراً لها ولغيرها فعوقبت بإرسال الناقة .

ومما يدل على أن الحيوان قد يتأذى بالدعاء عليه قول النبيﷺ " لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم " (٣) قالهﷺ لرجل لعن دابته .

* ومن الصور السابقة نأخذ تحريم بعض الصور التي لم يرد فيها نصٌ صحيح، فمن ذلك :

٦- **التحريشُ بين البهائمِ** :وهو أن يُجعل حيوانين في حلبةٍ ليتقاتلا كالكلاب والديكة ، فهذا محرم ولا ريب في ذلك لأن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الدابة وقتلها بلا سبب وهنا ستُعذِبُ إحدى الدابتين الأخرى وتقتلها في النهاية غالباً، ولأن النبي ﷺ نهى عن إتعاب الحيوان وهنا سوف يتعب بلا فائدة بل لمجرد اللهو والعبث وفيه أيضاً إضاعة للمال – أي البهيمة– المقتولة ، وما يصحبُ ذلك من مراهنات وضياع للأموال .

وللتنبيه: ورد في التحريش بين البهائم حديثٌ ضعيفٌ. قال ابن عباس : " نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم " (١) ويكفينا ما سبق لتحريمه .

٧- ما يُسمى اليوم (**مصارعة الثيران**) وفيه يدخل ثورٌ قويٌ ورجلٌ فاسقٌ في حلبةٍ كبيرةٍ ومع هذا الرجل رماحٌ وسكاكين، ويقوم هذا الرجل على استثارة هذا الثور بالركض

---

(١) مسلم ٦٥٤٧

(٢) مسلم ٦٥٥٠

(٣) مسلم ٧٤٣٧ في حديث طويل

(١) صحيح سنن أبي داود٢٥٦٢

والمراوغة وتحريك ثوب أحمر وبينما الثور يُهاجِمه يقوم الفاسقُ بطعنِه وهكذا حتى ينهك هذا الثور ويتصببُ دماً فيُعطيه هذا الظالم الضربة القاضية بسكين في رأسه فيسقط .

وأي رياضة هذه يرضاها عاقل رزين ولكنه الهوى واتباعه من غير معيارٍ وحدودٍ ، وقسوة القلب، ولا حاجة في التكلم في تحريم هذا التعذيب فهو ظاهر

و ذكر الشيخ ابن باز ' بعض صور التعذيب التي تستخدم في هذه الأيام منها : نتفُ ريشِ الدجاجِ والطيور هي حية أو تغطيسها في الماء شديد الحرارة وهي حية أو تسليط البخار عليها لإزالة الريش زاعمين أنه أرفقُ بما يُرادُ ذبحه من الحيوان .. وهذا فيه من التعذيب ما لا يخفى مخالفته لنصوص الأمر بالإحسان إليه .. . (١)

* وهكذا نرى الإسلام المبهر بأحكامه وشرائعه التي هي من لدن عليم خبير

وكان من نتيجة هذا التقصير أنْ سبقهم أهل الغرب فوضعوا ما وضعوا من قوانين – مع ما فيها من غلو – وأخذوا بالتفاخُرِ بأنهم أعطوا الحيوان حقه وأنهم بذلك أصحاب حضارة وتقدم...

فنقول هل يمتلك الغرب مثل هذا الرصيد من الأحكام في عمقِ التأريخِ الصالحِ لكلِ زمانٍ ومكان فيستند إليه في أطروحاته المعاصرة .

قلت: ومن صور الغلو أيضاً ما جاء في جريدة البيان الإماراتية عدد تاريخ (السبت ١٢ رجب ١٤٢٢) " إن هناك اجتماع سنوي في الخريف لجماعة أمريكية تدافعُ عن حقوقِ الحيوانِ لمناهضةِ صيد الحيوانات من أجل الحصولِ على الفِراءِ فتبرعت بفراء عندها ..... " .

وهذا مع الغلو الذي فيه فهو عدمُ اتزانٍ لأن حق الإنسانِ في العيشِ والدفءِ مقدم على حق الحيوان في ذلك فعلى المسلم أن يتمسك بدينه ويرجع إليه ولا يُبالي بأحد فإن في ذلك عزه ، وعليه أيضاً أن يطلب العلم بتحري وأن يأخذه من أهله وبذلك يحصل مبتغاه (١).

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ١١٧٩/٣

(١)إرشادُ الأنامِ لِما جاء في الإسلامِ من حقوقٍ ورحمةٍ بالحيوانِ لمؤلفه /الحارث المريذي.

١٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالنبات.

النبات ذلكم المخلوق الذي به ملأت أرجاء الدنيا ، في الدنيا والآخرة بل يكد لا يخلو شيء منه ، ولا ننسى بيئة المدينة النبوية الكريمة ، التي كانت محاطة بالشجر والثمر وعلى كآفة الأنواع ، بل وقد نطق القرآن الكريم بذكر أنواع شتا من أنواع النباتات ، فمثلًا قوله تعالى ممتنًا على عباده { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:٩٩) وكقوله { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} وكقوله ﷻ {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا }(فاطر: من الآية٢٧) (طه:٥٣)

وقد خص بعض الثمر والنباتات بذكرها أسمائها في معرض امتنانه على عباده بها:

- الزيتون والرمان في قوله ﷻ {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأنعام:١٤١).
- النخيل والعنب في قوله ﷻ { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل:١١).

- الفواكة والحبوب والريحان في قوله ﷻ { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)} [الرحمن/١٠-١٣]
- التين في قوله ﷻ { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} (التين:١)

أما على لسان الحبيب ﷺ فقد ذكر أنواعًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

- كان ﷺ يضرب الأمثال بالشجر حينًا فيما جاء عنه ﷺ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ~ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' : ((إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا (١))

- قال الإمام النووي ' (٢):

وَفِي هَذَا الْحَدِيث فَوَائِد : مِنْهَا اِسْتِحْبَاب إِلْقَاء الْعَالِم الْمَسْأَلَة عَلَى أَصْحَابه ، لِيَخْتَبِر أَفْهَامهمْ ، وَيُرَغِّبهُمْ فِي الْفِكْر وَالِاعْتِنَاء .

وَفِيهِ : ضَرْب الْأَمْثَال وَالْأَشْبَاه .

وَفِيهِ : تَوْقِير الْكِبَار كَمَا فَعَلَ اِبْن عُمَر لَكِنْ إِذَا لَمْ يَعْرِف الْكِبَار الْمَسْأَلَة فَيَنْبَغِي لِلصَّغِيرِ الَّذِي يَعْرِفهَا أَنْ يَقُولهَا .

وَفِيهِ : سُرُور الْإِنْسَان بِنَجَابَةِ وَلَده ، وَحُسْن فَهْمه ، وَقَوْل عُمَر ﷺ : (لَأَنْ تَكُون قُلْت هِيَ النَّخْلَة أَحَبّ إِلَيَّ) أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ النَّبِيّ ' كَانَ يَدْعُو لِابْنِهِ ، وَيَعْلَم حُسْن فَهْمه وَنَجَابَته .

وَفِيهِ : فَضْل النَّخْل .

---

(١) متفق عليه

(٢) شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ١٨٩)

قَالَ الْعُلَمَاء : وَشَبَّهَ النَّخْلَة بِالْمُسْلِمِ فِي كَثْرَة خَيْرهَا ، وَدَوَام ظِلّهَا ، وَطِيب ثَمَرهَا ، وَوُجُوده عَلَى الدَّوَام ، فَإِنَّهُ مِنْ حِين يَطْلُع ثَمَرهَا لَا يَزَال يُؤْكَل مِنْهُ حَتَّى يَيْبَس ، وَبَعْد أَنْ يَيْبَس يُتَّخَذ مِنْهُ مَنَافِع كَثِيرَة ، وَمِنْ خَشَبهَا وَوَرَقهَا وَأَغْصَانهَا ، فَيُسْتَعْمَل جُذُوعًا وَحَطَبًا وَعِصِيًّا وَمَخَاصِر وَحُصْرًا وَحِبَالًا وَأَوَانِي وَغَيْر ذَلِكَ ، ثُمَّ آخِر شَيْء مِنْهَا نَوَاهَا ، وَيُنْتَفَع بِهِ عَلَفًا لِلْإِبِلِ ، ثُمَّ جَمَال نَبَاتهَا ، وَحُسْن هَيْئَة ثَمَرهَا ، فَهِيَ مَنَافِع كُلّهَا ، وَخَيْر وَجَمَال ، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِن خَيْر كُلّه ، مِنْ كَثْرَة طَاعَاته وَمَكَارِم أَخْلَاقه ، وَيُوَاظِب عَلَى صَلَاته وَصِيَامه وَقِرَاءَته وَذِكْره وَالصَّدَقَة وَالصِّلَة ، وَسَائِر الطَّاعَات ، وَغَيْر ذَلِكَ ، فَهَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي وَجْه التَّشْبِيه ، قِيلَ : وَجْه الشَّبَه أَنَّهُ إِذَا قَطَعَ رَأْسهَا مَاتَتْ بِخِلَافِ بَاقِي الشَّجَر ، وَقِيلَ : لِأَنَّهَا لَا تَحْمِل حَتَّى تُلَقَّح . وَاَللَّه أَعْلَم .

قَوْله : (فَوَقَعَ النَّاس فِي شَجَر الْبَوَادِي) أَيْ : ذَهَبَتْ أَفْكَارهمْ إِلَى أَشْجَار الْبَوَادِي ، وَكَانَ كُلّ إِنْسَان يُفَسِّرهَا بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاع شَجَر الْبَوَادِي وَذَهِلُوا عَنْ النَّخْلَة .

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَالَ : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنَتْ اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ)) و فِي عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنْ الزَّرْعِ تُفِيئُهَا الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيجَ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً)) (١))

- قال الإمام النووي ' :

(أَمَّا (الْخَامَة) فَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة وَتَخْفِيف الْمِيم ، وَهِيَ : الطَّاقَة وَالْقَصَبَة اللَّيِّنَة مِنْ الزَّرْع ، وَأَلِفهَا مُنْقَلِبَة عَنْ وَاو ، وَأَمَّا (تُمِيلهَا وَتُفِيئهَا) فَمَعْنًى وَاحِد ، وَمَعْنَاهُ : تُقَلِّبهَا الرِّيح يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَمَعْنَى (تَصْرَعهَا) تَخْفِضهَا ، وَ (تَعْدِلهَا) بِفَتْحِ التَّاء وَكَسْر الدَّال ، أَيْ : تَرْفَعهَا ، وَمَعْنَى (تَهِيج) تَيْبَس . وَأَمَّا (الْمُجْذَبَة) فَبِمِيمٍ مَضْمُومَة ثُمَّ جِيم سَاكِنَة ثُمَّ ذَال مُعْجَمَة مَكْسُورَة ، وَهِيَ الثَّابِتَة الْمُنْتَصِبَة ، يُقَال مِنْهُ : جَذَبَ يَجْذِب وَأَجْذِب

(١) متفق عليه

يَجْذِب . وَالِانْجِعَاف : الِانْقِلَاع . قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمُؤْمِن كَثِير الْآلَام فِي بَدَنه أَوْ أَهْله أَوْ مَاله ، وَذَلِكَ مُكَفِّر لِسَيِّئَاتِهِ ، وَرَافِع لِدَرَجَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِر فَقَلِيلهَا ، وَإِنْ وَقَعَ بِهِ شَيْء لَمْ يُكَفِّر شَيْئًا مِنْ سَيِّئَاته ، بَلْ يَأْتِي بِهَا يَوْم الْقِيَامَة كَامِلَة)).

- بل من أهمية النبات والشجر والثمر أن الله ﷻ جعله من نعيم أهل الجنة بل لا يطلق ذلك الاسم على ما كثر شجره ودان ثمره ألم تقرأ قوله ﷻ {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)} [الرحمن/٦٢-٦٩] وقوله ﷻ {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)} [الواقعة/٢٧-٣٣] وغيرها كثير .

- وأعجب ما تقرأ ما جاء على لسان الرحمة المُهداه ﷺ عن شجرة طوبى فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -’- أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ. قَالَ « طُوبَى لِمَنْ رَآنِى وَآمَنَ بِى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِى وَلَمْ يَرَنِى ». قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَمَا طُوبَى قَالَ « شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا »(١).

(١) رواه أحمد (٣ / ٧١) و ابن جرير في " تفسيره " (١٣ / ١٠١) و ابن حبان (٢٦٢٥)وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٦٣٩ :برقم ١٩٨٥وقال ‘ : ويشهد له ما رواه فرات بن أبي الفرات قال : قال رسول الله ’ : { طوبى لهم وحسن مآب } شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه بالحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة . وأخرج البخاري عن أنس قال : قال رسول الله ’ : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها إن شئتم فاقرؤا : { وظل ممدود وماء مسكوب } . وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ’ فقال : يا رسول الله ! أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق أم نسجا تنسج ؟ فضحك بعض القوم فقال رسول الله ’ : ومم تضحكون من جاهل يسأل عالما ؟ ثم أكب رسول الله ’ ثم قال : أين السائل ؟ قال : هو ذا أنا يا رسول الله ! قال : لا بل تشقق عنها ثمر الجنة (ثلاث مرات

- وعن شدة تعلق الإنسان بالزرع حدث ولا حرج لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((أَنَّ النَّبِيَّ ' كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ: لَهُ أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ' (١)).

وبعد هذا الاهتمام بالنبات والزرع ومصاحبته للإنسان في الدنيا والآخرة ، فهيا بنا نستروح تحت ظلال الرحمة الربانية ، التي امتنان بها علينا متمثلة برسوله ﷺ ، ونماذج من رحمته بالنبات .

- **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِذَا أَتَى بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثِّمَرَةِ وَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْه**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ '- فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' قَالَ: ((« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ ». قَالَ ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ(٢))).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ~ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' إِذَا أَتَى بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثِّمَرَةِ وَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ كَمَا أَطْعَمْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَطْعِمْنَا آخِرَهُ)، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ لِلْمَوْلُودِ مِنْ أَهْلِهِ.))وفى رواية أخرى((كان إذا أتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه (و قال : اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره) ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان .(١)))

---

(١) رواه البخاري٢١٧٧

(٢) رواه مسلم

(١) رواه الطبراني في الكبير ١١٠٥٩ ورواه ابن السني عن أبي هريرة والحكيم الترمذي عن أنس وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٦٤٤ في صحيح الجامع وما بين قوسين ضعيف عند الألباني انظر ضعيف الجامع رقم :

ما أرقه من فعل ! ، وأنبله من تصرف ، فباكورة الثمار لباكورة الصغار ، فما ألطف ذلك ! فهذه اللمسة الحانية الرقيقة ، وتلكم القبلة النبوية على وجنات الثمار الندية ، تحمل داخلها الرحمة والألفة فلا عجب أن رايته ﷺ مراراً وهو يحنك صبى من الصبيان ، أو وليدة من الولائد ، فقد روت السنة عن ((وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِى حَجْرِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ' بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلاَكَهَا فِى فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَذَفَهَا فِى فِى الصَّبِىِّ فَجَعَلَ الصَّبِىُّ يَتَلَمَّظُهَا ،قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' « انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ ». قَالَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ(١)).

- **مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِىٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ '-((« مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ »(٢).)).

سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِى مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِى فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ.

قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ :

(مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً)

: أَيْ شَجَرَة نَبْقٍ ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرَانِيِّ " مِنْ سِدْرِ الْحَرَمِ " وَهِيَ مُبَيِّنَةٌ لِلْمُرَادِ دَافِعَةٌ لِلْإِشْكَالِ ، كَذَا فِي شَرْح الْجَامِع الصَّغِير

(سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ إِلَخْ)

: وَمَا أَجَابَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا بُدّ لَهُ مِنْ التَّأْوِيلِ الصَّحِيحِ .

وَقَالَ فِي النِّهَايَة : قِيلَ أَرَادَ بِهِ سِدْرَ مَكَّةَ لِأَنَّهَا حَرَمٌ ، وَقِيلَ سِدْر الْمَدِينَة نَهَى عَنْ قَطْعِهِ لِيَكُونَ أُنْسًا وَظِلًّا لِمَنْ يُهَاجِرُ إِلَيْهَا .

. ٤٣٢٣

(١)رواه مسلم ٥٧٣٦.

(٢) رواه أبو داود ٥٢٤١ وقال الألباني : صحيح

وَقِيلَ أَرَادَ السِّدْرَ الَّذِي يَكُون فِي الْفَلَاة يَسْتَظِلّ بِهِ أَبْنَاءُ السَّبِيلِ وَالْحَيَوَانُ أَوْ فِي مِلْك إِنْسَان فَيَتَحَامَل عَلَيْهِ ظَالِمٌ فَيَقْطَعُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَمَعَ هَذَا فَالْحَدِيثُ مُضْطَرِبُ الرِّوَايَةِ فَإِنَّ أَكْثَر مَا يُرْوَى عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر وَكَانَ هُوَ يَقْطَعُ السِّدْرَ وَيَتَّخِذ مِنْهُ أَبْوَابًا .

قَالَ هِشَام : وَهَذِهِ أَبْوَاب مِنْ سِدْر قَطَعَهُ أَبِي وَأَهْل الْعِلْم مُجْمِعُونَ عَلَى إِبَاحَة قَطْعِهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ اِنْتَهَى . وَفِي مِرْقَاة الصُّعُودِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنه قَالَ أَبُو ثَوْر سَأَلْت أَبَا عَبْد اللَّه الشَّافِعِيَّ عَنْ قَطْع السِّدْر فَقَالَ لَا بَأْس بِهِ ، قَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ' أَنَّهُ قَالَ " اِغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ " .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : فَيَكُون مَحْمُولًا عَلَى مَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ

قَالَ وَرَوَيْنَا عَنْ عُرْوَة أَنَّهُ كَانَ يَقْطَعهُ مِنْ أَرْضه وَهُوَ أَحَد رُوَاة النَّهْيِ ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُون النَّهْيُ خَاصًّا كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ .

وَفِي كِتَاب أَبِي سُلَيْمَان الْخَطَّابِيّ أَنَّ الْمُزَنِيَّ سُئِلَ عَنْ هَذَا فَقَالَ وَجْهُهُ أَنْ يَكُون ' سُئِلَ عَمَّنْ هَجَمَ عَلَى قَطْع سِدْرٍ لِقَوْمٍ أَوْ لِيَتِيمٍ أَوْ لِمَنْ حَرَّمَ اللَّه أَنْ يُقْطَع عَلَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِقَطْعِهِ ، فَاسْتَحَقَّ مَا قَالَهُ ، فَتَكُون الْمَسْأَلَةُ سَبَقَتْ السَّامِعَ فَسَمِعَ الْجَوَابَ وَلَمْ يَسْمَعْ السُّؤَالَ ، وَجَعَلَ نَظِيرَهُ حَدِيث أُسَامَة أَنَّ رَسُول اللَّه ' قَالَ " إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ " وَقَدْ قَالَ " لَا تَبِيعُنَّ الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ " .

وَاحْتَجَّ الْمُزَنِيُّ بِمَا اِحْتَجَّ بِهِ الشَّافِعِيّ مِنْ إِجَازَته ' أَنْ يُغْسَلَ الْمَيِّت بِالسِّدْرِ وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يَجُزْ الِانْتِفَاعُ بِهِ . قَالَ وَالْوَرَق مِنْ السِّدْر كَالْغُصْنِ وَقَدْ سَوَّى رَسُول اللَّه ' فِيمَا حَرُمَ قَطْعُهُ مِنْ شَجَر الْحَرَم بَيْن وَرَقِهِ وَغَيْره ، فَلَمَّا لَمْ يَمْنَع عَنْ وَرَقِ السِّدْرِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَوَاز قَطْع السِّدْرِ . اِنْتَهَى

(صَوَّبَ اللَّه)

: أَيْ نَكَسَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَهَذَا دُعَاءٌ أَوْ خَبَرٌ . قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَالْحَدِيث أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَقَالَ فِيهِ عَبْد اللَّه الْخَثْعَمِيُّ (١).

(١) عون المعبود - (ج ١١ / ص ٢٧٧)

- **فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ' فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ù: ((كَانَ النَّبِيُّ ' يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ))

عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ù : ((كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ' إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ' فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ)).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ù : ((أَنَّ النَّبِيَّ ' كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا قَالَ إِنْ شِئْتُمْ فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ' فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا(١))

- **لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ: ((أَنَّ النَّبِيَّ ' كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٢))

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَقْرُبُ إِلَى جِذْعٍ إِذْ كَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الْجِذْعِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسْمِعَهُمْ خُطْبَتَكَ قَالَ نَعَمْ فَصُنِعَ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ اللَّاتِي عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ وَوُضِعَ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ' فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الْمِنْبَرَ مَرَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَهُ خَارَ الْجِذْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ' فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيْهِ فَلَمَّا هُدِمَ

(١) الروايات الثلاث للبخاري

(٢)رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم والنسائي وابن ماجه قال الشيخ الألباني : صحيح

الْمَسْجِدُ وَغُيِّرَ أَخَذَ ذَاكَ الْجِذْعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَكَانَ عِنْدَهُ حَتَّى بَلِيَ وَأَكَلَتْهُ الْأَرَضَةُ وَعَادَ رُفَاتًا(١)))

قال ابن حجر ‘ :

قَوْله : (كَانَ الْمَسْجِد مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوع مِنْ نَخْل)

أَيْ أَنَّ الْجُذُوع كَانَتْ لَهُ كَالْأَعْمِدَةِ .

قَوْله : (فَكَانَ النَّبِيّ ’ يَقُوم إِلَى جِذْع مِنْهَا)

أَيْ حِين يَخْطُب ، وَبِهِ صَرَّحَ الْإِسْمَاعِيلِيّ بِلَفْظِ " كَانَ إِذَا خَطَبَ يَقُوم إِلَى جِذْع " .

قَوْله : (كَصَوْتِ الْعِشَار)

بِكَسْرِ الْمُهْمَلَة بَعْدهَا مُعْجَمَة خَفِيفَة جَمْع عُشَرَاء تَقَدَّمَ شَرْحه فِي الْجُمْعَة ، وَالْعُشَرَاء النَّاقَة الَّتِي اِنْتَهَتْ فِي حَمْلهَا إِلَى عَشَرَة أَشْهُر ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة عَبْد الْوَاحِد بْن أَيْمَن " فَصَاحَتْ النَّخْلَة صِيَاح الصَّبِيّ " وَفِي حَدِيث أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر عِنْد النَّسَائِيّ فِي الْكَبِير " اِضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَة كَحَنِينِ النَّاقَة الْخَلُوج " اِنْتَهَى . وَالْخَلُوج بِفَتْحِ الْخَاء الْمُعْجَمَة وَضَمّ اللَّام الْخَفِيفَة وَآخِره جِيم النَّاقَة الَّتِي اُنْتُزِعَ مِنْهَا وَلَدهَا ، وَفِي حَدِيث أَنَس عِنْد اِبْن خُزَيْمَةَ " فَحَنَّتْ الْخَشَبَة حَنِين الْوَالِد ، وَفِي رِوَايَته الْأُخْرَى عَنْ الدَّارِمِيِّ " خَارَ ذَلِكَ الْجِذْع كَخُوَارِ الثَّوْر " وَفِي حَدِيث أُبَيّ بْن كَعْب عِنْد أَحْمَد وَالدَّارِمِيّ وَابْن مَاجَهْ " فَلَمَّا خَارَ الْجِذْع حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ " وَفِي حَدِيثه " فَأَخَذَ أُبَيّ بْن كَعْب ذَلِكَ الْجِذْع لَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِد فَلَمْ يَزَلْ عِنْده حَتَّى بَلِيَ وَعَادَ رُفَاتًا " وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ دُفِنَ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُون ظَهَرَ بَعْد الْهَدْم عِنْد التَّنْظِيف فَأَخَذَهُ أُبَيّ بْن كَعْب ، وَفِي حَدِيث بُرَيْدَةَ عِنْد الدَّارِمِيِّ أَنَّ النَّبِيّ ’ قَالَ لَهُ : " اِخْتَرْ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْمَكَان الَّذِي كُنْت فِيهِ فَتَكُون كَمَا كُنْت - يَعْنِي قَبْل أَنْ

(١)رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره دون قصة أخذ أبي بن كعب للجذع،ورواه ابن ماجة و قال الشيخ الألباني : حسن.

تَصِير جِذْعًا – وَإِنْ شِئْت أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّة فَتَشْرَب مِنْ أَنْهَارهَا فَيَحْسُن نَبْتك وَتُثْمِر فَيَأْكُل مِنْك أَوْلِيَاء اللَّه ، فَقَالَ النَّبِيّ ' : اِخْتَارَ أَنْ أَغْرِسهُ فِي الْجَنَّة(١) "

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : قِصَّة حَنِين الْجِذْع مِنْ الْأُمُور الظَّاهِرَة الَّتِي حَمَلَهَا الْخَلَف عَنْ السَّلَف ، وَرِوَايَة الْأَخْبَار الْخَاصَّة فِيهَا كَالتَّكَلُّفِ . وَفِي الْحَدِيث دَلَالَة عَلَى أَنَّ الْجَمَادَات قَدْ يَخْلُق اللَّه لَهَا إِدْرَاكًا كَالْحَيَوَانِ بَلْ كَأَشْرَف الْحَيَوَان ، وَفِيهِ تَأْيِيد لِقَوْلِ مَنْ يَحْمِل (وَإِنْ مِنْ شَيْء إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) عَلَى ظَاهِره))(٢) .

---

(١) القصة المروية فى التخيير عند أحمد ((فَصَغَى الْجِذْعُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ اسْكُنْ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذَا الْجِذْعُ حَنَّ إِلَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ اسْكُنْ إِنْ تَشَأْ غَرَسْتُكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلُ مِنْكَ الصَّالِحُونَ وَإِنْ تَشَأْ أُعِيدُكَ كَمَا كُنْتَ رَطْبًا فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا)) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ... وأصل القصة صحيح دون زيادة " وعند الدرامي ونصها كالتالي ((، فَزَعَمَ ابْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ سَمِعَ حَنِينَ الْجِذْعِ رَجَعَ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ :« اخْتَرْ أَنْ أَغْرِسَكَ فِى الْمَكَانِ الَّذِى كُنْتَ فِيهِ ، فَتَكُونَ كَمَا كُنْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِى الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا فَيَحْسُنَ نَبْتُكَ وَتُثْمِرَ ، فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَخْلِكَ فَعَلْتُ ». فَزَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ :« نَعَمْ قَدْ فَعَلْتُ ». مَرَّتَيْنِ ، فَسُئِلَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ :« اخْتَارَ أَنْ أَغْرِسَهُ فِى الْجَنَّةِ ». قال الأستاذ حسين سليم أسد : إسناده فيه ضعيفان : محمد بن حميد وصالح بن حيان.

(٢) فتح الباري

١٢) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالجماد.

ربما يسأل سائل رحمة بالجماد ....أتدري ما هو الجماد ؟! ...و هل للجماد شعور وأحاسيس ؟ وهل لها تأثير وتأثر بما حولها ؟

يجيبك عن ذلكم القرآن الكريم كلام رب العالمين قال ﷻ { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:٢١) فالجبل الأشم يتصدع ويخشع من خشيته ﷻ عند تلاوة القرآن.

بل ويسجد لله ﷻ قال ﷻ { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج:١٨) .

والكل قد علم صلاته وتسبيحه قال ﷻ { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور:٤١)

وليس عدم علمنا بوجود الشيء يعني عدم وجوده فقد قال ﷻ { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} (الإسراء:٤٤) ولكن الله ﷻ يطلع من يشاء من عباده فقال ﷻ {

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩)} [ص/١٧-٢٠] وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ (١)))

- **إِنَّ أُحُدًا جَبَل يُحِبّنَا وَنُحِبّهُ**

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ : ((غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ’..الحديث إلى أن قال: فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ هَذِهِ طَابَةُ فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ قَالُوا بَلَى قَالَ دُورُ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ يَعْنِي خَيْرًا)) وفى رواية ((أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ’ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)) (٢)

وعَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : ((خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ’ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ’ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا))(٣)

- قَوْله ’ : (إِنَّ أُحُدًا جَبَل يُحِبّنَا وَنُحِبّهُ)

قِيلَ : مَعْنَاهُ يُحِبّنَا أَهْله ، وَهُمْ أَهْل الْمَدِينَة ، وَنُحِبّهُمْ ، وَالصَّحِيح أَنَّهُ عَلَى ظَاهِره ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ يُحِبّنَا هُوَ بِنَفْسِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّه فِيهِ تَمْيِيزًا ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَان هَذَا الْحَدِيث قَرِيبًا . وَاَللَّه أَعْلَم (١).

---

(١) رواه البخاري

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٥ / ص ٥٦)

قال الحافظ ابن حجر ‘

– قَوْله ﷺ : (هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)

قِيلَ هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَلَا مَانِعَ مِنْ وُقُوعِ مِثْلِ ذَلِكَ بِأَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْمَحَبَّةَ فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ وَقِيلَ هُوَ عَلَى الْمَجَازِ وَالْمُرَادُ أَهْلُ أُحُد عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى(وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ)

وَقَالَ الشَّاعِرِ :

وَمَا حُبّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَن الدِّيَارَا(١)

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ أَقْوَال :

أَحَدهَا:أَنَّهُ عَلَى حَذْف مُضَاف وَالتَّقْدِير أَهْل أُحُدٍ وَالْمُرَاد بِهِمَا الْأَنْصَار لِأَنَّهُمْ جِيرَانه .

ثَانِيهَا : أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْمَسَرَّةِ بِلِسَانِ الْحَال إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَر لِقُرْبِهِ مِنْ أَهْله وَلُقْيَاهُمْ ، وَذَلِكَ فِعْل مَنْ يُحِبّ بِمَنْ يُحَبُّ .

ثَالِثُهَا : أَنَّ الْحُبَّ مِنْ الْجَانِبَيْنِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَظَاهِرِهِ لِكَوْنِ أُحُد مِنْ جِبَال الْجَنَّةِ كَمَا ثَبَتَ حَدِيثُ أَبِي عَبْسِ بْن جَبْر مَرْفُوعًا " جَبَل أُحُدٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ وَهُوَ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ " أَخْرَجَهُ أَحْمَد(٢) . وَلَا مَانِع فِي جَانِب الْبَلَدِ مِنْ إِمْكَانِ الْمَحَبَّةِ مِنْهُ كَمَا جَازَ التَّسْبِيحُ مِنْهَا ، وَقَدْ خَاطَبَهُ ‘ مُخَاطَبَةَ مَنْ يَعْقِلُ فَقَالَ لَمَّا اِضْطَرَبَ " اُسْكُنْ أُحُد " الْحَدِيث .

وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ : كَانَ ‘ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَالِاسْمَ الْحَسَنَ وَلَا اِسْمَ أَحْسَنَ مِنْ اِسْمٍ مُشْتَقٍّ مِنْ الْأَحَدِيَّةِ . قَالَ وَمَعَ كَوْنِهِ مُشْتَقًّا مِنْ الْأَحَدِيَّةِ فَحَرَكَاتُ حُرُوفِهِ الرَّفْعُ ، وَذَلِكَ يُشْعِرُ بِارْتِفَاعِ دِينِ الْأَحَدِ وَعُلُوِّهِ ، فَتَعَلُّقُ الْحُبِّ مِنْ النَّبِيِّ ‘ لَفْظًا وَمَعْنًى فَخُصَّ مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ بِذَلِكَ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ (١) .

---

(١) فتح الباري

(٢)الذي فى مجمع الزوائد[جزء ٣ – صفحة ٦٨٧] برقم (٥٩١٤ – وعن عمرو بن عوف ﷺ قال : قال رسول الله ‘ :أربعة أجبال من أجبال الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنةقيل : فما الأجبال ؟ قال : " أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة . والطور جبل من جبال الجنة . ولبنان جبل من جبال الجنة . والأنهار الأربعة : النيل والفرات وسيحان وجيحان . والملاحم : بدر وأحد والخندق وحنين " وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقال الهندي فى كتز العمال [جزء ١٢ – صفحة ٥٣٦] قال ابن الجوزي في الموضوعات وقال : لا يصح وكثير كذاب قال ابن حبان : روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة) .

(١) فتح الباري

- **مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟
قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ (١))

- قَوْله ﷺ: (أَنَّ رَسُول اللَّه ' مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ : مُسْتَرِيح وَمُسْتَرَاح ثُمَّ فَسَّرَهُ بِأَنَّ الْمُؤْمِن يَسْتَرِيح مِنْ نَصَب الدُّنْيَا ، وَالْفَاجِر يَسْتَرِيح مِنْهُ الْعِبَاد وَالْبِلَاد وَالشَّجَر وَالدَّوَابّ)
مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمَوْتَى قِسْمَانِ : مُسْتَرِيح وَمُسْتَرَاح مِنْهُ ، وَنَصَب الدُّنْيَا : تَعَبهَا . وَأَمَّا اِسْتِرَاحَة الْعِبَاد مِنْ الْفَاجِر مَعْنَاهُ : اِنْدِفَاع أَذَاهُ عَنْهُمْ ، وَأَذَاهُ يَكُون مِنْ وُجُوه مِنْهَا : ظُلْمه لَهُمْ ، وَمِنْهَا اِرْتِكَابه لِلْمُنْكَرَاتِ فَإِنْ أَنْكَرُوهَا قَاسُوا مَشَقَّة مِنْ ذَلِكَ ، وَرُبَّمَا نَالَهُمْ ضَرَره ، وَإِنْ سَكَتُوا عَنْهُ أَثِمُوا . وَاسْتِرَاحَة الدَّوَابّ مِنْهُ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْذِيهَا وَيَضُرّ بِهَا وَيُحَمِّلهَا مَا لَا تُطِيقهُ ، وَيُجِيعهَا فِي بَعْض الْأَوْقَات وَغَيْر ذَلِكَ . وَاسْتِرَاحَة الْبِلَاد وَالشَّجَر ، فَقِيلَ : لِأَنَّهَا تُمْنَع الْقَطْر بِمُصِيبَتِهِ ، قَالَهُ الدَّاوُدِيُّ . وَقَالَ الْبَاجِيّ : لِأَنَّهُ يَغْصِبهَا وَيَمْنَعهَا حَقّهَا مِنْ الشُّرْب وَغَيْره (٢).

وقال الحافظ ابن حجر '(٣) :
قَالَ اِبْن التِّين . يَحْتَمِل أَنْ يُرِيد بِالْمُؤْمِنِ التَّقِيّ خَاصَّة وَيَحْتَمِل كُلّ مُؤْمِن . وَالْفَاجِر يَحْتَمِل أَنْ يُرِيد بِهِ الْكَافِرَ وَيَحْتَمِل أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ الْعَاصِي . وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ : أَمَّا اِسْتِرَاحَةُ الْعِبَادِ فَلِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ الْمُنْكَرِ فَإِنْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ آذَاهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَثِمُوا وَاسْتِرَاحَة الْبِلَاد مِمَّا يَأْتِي بِهِ مِنْ الْمَعَاصِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْجَدْبُ فَيَقْتَضِي هَلَاكَ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ . وَتَعَقَّبَ الْبَاجِيّ أَوَّلَ كَلَامِهِ بِأَنَّ مَنْ نَالَهُ أَذَاهُ لَا يَأْثَمُ بِتَرْكِهِ لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يُنْكِر بِقَلْبِهِ أَوْ يُنْكِر بِوَجْهٍ لَا يَنَالُهُ بِهِ أَذًى وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمُرَاد بِرَاحَةِ الْعِبَادِ مِنْهُ لِمَا يَقَع لَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِ وَرَاحَةُ الْأَرْضِ مِنْهُ لِمَا

(١) متفق عليه
(٢) شرح النووي على مسلم - (ج ٣ / ص ٣٦٨)
(٣) فتح الباري

يَقَع عَلَيْهَا مِنْ غَصْبِهَا وَمَنْعِهَا مِنْ حَقِّهَا وَصَرْفِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَرَاحَة الدَّوَابِّ مِمَّا لَا يَجُوزُ مِنْ إِتْعَابِهَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

وفى الحديث إثبات لأذية الجماد من معاصي وكفر بنى آدم وبذلك نطق القرآن الكريم قال ﷻ {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)} [مريم/٨٨-٩٥](١)

قال الحافظ ابن كثير ،(٢):

وقوله: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } أي: يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظامًا للرب وإجلالا؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصمد:

وفي كُلّ شَيءٍ له آيةٌ ... تَدُل على أنه واحِدُ

قال ابن عباس ~ في قوله: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع

---

(١) قال ابن عاشور ، التحرير والتنوير - (ج ٩ / ص ١٨)

وتكرير اسم { الرّحمن } في هذه الآية أربع مرات إيماء إلى أن وصف الرحمان الثابت لله ، والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله وإن أنكروا لفظه ، ينافي ادعاء الولد له لأنّ الرحمان وصف يدلّ على عموم الرّحمة وتكثرها . ومعنى ذلك : أنّها شاملة لكل موجود ، فذلك يقتضي أن كل موجود مفتقر إلى رحمة الله تعالى ، ولا يتقوم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه . لأنه لو كان بعض الموجودات ابناً لله تعالى لاستغنى عن رحمته لأنه يكون بالبنوة مساوياً له في الإلهية المقتضية الغنى المطلقَ ، ولأن اتخاذ الابن يتطلّبُ به متخذُه برّ الابن به ورحمته له ، وذلك ينافي كون الله مفيض كلّ رحمة .

فذكر هذا الوصف عند قوله : { وقالوا اتخذ الرحمن ولداً } وقوله { أن دعوا للرحمن ولداً } تسجيل لغباوتهم .

وذكره عند قوله : { وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً } إيماء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله .

وذكرُه عند قوله : { إلا آتي الرحمان عبداً } استدلال على احتياج جميع الموجودات إليه وإقرارها له بملكه إياها.

(٢) تفسير القرآن العظيم

الخلائق إلا الثقلين، فكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين، وقال رسول الله ’: "لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة". قالوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: "تلك أوجب وأوجب". ثم قال: "والذي نفسي بيده، لو جيء بالسماوات والأرضين وما فيهن، وما بينهن، وما تحتهن، فوضعن في كفة الميزان، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى، لرجحت بهن" (١)هكذا رواه ابن جرير، ويشهد له حديث البطاقة، والله أعلم.

وقال الضحاك: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } أي: يتشققن فَرَقًا من عظمة الله.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: { وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ } أي: غضبًا لله، عز وجل.

{ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } قال ابن عباس: هدمًا.

وقال سعيد بن جبير: { هَدًّا } ينكسر بعضها على بعض متتابعات.

وروى ابن أبي حاتم عن عون بن عبد الله قال: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان، هل مر بك اليوم ذاكرُ الله عز وجل ؟ فيقول: نعم، ويستبشر. قال عون: لهي للخير أسمع، أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره، ثم قرأ: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } (٢)

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى ــ قال: قال رسول الله ’: " ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنه يشرك به، ويجعل له ولدًا، وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم".أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ: "إنهم يجعلون له ولدًا، وهو يرزُقُهم ويعافيهم".

وقوله: { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا } أي: لا يصلح له، ولا يليق به لجلاله وعظمته؛ لأنه لا كفء له من خلقه ؛ لأن جميع الخلائق عبيد له؛ ولهذا قال: { إِنْ كُلُّ مَنْ

(١) رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا على بن ابى طلحة لم يسمع من ابن عباس

(٢) ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١١٧٦) من طريق ابن أبي عمر، عن سفيان، عن مسعر به، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٧/٩) من طريق سعيد بن منصور، عن سفيان، عن مسعر، عن عون، عن ابن مسعود، بنحوه. وقال الهيثمي في المجمع (٧٩/١٠): "رجاله رجال الصحيح".

فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } أي: قد علم عَدَدَهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة، ذَكَرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم،
{ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } أي: لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذَرّة، ولا يظلم أحدا.

وكذلك العكس أن الكائنات تحزن وتئن(١) وتبكي على صالحي بنى آدم قال ﷻ { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)} [الدخان/٢٩]
قال الحافظ ابن كثير ' (٢):

وقوله: { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ } أي: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدهم؛ فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم.
قال الحافظ أبو يعلى الموصلي بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ ، عن النبي ' قال: "ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه" وتلا هذه الآية: { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ } وذُكر أنهم لم يكونوا عملوا على الأرض عملا صالحا يبكي عليهم. ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب، ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم (١) .
وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى عباد بن عبد الله قال: سأل رجل عليًّا ـ: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء. وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل

(١) وهناك مقالة للدكتور نظمى عطا أسماها عندما يئن النبات
(٢) تفسير القرآن العظيم

(١) مسند أبي يعلى (١٦٠/٧) قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف جدا ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٢٥٥) من طريق موسى بن عبيدة به مختصر، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث" وضعفه الألباني وغيره.

صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي، ـ { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ }

وروى ابن جرير بسنده إلى سعيد بن جبير قال: أتى ابنَ عباس رجلٌ فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله: { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه يترل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله ويترل منه رزقه بكى عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، و لم يكن يصعد إلى الله منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض .

وقال سفيان الثوري، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغير واحد (١).

وقال مجاهد أيضا: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، قال: فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد، كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟))إ.هـ

قد تدهش إن علمت أن العلم الحديث أثبت ذلك ففى بحث يثير فضول الباحثين للعالم الدكتور الياباني ميسارو ايموتو أسماه ((رسائل من الماء)) قام بتجربتها في بحيرات مجمدة على الماء المجمد حتى يسهل التصوير لجزيئات الماء ، بدأت تجربة العالم الياباني ميسارو ايموتو تجربته على الماء بجملة قرائها في الموسوعة وهو أن بلورات الثلج التي تسقط لا تتشابه فقال هذا كلام غير صحيح لأن الذي يتحكم في شكل البلورة ،هو التركيب الكيميائي ونحن

(١) روى الحاكم(عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ù : في قوله عز و جل : { فما بكت عليهم السماء و الأرض } قال : بفقد المؤمن أربعين صباح))المستدرك [جزء ٢ - صفحة ٤٨٧] صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

نعلم التركيب الكيميائي للماء ذرة أوكسجين و ذرتي هيدروجين لتكون الشكل البلـــوري للماء فأخذ عينتين من صنبورين مختلفين وبردهم تبريد بطيئ لأنه إذا برده الماء تبريد فجائي يتحول إلى ثلج لا شكل له أما التبريد البطيئ فيحوله إلى بلورات .

كل عينة أعطه شكل بلوري مختلف أخذ عينتن أخرى من بئرين مختلفين من بحـــرين مـــن نهرين في كل حاله الماء يعطي شكل بلوري مختلف فتخيل أن هناك نوع مـــن الســـحر أو الغيب الذي لا يدركه ،وهذه الأبحاث أثبتت أن جزيئات المـــاء تتشـــكل ببلـــورات ذات أشكال تعتمد على ما يلقى على الماء من كلام أي أن الخواص الفيزيائية للماء تتغير تبعا لما يلقى على الماء من كلام ، واظهر خلال البرنامج صور لأشكال بلـــورات المـــاء بشـــكل اعتيادي وشكلها بعد تسليط كلام معين عليها ووجد انه مثلا كلمة شكر أو كلمه آســـف أو حب تجعلها تتسم بنسق جميل ولطيف في حين كلمة كره أو كلمات قبيحـــة تجعلـــها مشوشة وشكلها مخيف.

صورة الماء عندما نقول كلمة شكرًا

صورة الماء عندما يقرأ البسملة

عندما نقول كلمة السلام

عرضت عينة المياة لشريط صوتي لآيات من القران فتحولت كريستالات الماء التى استمعت إلى القرآن إلى شكل كتاب كما واضح في الصورة

عرضت عينة المياة إلى صورة الكعبة وللحرم وكانت دهشت العالم الياباني أن كريستاله الماء أصبحت كأنها صور الحرم من الطائرة(١)

(١) الصور مأخوذة من بعض المواقع على الشبكة العلمية للمعلومات منها موقع العالم الياباني نفسه وهو
http://www.masaru-emoto.net/english/entop.html
وموقع منتديات مكاوي تحت عنوان **حتى الماء يتأثر بمشاعرك.... الرسائل المخفية في الماء**
(http://www.makkawi.com/forum/showthread.php?t=30725)

وهذه صور لكلمات قبيحة مثل كره وحقد..وما إلى ذلك..قالوها فصوروا تبلور الماء فيها.

وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط تلخيصاً للكتاب المهم أصدره العالم الياباني "ماسارو إيموتو" عن العلاج النفسي بالماء. حيث اكتشف إيموتو أن جزيئات الماء تتفاعل مع أفكار البشر وكلماتهم ومشاعرهم، وبذلك قاد ثورة علمية، فقد قام بقياس ذبذبات الماء إذا نزل فيه شخص حزين مكتئب أو سعيد مرح، أو غيرها من الانفعالات. فاكتشف أن القياسات تختلف تماما تبعا لكل انفعال منها، وأنها ثابتة لكل انفعال، وكأن للماء رد فعل وانفعالات ردا على ما «يستشعره» من انفعالات الغاطسين فيه. والمدهش حقاً أنه لا يجب أن يغطس الإنسان بكامله لفترة طويلة، بل يكفي أن يقوم بغمس يديه في الماء لفترة قصيرة حتى تتغير ذبذباته، والأكثر إدهاشا هو أن الدكتور "إيموتو" نجح من خلال استخدام آلة تصوير فائقة السرعة أن يصور اختلاف شكل بلورات الماء المجمدة عندما «تتجاوب» مع مشاعر الإنسان. فمثلا، يظهر الماء المجمد على شكل ندفات ثلج ملونة وزاهية عندما يتم الهمس بكلمات محبة في الماء وعلى العكس من ذلك، فإن الماء العكر أو الماء الذي يتم بث أفكار سلبية فيه يظهر أشكالا غير كاملة، وغير متناسقة ذات ألوان باهتة تمامًا كما أن الموسيقى والصور وحتى الكلمات المكتوبة على ورق لها رد فعل واستجابة بشكل ما من الماء. ويؤمن "إيموتو" بأنه يمكن استغلال هذا التفاعل في علاج الإنسان والبيئة من حوله أيضا، من خلال التعبير المتعمد عن الحب والنيات الحسنة وشتى المشاعر الإيجابية.

فما لنا بعد ذلك البيان الرباني الذي أجراه الله ﷻ على بعض خلقه تصديقًا لوحيه المنزل فصدق الله ﷻ وبلغ رسوله ﷺ ونحن على ذلك من الشاهدين ،كما نردد معه ﷺ قوله ((مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ))كما جاء عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ (١)).

١٤) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالكفار.

فهو ﷺ الذي ختم به جميع الرسل عليهم السلام، وختم بكتابه ودينه المفصل الكامل جميع الكتب والأديان رحمة من الله للعالمين.

فقد بعثه ﷺ في وقت أظلمت فيه الآفاق بالشرك والوثنية والجهل، وانطمست معالم الرسالات، وكلف تبليغ هذا الدين إلى قومه الأقربين، ثم عشيرته المحيطين به، ثم العرب

(١) متفق عليه

أجمعين، ثم أمم الأرض وعظماءها من الأمراء والسلاطين، ولقي ﷺ ما لقيه إخوانه المرسلون عليهم السلام ، من أقوامهم الضالين من الأذى والامتحان، والصد عن سبيل الله وإتباع سبيل الشيطان، وأوذي معه صحبه الكرام الذين أقام الله بهم دين الإسلام.

دعا ﷺ سرًا وعلنًا، وعرض دعوته على الغني والفقير، والقوي والضعيف، وهجر بلاده مكة هو وصحبه عندما سد المشركون أمام دعوته الأبواب، وكانت أحب البلاد إلى الله.

واصل دعوته في المدينة، وهجم عليه المشركون من كل حدب وصوب، فجاهد في الله حق جهاده مدافعًا عن دين الله، وقائمًا بدعوة الله، وسالت دماؤه الزكية وجرح جسمه الطاهر وكسرت أسنانه النظيفة، وقتل كثير من أصحابه، مستشهدين في ساح الجهاد التي اشترك معهم فيها الملائكة المقربون، حتى نصر الله دينه وأعلى كلمته وكان ذلك كله امتثالا لأمر ربه، ورحمة بعباد الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ولنقرأ كذلك بعض الآيات في معاناته ﷺ، وكيف وقف قومه المشركون واليهود والنصارى، من الحق الذي جاء به، وكيف صبر ومضى مشفقا عليهم رحيما بهم.

قال تعالى: { وَهُوَ اللَّهُ فِي السماوات وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(٣)وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٥)أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ(٦)وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(٧) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ(٨)وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ(٩)وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(١٠)قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١١)قُلْ لِمَنْ مَا فِي السماوات وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(١٢)وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٣)قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السماوات وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ(١٤)قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥)مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ(١٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٧)وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(١٨)قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(١٩) الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٢٠)وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢١)وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ(٢٢)ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(٢٣)انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٢٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(٢٥)} [الأنعام/٤-٢٥]

وقال تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) }[الإسراء/٨٩-٩٣]

ومع هذه المواقف القاسية العنيدة التي كان يقفها قومه المشركون منه، كان يحزن لحالهم ويتحسر ويهتم بأمرهم، رحمة بهم وإشفاقا على ما سيلقونه من مصير سيئ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى له مسليًا ومصبِّرًا: { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)} [النحل/١٢٧]

وقال تعالى:{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)} [النمل/٧٠]

وقال تعالى:{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)} [الكهف/٦]

هكذا كان ' يحزن لحال أمته الذين لم يستجيبوا لدعوته، مشفقا عليهم راغبا في هدايتهم برغم عدائهم وحربهم له ولدينه(١).

قد سبق في فصل سابق بعنوان ((هل الكافر مرحوم؟!)) و فى ((تفسير قوله ﷺ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧) .

ولكن هاهنا نتأتى بأمثلة من رحمته ' بهم ، وذلك لدخولهم في عموم قوله ﷻ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧) .

- نماذج من رحمته ' بالكفار والمشركين.
- نماذج من رحمته ' بأهل الكتاب .

نماذج من رحمته ﷺ بالكفار والمشركين

- **{ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ}**

عَنْ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : ((أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ' قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ' يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ

(١) د/الأهدل في كتابه (الإيمان هو الأساس).

فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }(١) .

وفي رواية لأَحْمَد و الْبَزَّار ((حَضَرْتهمْ وَقَدْ اِجْتَمَعَ أَشْرَافهمْ فِي الْحِجْر فَذَكَرُوا رَسُول اللَّه ' فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْل صَبْرنَا عَلَيْهِ ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَيَّرَ دِيننَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتنَا . فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ ، فَاسْتَلَمَ الرُّكْن ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ فِي الثَّالِثَة " لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ " وَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ " يَا أَبَا الْقَاسِم مَا كُنْت جَاهِلًا ، فَانْصَرِفْ رَاشِدًا ، فَانْصَرَفَ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَد اِجْتَمَعُوا فَقَالُوا : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَتَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ فَقَالُوا : قُومُوا إِلَيْهِ وَثْبَة رَجُل وَاحِد ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْت رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابه ، وَقَامَ أَبُو بَكْر دُونه وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُول رَبِّيَ اللَّه ؟ ثُمَّ اِنْصَرَفُوا عَنْهُ " .

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّار بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ أَنَس قَالَ " لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُول اللَّه ' مَرَّة حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْر فَجَعَلَ يُنَادِي : وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُول رَبِّيَ اللَّه ؟ فَتَرَكُوهُ وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْر " وَهَذَا مِنْ مَرَاسِيل الصَّحَابَة .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ حَسَن مُطَوَّلًا مِنْ حَدِيث أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر أَنَّهُمْ " قَالُوا لَهَا مَا أَشَدّ مَا رَأَيْت الْمُشْرِكِينَ بَلَغُوا مِنْ رَسُول اللَّه ' " ؟

" فَأَتَى الصَّرِيخ إِلَى أَبِي بَكْر فَقَالَ : أَدْرِك صَاحِبك ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدنَا وَلَهُ غَدَائِر أَرْبَع وَهُوَ يَقُول : وَيْلَكُمْ ، أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُول رَبِّيَ اللَّه ؟ فَلَهَوْا عَنْهُ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى أَبِي بَكْر ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْر فَجَعَلَ لَا يَمَسّ شَيْئًا مِنْ غَدَائِره إِلَّا رَجَعَ مَعَهُ " . وَلِقِصَّةِ أَبِي بَكْر هَذِهِ شَاهِد مِنْ حَدِيث عَلِيّ أَخْرَجَهُ الْبَزَّار مِنْ رِوَايَة مُحَمَّد بْن عَلِيّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ " مَنْ أَشْجَع النَّاس ؟ فَقَالُوا : أَنْتَ قَالَ : أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَد إِلَّا أَنْصَفْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ أَبُو بَكْر ، لَقَدْ رَأَيْت رَسُول اللَّه ' أَخَذَتْهُ قُرَيْش فَهَذَا يَجَؤُهُ وَهَذَا يَتَلَقَّاهُ وَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ تَجْعَل الْآلِهَة إِلَهًا وَاحِدًا ، فَوَاَللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَد إِلَّا أَبُو بَكْر يَضْرِب هَذَا وَيَدْفَع هَذَا وَيَقُول : وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُول رَبِّيَ اللَّه ؟ ، ثُمَّ بَكَى عَلِيّ ثُمَّ قَالَ . أُنْشِدكُمْ اللَّه أَمُؤْمِن آل فِرْعَوْن

(١) رواه البخاري

أَفْضَل أَمْ أَبُو بَكْر ؟ فَسَكَتَ الْقَوْم ، فَقَالَ عَلِيّ : وَاَللَّه لَسَاعَة مِنْ أَبِي بَكْر خَيْر مِنْـــهُ ، ذَاكَ رَجُل يَكْتُم إِيمَانه ، وَهَذَا يُعْلِن بِإِيمَانِهِ " (١).

- **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**

عَنْ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ ~ زَوْجَ النَّبِيِّ ' حَدَّثَتْهُ : ((أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ' هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَـــى مَـــا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَـــا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَـــكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَـــكُ الْجِبَـــالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ' : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا(٢))

قال الحافظ ابن حجر '(٣):

وَفِي هَذَا الْحَدِيث بَيَان شَفَقَة النَّبِيّ ' عَلَى قَوْمه ، وَمَزِيد صَبْره وَحَمْله ، وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِـــهِ تَعَالَى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْت لَهُمْ) وَقَوْله (وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) .

- **حاصروه في الشِعْب(١) .... ويشفع لهم في الميرة**

---

(١) جمع هذه الروايات الحافظ ابن حجر في فتح الباري- (ج ١١ / ص ١٧٥)

(٢) متفق عليه

(٣) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ١٦)

(١)سيرة ابن كثير[جزء ٢ - صفحة ٤٧](ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن إسحق قال:((لما مضى رسول الله ' على الذي بُعث به و قامت بنو هاشم و بنو المطلب دونه و أبوا أن يسلموه و هم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا و يسلموا أخاهم لما قارفه من قومه ، فلما فعلت ذلك بنو هاشم و بنو المطلب و عرفت قريش ألا سبيل إلى محمد اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم و بني عبد المطلب : ألا يناكحوهم و لا ينكحوا إليهم و ألا يبايعوهم و يبتاعوا منهم و كتبوا صحيفة في ذلك و علقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم و آذوهم و اشتد عليهم البلاء و عظمت الفتنة و زلزلوا زلزالا شديدا. ....ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب و ما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، حتى كره عامة قريش ما أصابهم و أظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمةو ذكروا أن الله برحمته أرسل على

وعن ابن عباس ~: أن ثمامة ابن أثال الحنفي ﷺ ، لما أتى النبيّ ﷺ وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق بمكة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العِلْهِز(١)، فجاء أبو سفيان إلى النبيّ ' ، فقال: أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: "بلى!" فقال: قد قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ! فأنزل الله ﷻ {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)} [المؤمنون/٧٥-٧٧](٢).

- **قَالَ الزُّهْرِيِّ ' : ((ضُرِبَ وَجْهُ النَّبِيِّ ' يَوْمئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا))**

عَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ ((وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ' وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ وَبِمَا دُووِيَ قَالَ كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ' تَغْسِلُهُ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ وَجُرِحَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ))(١)

صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أكلته و بقي فيها الظلم و القطيعة و البهتان فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ' فأخبر بذلك عمه أبا طالب ثم ذكر بقية القصة))

(١) هو شيء يَتَّخِذونه في سِنِي المَجاعَة يَخْلِطون الدَّمَ بأوْبَارِ الإبِل ثم يَشْوُونه بالنَّار ويأكلونه.

(٢) انظر الطبري: ١٨ / ٤٥، أسباب النزول للواحدي ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ، الدر المنثور: ٦ / ١١١، الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي (صـ١٠٠) وقال الزيلعي في نصب الراية[جزء ٣ - صفحة ٤٠٢] (- أمر ثمامة أن يمير أهل مكة وهم حرب عليه.قلت : رواه البيهقي في " دلائل النبوة - في آخر باب حديث الإفك " من طريق ابن إسحاق حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكر قصة إسلام ثمامة بلفظ " الصحيحين " وفي آخره : فقال : إني والله ما صبوت ولكني أسلمت وصدقت محمدا وآمنت به وأيم الذي نفس ثمامة بيده لا يأتيكم حبة من اليمامة - وكانت ريف مكة ما بقيت - حتى يأذن فيها محمد ' وانصرف إلى بلده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش فكتبوا إلى رسول الله ' يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى إليهم حمل الطعام ففعل رسول الله ' مختصرًا).

(١) متفق عليه

بوب الإمام البخاري فى صحيحه : (بَاب مَا أَصَابَ النَّبِيّ ' مِنْ الْجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ)
((مَا ذُكِرَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّهُ شُجَّ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَجُرِحَتْ وَجْنَتُهُ وَشَفَتُهُ السُّفْلَى مِنْ بَاطِنِهَا وَوَهَى مَنْكِبه مِنْ ضَرْبَةِ اِبْنِ قَمِيئَةَ وَجُحِشَتْ رُكْبَتُهُ .وَرَوَى عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : " ضُرِبَ وَجْهُ النَّبِيِّ ' يَوْمئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا " وَهَذَا مُرْسَل قَوِيّ ، وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالسَّبْعِينَ حَقِيقَتَهَا أَوْ الْمُبَالَغَةَ فِي الْكَثْرَةِ .
قَوْله : (وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ وَجُرِحَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ)
رَبَاعِيَتُهُ هِيَ بِتَخْفِيفِ الْيَاء ، وَهِيَ السِّنّ الَّتِي تَلِي الثَّنِيَّة مِنْ كُلّ جَانِب ، وَلِلْإِنْسَانِ أَرْبَع رَبَاعِيَات ، فِيهِ : اِسْتِحْبَاب لُبْس الْبَيْضَة وَالدُّرُوع وَغَيْرهَا مِنْ أَسْبَاب التَّحَصُّن فِي الْحَرْب ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِقَادِحٍ فِي التَّوَكُّل .وَفِي هَذَا وُقُوع الِانْتِقَام وَالِابْتِلَاء بِالْأَنْبِيَاءِ صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ لِيَنَالُوا جَزِيل الْأَجْر ، وَلِتَعْرِفَ أُمَمهمْ وَغَيْرهمْ مَا أَصَابَهُمْ ، وَيَتَأَسَّوْا بِهِمْ ، قَالَ الْقَاضِي : وَلِيُعْلَمَ أَنَّهُمْ مِنْ الْبَشَر تُصِيبهُمْ مِحَن الدُّنْيَا ، وَيَطْرَأ عَلَى أَجْسَامهمْ مَا يَطْرَأ عَلَى أَجْسَام الْبَشَر ، لِيَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ ، وَلَا يُفْتَتن بِمَا ظَهَرَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ الْمُعْجِزَات ، وَتَلْبِيس الشَّيْطَان مِنْ أَمْرهمْ مَا لَبَّسَهُ عَلَى النَّصَارَى وَغَيْرهمْ (١).

- **اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**

عَنْ سَهْل بْن سَعْد ﷺ :" أَنَّ النَّبِيّ ' قَالَ : اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "قَالَ اِبْن حِبَّانَ : مَعْنَى هَذَا الدُّعَاء الَّذِي قَالَه يَوْم أُحُد لَمَّا شُجَّ وَجْهه أَيْ اِغْفِرْ لَهُمْ ذَنْبهمْ فِي شَجّ وَجْهِي ، لَا أَنَّهُ أَرَادَ الدُّعَاء لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ مُطْلَقًا ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَأُجِيبَ وَلَوْ أُجِيبَ لَأَسْلَمُوا كُلّهمْ فِي ذَلِك الوقتِ لا محالة(١).

- **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ.**

---

(١) فتح الباري لابن حجر – (ج ١١ / ص ٤٠٦)وما بعدها وشرح النووي على مسلم – (ج ٦ / ص ٢٤٨ وما بعدها.

(١) صحيح ابن حبان [جزء ٣ – صفحة ٢٥٤] قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ((بَعَثَ النَّبِيُّ ' خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ

فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ' فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ ،تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ : لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟

قَالَ :مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ ، تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ.

فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟

فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ .

فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ .

فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ.

فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ.

وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ،فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ . وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ . وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ .

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ:لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ.

قَالَ : لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ' وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ '(١)).

وَفِي قِصَّة ثُمَامَة مِنْ الْفَوَائِد رَبْط الْكَافِر فِي الْمَسْجِد ، وَالْمَنّ عَلَى الْأَسِير الْكَافِر وَتَعْظِيم أَمْر الْعَفْو عَنْ الْمُسِيء لِأَنَّ ثُمَامَة أَقْسَمَ أَنَّ بُغْضه اِنْقَلَبَ حُبًّا فِي سَاعَة وَاحِدَة لِمَا أَسَدَاهُ النَّبِيّ ' إِلَيْهِ مِنْ الْعَفْو وَالْمَنّ بِغَيْرِ مُقَابِل . وَفِيهِ الِاغْتِسَال عِنْد الْإِسْلَام وَأَنَّ الْإِحْسَان يُزِيل الْبُغْض وَيُثْبِت الْحُبّ ، وَأَنَّ الْكَافِر إِذَا أَرَادَ عَمَل خَيْر ثُمَّ أَسْلَمَ شَرَعَ لَهُ أَنْ يَسْتَمِرّ فِي عَمَل ذَلِكَ الْخَيْر . وَفِيهِ الْمُلَاطَفَة بِمَنْ يُرْجَى إِسْلَامه مِنْ الْأَسَارَى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَة لِلْإِسْلَامِ ،

(١) متفق عليه

وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَتّبِعُهُ عَلَى إِسْلَامه الْعَدَد الْكَثِير مِنْ قَوْمه ، وَفِيهِ بَعْث السَّرَايَا إِلَى بِلَاد الْكُفَّار ، وَأَسْر مَنْ وُجِدَ مِنْهُمْ ، وَالتَّخْيِير بَعْد ذَلِكَ فِي قَتْله أَوْ الْإِبْقَاء عَلَيْهِ(١) .

- **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَاب فَقَالَ :« مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ ». قَالُوا : نَقُولُ ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٍ رَحِيمٍ قَالَ وَقَالُوا ذَلِكَ ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -'- :« أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ». قَالَ فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِى الإِسْلاَمِ)) فِىرواية أخرى لهَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِى الْمَسْجِدِ :« مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟ ». قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ :« اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ »(٢).

- **أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ù أَنّ النَّبِيَّ ' بَعَثَ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشِقْتُ امْرَأَةً فَلَحِقْتُها فَدَعُونِي أَنْظُرْ إِلَيْهَا، ثُمَّ اصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ أدماءُ فَقَالَ لَهَا: اسْلَمِي حُبَيْشُ قَبْلَ نفادِ الْعَيْشِ ،
أَرَأَيْتِ لَوْ تَبِعْتُكُمْ فَلَحِقْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ

---

(١)فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ١٨٩)

(٢) رواه البيهقي بإسناد ضعيف، ضعفه الحافظ العراقي والشيخ الألباني السلسلة الضعيف برقم ١١٦٣، وبعض أهل العلم يرون أن شهرته تغني عن إسناده ، ويشهد له ما جاء فى الصحيحين وغيرهما لانه كان معروف لدى الصحابة تسميتهم بالطلقاء كحديث أَنَسٍ ـ : ((أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ' مَا هَذَا الْخِنْجَرُ قَالَتْ اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَضْحَكُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنْ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ))متفق عليه – وحديثه ـ أيضًا ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ ' عَشَرَةُ آلَافٍ وَالطُّلَقَاءُ فَأَدْبَرُوا قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ' فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا))

أَمَا كَانَ حَقٌّ أَنْ يَنولَ عاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقَ
قَالَتْ: نَعَمْ، فَدَيْتُكَ، قَالَ: فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ فَشَهِقَتْ شَهْقَةً، أَوْ شَهْقَتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَتْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ': أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ(١)))

- **{ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا }**

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ù أَخْبَرَهُ : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ قَالَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ' عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ فَلَمْ يَزَلْ النَّبِيُّ ' يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ' دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ' يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ '

(١) المعجم الكبير للطبراني(ج ١٠ / ص ٦٢) وقال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ١٨٤ : فالإسناد حسن كما قال الهيثمي في " المجمع"(٦ / ٢١٠)

وَكَانَ النَّبِيُّ ' وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

{ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا } الْآيَةَ وَقَالَ اللَّهُ

{ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَكَانَ النَّبِيُّ ' يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ' بَدْرًا فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ' عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا (١).

نماذج من رحمته ' بأهل الكتاب .

- **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّارِ**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : ((كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ' فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ' يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ' فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ '

---

(١) رواه البخاري قَوْله : (يَتَثَاوَرُونَ) أَيْ يَتَوَاثَبُونَ ، أَيْ قَارَبُوا أَنْ يَثِب بَعْضهمْ عَلَى بَعْض فَيَقْتَتِلُوا ، يُقَال ثَارَ إِذَا قَامَ بِسُرْعَةٍ وَانْزِعَاج .
قَوْله : (عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيَعْصِبُوهُ بِالْعِصَابَةِ)
يَعْنِي يُرَئِّسُوهُ عَلَيْهِمْ وَيُسَوِّدُوهُ ، وَسَمَّى الرَّئِيس مُعَصَّبًا لِمَا يَعْصِب بِرَأْسِهِ مِنْ الْأُمُور ، أَوْ لِأَنَّهُمْ يَعْصِبُونَ رُءُوسهمْ بِعِصَابَةٍ لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِهِمْ يَمْتَازُونَ بِهَا .
قَوْله : (شَرِقَ بِذَلِكَ)
بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة وَكَسْر الرَّاء أَيْ غَصَّ بِهِ ، وَهُوَ كِنَايَة عَنْ الْحَسَد ، يُقَال غَصَّ بِالطَّعَامِ وَشَجِيَ بِالْعَظْمِ وَشَرِقَ بِالْمَاءِ إِذَا اِعْتَرَضَ شَيْء مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَلْق فَمَنَعَهُ الْإِسَاغَة .

وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ(١)) وفي رواية عَنْ أَنَسٍ ﷺ ((فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّارِ (٢))

- **أَلَيْسَتْ نَفْسًا**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ : كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رضى الله عنهم قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَا : ((إِنَّ النَّبِيَّ ' مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ أَلَيْسَتْ نَفْسًا))

وَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ كُنْتُ مَعَ قَيْسٍ وَسَهْلٍ ù فَقَالَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ' وَقَالَ زَكَرِيَّاءُ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ وَقَيْسٌ ù يَقُومَانِ لِلْجَنَازَةِ

وترجم عليه البخاري ' بقوله (بَاب مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ) (٣)

وَقَالَ جَابِرٌ ù ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ' إِذْ مَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَحْمِلَ إِذَا هِيَ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ فَإِذَا رَأَيْتُمْ جَنَازَةً فَقُومُوا (١)).

- **عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :((أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ' فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَالَ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ

---

(١) متفق عليه

(٢) أحمد وأبي داود وصححه الألباني والأرناؤوط

(٣) رواه البخاري ،والقيام لجنائز أهل الكتاب كان أولاً ثم نسخ بقوله ﷺ (فخالفوهم) لما قال اليهودي هكذا نفعلوقد تعددت علة القيام ففى الحديث الذي معنا قوله (أَلَيْسَتْ نَفْسًا) ،وفى أخر قال (إنما نقوم لمن معها من الملائكة) هكذا، فكانت الموافقة بالقيام ثم كان أخر الأمرين الجلوس مخالفة لهم .

(١) رواه أبو داود و قال الشيخ الألباني : صحيح

قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ(١))

- **فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ قَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : ((لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ' شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ' اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ' مَنْ أَبُوكُمْ قَالُوا فُلَانٌ فَقَالَ كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ قَالُوا صَدَقْتَ قَالَ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا فَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَهْلُ النَّارِ قَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ' اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ قَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ(٢)))وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : ((أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ' بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ قَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ قَالَ أَوْ قَالَ عَلَيَّ قَالَ قَالُوا أَلَا نَقْتُلُهَا قَالَ لَا قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ '))

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ " أَنَّ اِمْرَأَةً مِنْ الْيَهُودِ أَهْدَتْ لِرَسُولِ اللَّه ' شَاةً مَسْمُومَةً فَأَكَلَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَمْسِكُوا فَإِنَّهَا مَسْمُومَة ، وَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَك عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ . أَرَدْت إِنْ كُنْت نَبِيًّا فَيُطْلِعُك اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْت كَاذِبًا فَأُرِيحَ النَّاسَ مِنْك ، قَالَ فَمَا عَرَضَ لَهَا " وَمِنْ طَرِيق أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِر نَحْوه فَقَالَ : " فَلَمْ يُعَاقِبهَا " وَأَخْرَجَ اِبْن سَعْد عَنْ شَيْخِهِ الْوَاقِدِيِّ بِأَسَانِيدَ مُتَعَدِّدَة لَهُ هَذِهِ الْقِصَّة مُطَوَّلَة وَفِي آخِرِهِ " قَالَ فَدَفَعَهَا إِلَى وُلَاةِ بِشْرِ بْن الْبَرَاء فَقَتَلُوهَا " قَالَ الْبَيْهَقِيُّ . يُحْتَمَل أَنْ يَكُون تَرَكَهَا أَوَّلًا ثُمَّ لَمَّا مَاتَ بِشْر بْن الْبَرَاءِ

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) متفق عليه

مِنْ الْأَكْلَةِ قَتَلَهَا ، وَبِذَلِكَ أَجَابَ السُّهَيْلِيُّ وَزَادَ : أَنَّهُ كَانَ تَرَكَهَا لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَنْتَقِم لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ قَتَلَهَا بِبَشَرٍ قِصَاصًا.

قُلْت : وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون تَرَكَهَا لِكَوْنِهَا أَسْلَمَتْ ، وَإِنَّمَا أَخَّرَ قَتْلَهَا حَتَّى مَاتَ بِشْر لِأَنَّ بِمَوْتِهِ تَحَقَّقَ وُجُوب الْقِصَاص بِشَرْطِهِ(١).

- **قَدْ عَافَانِى اللَّهُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا**

وعَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ : ((سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ' رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه ' يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا فَعَلَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِى لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ، أَتَانِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى ، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ . قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ . قَالَ فِى أَىِّ شَىْءٍ قَالَ فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ . قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِى بِئْرِ ذَرْوَانَ » . فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ' فِى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَسْتَخْرِجُهُ قَالَ « قَدْ عَافَانِى اللَّهُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا » . فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ (٢)).

وترجم البخاري ' بقوله على مختصره (بَاب هَلْ يُعْفَى عَنْ الذِّمِّيِّ إِذَا سَحَرَ؟).

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ سُئِلَ أَعَلَى مَنْ سَحَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ قَتْلٌ قَالَ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ' قَدْ صُنِعَ لَهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلْ مَنْ صَنَعَهُ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (١).

- **مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**

---

(١) فتح الباري لابن حجر – (ج ١٢ / ص ٦٢).

(٢) وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ فِى مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ .يُقَالُ الْمُشَاطَةُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ ، وَالْمُشَاقَةُ مِنْ مُشَاقَةِ الْكَتَّانِ متفق عليه واللفظ للبخاري.

(١) صحيح البخاري

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ù: عَنْ النَّبِيِّ ' قَالَ: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا (١)).

وقد ترجم عليه البخاري ' بقوله: (بَاب إِثْم مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْم).

ورواه أيضًا النسائي بلفظ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا(٢).

- **فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ' عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ' قَالَ : ((أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣)).

- **وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ**

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ ــ قَالَ: ((نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ' خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلًا مَارِدًا مُنْكَرًا فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ' فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا فَغَضِبَ يَعْنِي النَّبِيَّ ' وَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمَّ نَادِ أَلَا إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِمُؤْمِنٍ وَأَنْ اجْتَمِعُوا لِلصَّلَاةِ قَالَ فَاجْتَمَعُوا ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ النَّبِيُّ ' ثُمَّ قَامَ فَقَالَ أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَلَا وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ وَلَا ضَرْبَ نِسَائِهِمْ وَلَا أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ (١)) .

---

(١) رواه البخاري والنسائي

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني

(٣) رواه أبي داود وصححه الألباني

(١) رواه أبي داود وحسنه الألباني

في آداب الحرب مع المحاربين من أهل الكتاب والكفار والدعاء لهم.

- **وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ـ قَالَ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ’ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ .....الحديث(١)))

قَوْله : كَانَ رَسُول اللَّه ’ : (إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْش أَوْ سَرِيَّة أَوْصَاهُ فِي خَاصَّته بِتَقْوَى اللَّه تَعَالَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : اُغْزُوا بِاسْمِ اللَّه ، فِي سَبِيل اللَّه قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ ، اُغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا)

وَفِي هَذِهِ الْكَلِمَات مِنْ الْحَدِيث فَوَائِد مُجْمَع عَلَيْهَا ، وَهِيَ تَحْرِيم الْغَدْر ، وَتَحْرِيم الْغُلُول ، وَتَحْرِيم قَتْل الصِّبْيَان إِذَا لَمْ يُقَاتِلُوا ، وَكَرَاهَة الْمُثْلَة ، وَاسْتِحْبَاب وَصِيَّة الْإِمَام أُمَرَاءَهُ وَجُيُوشه بِتَقْوَى اللَّه تَعَالَى ، وَالرِّفْق بِأَتْبَاعِهِمْ ، وَتَعْرِيفهمْ مَا يَحْتَاجُونَ فِي غَزْوهمْ ، وَمَا يَجِب عَلَيْهِمْ ، وَمَا يَحِلّ لَهُمْ ، وَمَا يَحْرُم عَلَيْهِمْ . وَمَا يُكْرَه وَمَا يُسْتَحَبّ (١) .

---

(١) رواه مسلم عن بُرَيْدَةَ والنُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ ù .

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٦ / ص ١٦٩)- ونقل د/ سهيل ذكارفى كتابه حطين مسيرة التحرير (ص٧،٨) تحت عنوان [(سيرهم) [١٠] «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، [١١] فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. [١٢] وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. [١٣] وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. [١٤] وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. [١٥] هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. [١٦] وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا) (الكتاب المقدس (لديهم)- سفر التثنية. (وحفلت الكتابات الأوربيةللعصور الوسطى بالحديث عن أكل الأوربيين للحوم العرب ، فقد حدث أثناء الحملة

• الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ

الصليبية الأولى أن شكا قائد وحدة من رجالات الحملة جوع أتباعه ، واتعدام الطعام ،إلى بطرس الناسك ، فأشار عليه بطرس بجمع جثث قتلى المسلمين وسلخها وشيها لأكلها .

وقبل ذلك التاريخ – ١٠١٨– أغار روجر النورماندي على الأندالس وقام بجمع جثث القتلى من العرب ، وأقام وليمة كبيرة لجيشه كان طعامها من لحوم الجثث، ومثل هذا ورد واضحًا في ملحمة رتشارد قلب الأسد ، المكتوبة فى القرن الثاني عشر ، أيام رتشارد وأثناء الحديث عن الحملة الصليبية الثالثة وحصار مدينة عكا ، ففي أثناء ذلك أصيب رتشارد بحمى حادة، ألزمته الفراش وجعلته يرفض ما يقدم له من طعام وشراب ، وطلب في أحد الأيام أن يُقدم له شواء خنزير ، وقام طباخ الملك بالتفتيش عن خنزير فلم يجد ، وهنا قال لنفسه : خذ فتى عربيًا يانعًا قد فارق دنياه التعيسة لتوه عليك بتنظيفه وفركه وسلخه ، وقبل أن يفسد لحمه ملحه وضع له توابل حارة ، واطاله بالعصفر ثم اشوه ، فعندما يتذوق مليكنا طعم هذا الشواء سيشفى من حماه الشديدة وستعود له قواه .

وأكل الملك اللحم وشرب المرق ، ثم غرق سبات عميق أفاق بعده وقد استرد عافيته ، وحمل سلاحه ، وامتطى حصانه ، ونزل ساحة الوغي ، حيث قاتل قتالًا شديدًا ، وعندما عاد إلى خيمته في المساء ، طرح سلاحه جانبًا ، ونزع ثيلبه ، ثم نادى طباخه ، وقال له : أخشى عودة الحمى إليّ ، لذلك أحضر لى رأس الخنزير ، وهنا تردد الطباخ ، وخاف من ملكه ، ثم أقدم على حمل رأس العربي إليه ، ووضعه أمامه على مائدته ، وفوجئ الملك في البداية ، لكنه ما لبث أن انفجر ضاحكًا ، ذلك أنه فهم الحكاية ، وصاح : عجبًا هل لحوم العرب طيبة إلى هذا الحد ؟!.بحق موت الرب وصعوده ، لن تهدر حيواتنا بعد اليوم جوعًا ، ما دمنا قادرين عى الهجوم ، ونقتل العرب ونعوض نقص المؤن لدنيا ، فقد نعمنا بمذاق لحومهم ، وما علينا إلا أن نشوي جثثهم أو نقليها أو.....)(رتشارد قلب الأسد ترجمة انكليزية ،ط نيويورك ١٩٦٦ص ١٨٣-١٩٢)].

وعلى العكس من ذلك تمامًا فينقل تحت عنوان (ص ٦)[((سيرتنا)) { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(لأنفال:٣٩) {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }(البقرة: من الآية٢٥٦). (ولقد كنت راكبًا فى خدمته –أي صلاح الدين– في بعض الأيام قبالة الافرنج ، و قد صل بعض اليزكية–طلائع الجيش– ومعه امرأة شديدة التحرق كثيرة البكاء ، متواترة الدق على صدرها ، فقال اليزكي: إن هذه خرجت من عند الأفرنج ، فسألت الحضور بين يديك ، وقد أتينا بها ، فأمر الترجمان أن يسألها عن قضيتها ، فقالت : اللصوص المسلمون دخلوا البارحة إلى خيمتي ، وسرقوا ابنتي، وبت البارحة أستغيث إلي بكرة الصنهار، فقيل لي: الملك هو رحيم ، ونحن نخرجك إليه تطلبين ابنتك منه ، فأخرجوني إليك ، وما أعرف بنتي إلا منك .

فرق لها ، ودمعت عينه ، وحركته مروءته ،وأمر من ذهب إلى سوق العسكر يسأل عن الصغيرة من اشتراها، ويدفع له ثمنها ، ويحضرها ، فما مضت ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه ، فما كان إلا أن وقع نظرها عليه عليه ، فخرت إلى الأرض تعفر وجهها فى التراب ،و الناس يبكون على ما نالها ، وهى ترفع طرفها إلى السماء ، ولا نعلم ما تقول ، فسلمت ابنتها إليها، وحملت أعيدت إلى عسكرهم].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ :((قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ' فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ قَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ (١)).

وترجم له البخاري ' بقوله (بَاب الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ)

قَوْلُهُ : (بَابُ الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ)

ذَكَرَ فِيهِ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة فِي قُدُومِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرو الدَّوسِيِّ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ' " اللَّهُمَّ اِهْدِ دَوسًا " وَهُوَ ظَاهِرٌ فِيمَا تَرْجَمَ لَهُ وَقَوْلُه " لِيَتَأَلَّفَهُمْ " مِنْ تَفَقُّهِ الْمُصَنِّفَ إِشَارَة مِنْهُ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ وَأَنَّهُ ' كَانَ تَارَةً يَدْعُو عَلَيْهِمْ وَتَارَةً يَدْعُو لَهُمْ فَالْحَالَة الْأُولَى حَيْثُ تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيَكْثُرُ أَذَاهُمْ (٢).

(١٥) ذكر طرف من رحمته ﷺ بالمنافقين.

النفاق ذلك داء الأدواء ، والمرض الفتاك ، الذي لو دخل قلب عبد صار فى إيمانه دخـــل ، وفى إسلامه دخن ، لا يكاد يسلم منه إلا من سلم قلبه من الشبهات والشهوات.

ما هو النفاق ؟ وما هي صفات المنافقين ؟

معنى النفاق في اللغة والشرع

(١) متفق عليه

(٢) فتح الباري لابن حجر – (ج ٩ / ص ١٠٧)

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ‘ : (لفظ النفاق قد قيل ، أنه لم تكن العرب تكلمت بـــه ولكنـــه مأخوذ من كلامهم فإن نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة: إذا ماتت –خرجت منها الروح– ، ومنه نافقا واليربوع (حيوان صحراوي يقوم بكتم احد جحريه ويظهر غـــيره) ، والنفـــق في الأرض قال تعالى: { وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِـــنَ الْجَـــاهِلِينَ}[الأنعام ٣٥]، فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطنًا بعد دخوله فيه ظاهراً، وقيد النفاق بأنـــه نفاق من الإيمان، ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك نافقا عليه، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول ’، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب النـــاس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعًا(١)).

بعض الصفات القولية والفعلية للمنافقين

١. خُلف العهد مع الله ﷻ.

٢. التكاسل عن أداء الصلاة وحضورها مع الجماعة.

٣. الاعتماد علي سعة رحمة الله عز وجل دون تقديم العمل الصالح.

٤. الإعراض عن الاستغفار والتوبة.

٥. قلة ذكرهم لله ﷻ .

٦. عدم فهمهم للقرآن ،وعدم تدبرهم له.

٧. عدم إيمانهم بقضاء الله وقدره وسقوطهم عند المحن.

٨. حرصهم علي المكاسب الدنيوية العاجلة وزهدهم في مكاسب الآخرة.

٩. حبهم للترف، والرياء، وكراهية الأنفاق في سبيل الله ﷻ .

١٠. حسدهم للمؤمنين الملتزمين بشرع الله ﷻ.

١١. عدم القناعة برزق الله .

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيميه

١٢. سهوله التلفظ بكلمات الكفر والفسوق.

١٣. سهولة الحلف المغلظ ،والحنث فيه.

١٤. الخوف من الموت أو القتل وكراهية الجهاد في سبيل الله.

١٥. السخرية والاستهزاء بالمؤمنين.

١٦. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

١٧. موالاة الكفار من دون المؤمنين.

١٨. التحاكم إلي غير شرع الله تعالي.

١٩. التشكيك في طهارة المجتمع الإسلامي واتهام المؤمنين بالفاحشة .

٢٠. نشر التشكيك والأراجيف عن ضعف المسلمين(١).

هذه الصفات مستخلصة من القرآن العظيم والسنة المطهرة ، و هي تدل على حالة نفسية من الصعوبة بمكان فيصعب التعامل معها ، إذ هي فاسدة مفسدة ، لذا خُصت فى القرآن الكريم بالتفصيل البيّن ، بل قد أُنزلت سورة تحمل أسمهم ، وسورة تجلى وصفهم، ولا سورة من السور المدنية إلا ولهم فيها من الذكر أقبحه ، ومن العمل أفضحه ، فسبحان من ستر قلوب العباد عن العباد على ما فيه من الحق والشكاك، والإيمان والنفاق ، والإذعان والشقاق وصدق ربي {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} (محمد:٣٠).

فكيف كان ' يتعامل مع أولئك المرضى ؟ ويترفق بهم ...لعل تدركهم رحمة !

- **قَالَ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**

(١) أنظر الكتب التالية للفائدة: المنافقون د/محمد جميل غازي- ظاهرة النفاق والمنافقون للشيخ الميداني – النفاق وأثره فى المجتمع على - حقيقة النفاق وأنواعه علي رمضان أبو العز.

عَنْ جَابِر ﷺ قَالَ : ((غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ' وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ' فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَالَ مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ' دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ' لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)) وفى رواية((قَالَ عُمَرُ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ (١))

قَوْله ' : (دَعْهُ لَا يَتَحَدَّث النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُل أَصْحَابه)

فِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ' مِنْ الْحِلْم ، وَفِيهِ تَرْك بَعْض الْأُمُور الْمُخْتَارَة ، وَالصَّبْر عَلَى بَعْض الْمَفَاسِد خَوْفًا مِنْ أَنْ تَتَرَتَّب عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَة أَعْظَم مِنْهُ ، وَكَانَ ' يَتَأَلَّف النَّاس ، وَيَصْبِر عَلَى جَفَاء الْأَعْرَاب وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرهمْ لِتَقْوَى شَوْكَة الْمُسْلِمِينَ ، وَتَتِمّ دَعْوَة الْإِسْلَام ، وَيَتَمَكَّن الْإِيمَان مِنْ قُلُوب الْمُؤَلَّفَة ، وَيَرْغَب غَيْرهمْ فِي الْإِسْلَام ، وَكَانَ يُعْطِيهِمْ الْأَمْوَال الْجَزِيلَة لِذَلِكَ ، وَلَمْ يَقْتُل الْمُنَافِقِينَ لِهَذَا الْمَعْنَى ، وَلِإِظْهَارِهِمْ الْإِسْلَام ، وَقَدْ أُمِرَ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ ، وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعْدُودِينَ فِي أَصْحَابه ' ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ إِمَّا حَمِيَّة ، وَإِمَّا لِطَلَبِ دُنْيَا ، أَوْ عَصَبِيَّة لِمَنْ مَعَهُ مِنْ عَشَائِرهمْ . قَالَ الْقَاضِي : وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء هَلْ بَقِيَ حُكْم الْإِغْضَاء عَنْهُمْ ، وَتَرْك قِتَالهمْ ، أَوْ نُسِخَ ذَلِكَ عِنْد ظُهُور الْإِسْلَام ، وَنُزُول قَوْله تَعَالَى : { جَاهِدْ الْكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ } وَأَنَّهَا نَاسِخَة لِمَا قَبْلهَا : وَقِيلَ : قَوْل ثَالِث أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ الْعَفْو عَنْهُمْ مَا لَمْ يُظْهِرُوا نِفَاقهمْ ، فَإِذَا أَظْهَرُوهُ قُتِلُوا(١).

---

(١) متفق عليه، الْكَسْع أَنْ تَضْرِب بِيَدِك عَلَى دُبُر شَيْء أَوْ بِرِجْلِك ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : أَنْ تَضْرِب عَجُز إِنْسَان بِقَدَمِك . وَقِيلَ الضَّرْب بِالسَّيْفِ عَلَى الْمُؤَخَّر(الحافظ ابن حجر – فتح الباري).

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٣٩٢)

- **فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ' قَمِيصَهُ فَقَالَ آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ فَآذَنَهُ**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ù : ((أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ ' فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ' قَمِيصَهُ فَقَالَ آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ فَآذَنَهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ قَالَ

{ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ }

فَصَلَّى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ

{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ }(١))))

قَالَ اِبْن التِّين: وَالَّذِي يَظْهَر لِي أَنَّ الْبُخَارِيّ لَحَظَ قَوْله تَعَالَى (اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِر لَهُمْ) أَيْ أَنَّ النَّبِيّ ' أَلْبَسَ عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ قَمِيصه سَوَاء كَانَ يُكَفّ عَنْهُ الْعَذَاب أَوْ لَا يُكَفّ اِسْتِصْلَاحًا لِلْقُلُوبِ الْمُؤَلَّفَة(٢).

- **إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ : ((أَنَّهُ قَالَ لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ' لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَثَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا قَالَ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَقَالَ أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا قَالَ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ' ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ

{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا إِلَى قَوْلِهِ وَهُمْ فَاسِقُونَ }(١)

---

(١) رواه الشيخان واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري لابن حجر – (ج ٤ / ص ٣٠٦)

(١) إشارة إلى قوله تعالى {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ

قَالَ فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (١))

وترجم له البخاري – (بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ ù عَنْ النَّبِيِّ ﷺ)

- **أَتَى النَّبِيُّ ' عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ**

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((أَتَى النَّبِيُّ ' عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ (٢)).

قَوْله فِي حَدِيث جَابِر " بَعْدَمَا دُفِنَ عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ " أَيْ دُلِّيَ فِي حُفْرَته ، وَكَأَنَّ أَهْل عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ خَشَوْا عَلَى النَّبِيّ ' الْمَشَقَّة فِي حُضُوره فَبَادَرُوا إِلَى تَجْهِيزه قَبْل وُصُول النَّبِيّ ' ، فَلَمَّا وَصَلَ وَجَدَهُمْ قَدْ دَلَّوْهُ فِي حُفْرَته فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ إِنْجَازًا لِوَعْدِهِ فِي تَكْفِينه فِي الْقَمِيص وَالصَّلَاة عَلَيْهِ وَاَللَّه أَعْلَم . وَقِيلَ : أَعْطَاهُ ' أَحَد قَمِيصَيْهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ لَمَّا حَضَرَ أَعْطَاهُ الثَّانِي بِسُؤَالِ وَلَده . وَفِي " الْإِكْلِيل " لِلْحَاكِمِ مَا يُؤَيِّد ذَلِكَ . وَقِيلَ : لَيْسَ فِي حَدِيث جَابِر دَلَالَة عَلَى أَنَّهُ أَلْبَسَهُ قَمِيصه بَعْد إِخْرَاجه مِنْ الْقَبْر ، لِأَنَّ لَفْظه " فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصه " (١)

كَافِرُونَ (٨٥) }[التوبة/٨٤، ٨٥]

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخاري

(١) فتح الباري لابن حجر – (ج ٤ / ص ٣٠٦)

رحمته ﷺ بعيون الآخرين

هذا الجزء ليس على شرط الكتاب ولكن من أجل إحقاق الحق، وتبيان الفضل والصـــدق، فقد نطقت ألسنة الكفار من المستشرقين الغربيين بفضل الرحمة المحمدية والمنحة الربانية (١).

ونبدأ أولاً بما جاء فى كتبهم من وصفه ﷺ بالرحمة :

(١)أ نظركتاب(الرسول ﷺ فى الدراسات الإستشراقية المنصفة)-محمد شريف الشيباني (صـــ ١٤٣:١٤٧) وقـالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل.

روى البخاري بسنده عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ù قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ' فِي التَّوْرَاةِ قَالَ : ((أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا)).

وفى سفر أشيعاء الإصحاح ٤٢ ([١٦] وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيق لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أُمَشِّيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. [١٧] قَدِ ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَى خِزْيًا الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا![١٨] «أَيُّهَا الصُّمُّ اسْمَعُوا. أَيُّهَا الْعُمْيُ انْظُرُوا لِتُبْصِرُوا. [١٩] مَنْ هُوَ أَعْمَى إِلاَّ عَبْدِي، وَأَصَمُّ كَرَسُولِي الَّذِي أُرْسِلُهُ؟ مَنْ هُوَ أَعْمَى كَالْكَامِلِ، وَأَعْمَى كَعَبْدِ الرَّبِّ؟ [٢٠] نَاظِرٌ كَثِيرًا وَلاَ تُلاَحِظُ. مَفْتُوحُ الأُذُنَيْنِ وَلاَ يَسْمَعُ». [٢١] الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا. [٢٢] (١))

---

(٢)وهذا النص بطوله يوفق هذا النقل عن أهل الكتاب المذكور فى أثر عبد الله بن عمرو بن العاص«هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. [٢] لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. [٣] قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. [٤] لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ». [٥] هكَذَا يَقُولُ اللهُ الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا: [٦] «أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ، [٧] لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ.[٨] «أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ، وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ. [٩] هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ، وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا».

[١٠] غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، [١١] لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. [١٢] لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. [١٣] الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوب يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ.[١٤] «قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ. سَكَتُّ. تَجَلَّدْتُ. كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وَأَنَخُرُ مَعًا. [١٥] أَخْرِبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا، وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَسًا وَأُنَشِّفُ الآجَامَ، [١٦] وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيق لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أُمَشِّيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. [١٧] قَدِ ارْتَدُّوا

وعلق صاحب (كتاب النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام):

- وهو نبي البر الذي يعظم شريعة الله (الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا.) إن بر نبي الإسلام ورحمته بالناس جميعا أمر يشهد به الجميع حتى من غير المسلمين ، ومنهم عتلة تطالوا على الإسلام ونبيه . ولقد حدث أن مرت جنازة يهودي فوقف النبي تكريماً للأخوة الإنسانية ، فإذا ببعض الصحابة يقول له إنها ليهودي- وقد علم ما أصاب المسلمين من أذى اليهود تمثل فى مؤامرات وفتن وحرب نفسية وحروب دموية - وأمسك عليه النبي اعتراضه قائلاً :(أليست نفساً) صدق القرآن : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧)(١)

إن الخلق المحمدي الذي هو خلق القرآن ، قد طبع بالرحمة والطيبة ، لا سيما وأن الله بعثه لينقذ البشرية من ضلالها ، ويكون هاديها إلى خير سبيل ، حاملاً لها الرحمة والخير . يقول المستشرق الأسباني جان ليك (١٨٢٢-١٨٩٧) في كتابه : " العرب " مؤكداً هذه الحقيقة :

((وحياة محمد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله نفسه بألفاظ قليلة ، بين بها سبب بعث النبي (محمد) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧))) .

إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَى خِزْيًا الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا![١٨] «أَيُّهَا الصُّمُّ اسْمَعُوا. أَيُّهَا الْعُمْيُ انْظُرُوا لِتُبْصِرُوا. [١٩] مَنْ هُوَ أَعْمَى إِلاَّ عَبْدِي، وَأَصَمُّ كَرَسُولِي الَّذِي أُرْسِلُهُ؟ مَنْ هُوَ أَعْمَى كَالْكَامِلِ، وَأَعْمَى كَعَبْدِ الرَّبِّ؟ [٢٠] نَاظِرٌ كَثِيرًا وَلاَ تُلاَحِظُ. مَفْتُوحُ الأُذُنَيْنِ وَلاَ يَسْمَعُ». [٢١] الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا. [٢٢] وَلكِنَّهُ شَعْبٌ مَنْهُوبٌ وَمَسْلُوبٌ. قَدِ اصْطِيدَ فِي الْحُفَرِ كُلُّهُ، وَفِي بُيُوتِ الْحُبُوسِ اخْتَبَأُوا. صَارُوا نَهْبًا وَلاَ مُنْقِذَ، وَسَلَبًا وَلَيْسَ مَنْ يَقُولُ: «رُدَّ!». [٢٣] مَنْ مِنْكُمْ يَسْمَعُ هذَا؟ يَصْغَى وَيَسْمَعُ لِمَا بَعْدُ؟ [٢٤] مَنْ دَفَعَ يَعْقُوبَ إِلَى السَّلَبِ وَإِسْرَائِيلَ إِلَى النَّاهِبِينَ؟ أَلَيْسَ الرَّبُّ الَّذِي أَخْطَأْنَا إِلَيْهِ وَلَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْلُكُوا فِي طُرُقِهِ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِشَرِيعَتِهِ. [٢٥] فَسَكَبَ عَلَيْهِ حُمُوَّ غَضَبِهِ وَشِدَّةَ الْحَرْبِ، فَأَوْقَدَتْهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَلَمْ يَعْرِفْ، وَأَحْرَقَتْهُ وَلَمْ يَضَعْ فِي قَلْبِهِ.

(١) ل.م /أحمد عبدالوهاب (النبوة والأنبياء) صـ١٣٩

وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة، كان محمد رحمة حقيقة لليتامى والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة وشوق لأن أصلى عليه وعلى أتباعه)) (١).

رقته و سماحة طبعه:

وإلى جانب بساطته وزهده وبعده عن الشهوات كان ﷺ رقيق مع الآخرين يعامل أصدقاءه باحترام وتقدير، مع لين عريكة وسهولة جانب ، ولطف ودماثة هي ملازمة لبطولته وشجاعته وكريم أخلاقه التي لا تعرف التصنع ولا التكلف ، تلك الصفات التي
اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء . يقول المستشرق البريطاني لين بول (١٦٥٢-١٧ ١٩) في مؤلفه: "رسالة في تاريخ العرب " متحدثاً عن سجايا الخلق المحمدي:
((إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات كاللطف والشجاعة، وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير ميل أو هوى، كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشرته سنوات بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصافح طفلاً، وأنه لم يمر بجماعة يوماً من الأيام رجالاً كانوا أم أطفالا دون أن يسلم عليهم ، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة ، وبنغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها ، و تجذب القلوب إلى صاحبها جذباً ، وقد كان محمد غيوراً ومتحمساً ، وما كانت حماسته إلا لغرض نبيل ، ومعنى سام ، فهو لم يتحمس إلا عندما كان ذلك واجباً مفروضاً لا مفر منه ، فقد كان رسول من الله ، وكان يريد أن يؤدي رسالته على أكمل وجه ، كما أنه لم ينس يوماً من الأيام كيانه أو الغرض الذي بعث من أجله ، دائماً كان يعمل له ويتحمل في سبيله جميع أنواع البلايا ، حتى انتهى إلى إتمام ما يريد))(١).

---

(١) جان ليك: العرب ص ٤٣

(١) لين بول : رسالة في تاريخ العرب ؟(نقلا عن كتاب روح الدين الاسلامي ص ٤٣٨)

وأما الكاتب الإنكليزي السير وليم موير فيتناول في مؤلفه : " حياه محمد " سجايا الرسول وشمائله ولين عريكته وتعامله مع الأطفال ، فيقول :

((ومن صفات محمد الجليلة الجديرة بالذكر ، والحرية بالتنويه ، الرقة و الاحترام ، اللذان كان يعامل بهما أصحابه ، حتى أقلهم شأناً ، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه ، ورسخت محبته عند كل من حوله ، وكان يكره أن يقول لا ، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله ، فضل السكوت على الجواب ، ولقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، وقالت عائشة رض الله عنها ، وكان إذا ساءه شيء تبينا ذلك في أسارير وجهه ، و لم يمس أحداً بسوء الا في سبل الله ، ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان حقيراً ، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانت صغيره ، وإذا جلس مع أحد أياً كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخاً وكبراً ، وكان سهلاً لين العريكة مع الأطفال ، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم السلام ، وكان يشرك غيره في طعامه))(١).

رقه قلب وأخو الإنسانية العظيم

إذ رقة قلب رسول الله ﷺ ، مشهودة له في سيرته الحياتية ، وكان فؤاده يتفطر حزناً على إخوانه في الإنسانية للفساد الواقعين به ، "والقرآن الكريم يشهد على ذلك حين يقول ﴿ ولعلك باخع نفسك إلا يكونوا مؤمنين ﴾ (٣/٢٦) ولقد عني عناية بالغة بمصلحة أتباعه وخيرهم " .

ويتناول المفكر الإنكليزي توماس كارليل في كتابه : " الأبطال " جوانب من حياة الرسول تظهر رقة قلبه ومحبته لأصدقائه و رحمته ، وأنه كان أخاً للإنسانية جمعاء ، يقول :

(١) وليم موير : حياة محمد (نقلا عن كتاب "بطل الابطال" ، عبد الرحمن عزام ، ص ٤٤-٤٥).

((وكانت آخر كلماته تسبيحاً وصلاة ، صوت فؤاد يهم بين الرجاء والخوف أن يصعد إلى ربه . ولا تحسب أن شدة تدينه أزرت بفضله ، كلاً بل زادته فضلاً ، وقد يروى عنه مكرمات عالية ، منها قوله حين رزىء بغلامه : « العين تدمع ، والقلب يوجع ، ولا نقول ما يسخط الرب » . ولما استشهد مولاه زيد (بن حارثة) في غزوة " مؤتة " قال محمد : " لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، ولقد لقي الله اليوم فلا بأس عليه " ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة أبيها ، وجدت الرجل الكهل الذي دب في رأسه المشيب يذوب قلبه دمعاً ! فقالت : " ماذا أرى ؟ " ، قال : " صديق يبكي صديقه " . مثل هذه الأقوال وهذه الأفعال ترينا في محمد أخا الإنسانية الرحيم ، أخانا جميعاً الرؤوف الشفيق ، وابن أمنا الأولى وأبينا الأول[1])).

و كانت رقة قلب الرسول و رحمته و خصاله الاخرى المتسمة بالانسانية تنطبق على مصداقية قوله : « الخلق كلهم عيال الله » ؟ يقول جان ليك في كتابه : " العرب " :

((ما أجمل ما قال المعلم العظيم (محمد ﷺ) (الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله[1])).

محبة أصدقاءه

أما الباحث الإسلامي مولانا محمد علي فيتحدث عن جوانب الرحمة في حياة الرسول ومحبته أصدقاءه ، يقول :

((وكان الرسول يحب أصحابه حباً جماً . وكان إذا ما صافح أحداً منهم لم يسحب يده إلا بعد أن يسحبها صاحبه . وكان لا يلقى الناس إلا بوجه باسم . وفي رواية عن جرير بن عبد الله أنه لم يمر النبي إلا وعلى وجهه ابتسامة . وكان في بعض الأحيان يمازح أصحابه

(١) توماس كارليلي : الابطال ، ص ٨٤-٨٥

(١) جان ليك : العرب ، ص ٤٣

ويداعبهم مداعبات بريئة . وكان يتحدث إليهم تاركاً نفسه على سجيتا غير مصطنع أيما تحفظ قد يوقع في نفوسهم أنه أسمى منهم مقاماً . . ، ولم يكن ليمتدح أو يثني على نفسه البتة . وكان يحمل أولاد أصحابه بين يديه ويحتضنهم . وكانوا يوسخون ملابسه في بعض الأحيان ، وكان أيما مسحة من الاستياء لم تكن لتطيف بوجهه . وكان يكره الاغتياب ويحظر على زائريه أن يذموا أحداً من أصحابه ، إذ كان ـ كما قال ـ حسن الظن بهم جميعاً . وكان يبدأ أصحابه إذا لقيم ، بالسلام ، ويبدأهم بالمصافحة أيضاً . وكان يناديهم أحيانا بأسماء التحبب تعبيراً عن مودته لهم . وكان لا يصادقه أحد منهم إلا رعى صداقته وقدرها حق قدرها . وكان أبو بكر خليله وصفيه حتى اللحظة الاخيرة . وكان من دأب الرسول أن يتذكر في تأثر غض وفاة خديجة وإخلاصها ، حتى بعد انقضاء سنوات طويلة على وفاتها . وكان زيد ، عبده المعتق ، شديد التعلق به إلى حد جعله يؤثر البقاء في كنفه على الذهاب مع أبيه إلى مسقط رأسه . وكان يتغاضى عن مناحي الضعف عند الناس ولايلمح إليها مجرد إلماح . وحتى إذا وقف في المسلمين خطيباً تحدث عن الوسيلة إلى التخلص من عيب معين من غير أن يدع أيما امرىء يشعر أن الرسول يشير إليه[1])).

رحمته بالأعداء

والحديث عن سماحة الرسول ومحبته أصدقاءه ، لا بد أن يقود إلى موقف الرسول من الأعداء . . فالرحمة والسماحة هما سمتان طبيعيتان في جبلته تبرزان في تعامله مع أصدقائه أو أعدائه . يقول مولانا محمد على :

((وسماحة الرسول نحو أعدائه يعز نظيرها في تاريخ العالم . فقد كان عبد الله بن أبي عدواً للإسلام ، وكان ينفق أيامه ولياليه في وضع الخطط لإيقاع الأذى بالدين الجديد ، محرضاً المكيين واليهود تحريضاً موصولاً على سحق المسلمين . ومع ذلك فيوم توفي عبد الله دعا الرسول ربه أن يغفر له ، بل لقد قدم رداءه إلى أهله كي يكفنوه به . والمكيون الذين أخضعوه وأصحابه ، دائماً وأبداً ، لأشد التعذيب بربرية منحهم عفواً عاماً . وفي إمكان

(١) مولانا محمد علي : حياة محمد و سيرته ، ص ٢٦٨

المرء أن يخيل المعاملة التي كان يجدر بفاتح دنيوي النزعة أن يعاملهم بها . ولكن صفح الرسول كان لا يعرف حدوداً . فقد غفر لهم ثلاثة عشر عاماً من الاضطهاد والتآمر . وكثيراً ما أطلق سراح الأسرى في سماحة بالغة ، رغم أن عددهم بلغ في بعض الأحيان ستة آلاف أسير . وفي رواية عن عائشة أنه لم ينتقم في أيما يوم من الأيام من امرىء أساء إليه . صحيح أنه أنزل العقوبة ببعض أعدائه في أحوال نادرة جداً ، وفي فترات جد متباعدة . ولكن تلك الحالات كانت تطوى كلها على خيانات بشعة قام بها أناس لم يعد الصفح يجدي في تقويمهم وإصلاحهم . والحق أن ترك أمثال هؤلاء المجرمين سالمين غانمين كان خليقاً به أن يني استحسان الأذى والتشجيع عليه . والرسول لم يلجأ إلى العقوبة قط حيثما كان ثمة مجال لنجاح سياسة الصفح كرادع إن لم نقل كإجراء إصلاحي . ولقد أسبغ عفوه على أتباع الأديان جميعاً – يهود ، ونصارى ، ووثنيين ، وغيرهم– إنه لم يقصر إحسانه على أتباع دينه فحسب[1])).

الرحمة و العنف

غير أن موقف الرسول من الأعداء لا بد أن يقود عملياً ، إلى مناقشة المواقف التي تفرض على القائد فرضاً فتدفعه إلى الشدة التي يراها البعض قسوة وعنفاً ، . . فالرسالة الإسلامية هذه النبتة التي نشأت في مناخ عدائي لا يمكن أن تظهر كدوحة جبارة دون أن تكون على مواقف جدية في مواجهة العنف المضاد ، في إطار المجابهة بين قوتين أو أحياناً القيام بأعمال رادعة تمنع تآمر الأعداء و تزيل أخطارهم المستقبلية ، يقول توماس كارليل :

((و لم تخل الشعوب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قسوة ، ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من الأولى ولا يفتخر بالثانية . إذ كان يراها من وحى وجدانه وأوامر شعوره ، و لم يكن وجدانه لديه بالمتهم ولا شعوره

(١) مولانا محمد علي ، ص ٢٦٩-٢٧٠

بالظنين[١])).

ومن العجب أن بعض المستشرقين الحاقدين ألصقوا بالرسول تهمة القسوة والجبن .. فكان أن انبرى من صفوف رجالاتهم من عرفوا حقيقة الخلق المحمدي ، وطبيعة الرسالة الإسلامية السمحة ليدافعوا عن الرسول ، وينافحوا عن الرسالة ، مظهرين بطلان ما نفثته أقلام الحاقدين ، ومن بين أولئك المنصفين الذين قدروا الرسول حق قدره المؤرخ المستشرق الفرنسي سيديو الذي أعطى الحضارة الإسلامية حقها، يقول :

((من التجني على حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب إلى محمد القسوة والجبن. فقد نسي هؤلاء أن محمداً لم يأل جهداً في إلغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة التي كانت ذات حظوة لدى العرب ، كحظوة المبارزات بأوروبة فيها مضى . وكأن أولئك الكتاب لم يقرأوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة . وكأنهم لم يفكروا في العفو الكريم الذي أنعم به على ألا أعدائه بعد فتح مكة ، ولا في الرحمة التي حبا بها ، كثيراً من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة ، ولا إلى ما أبداه من أسف على بعض الأمم الشديدة ، وكأنهم لم يبصروا أن الأمة أم القبائل العربية كانت تعد الانتقام أمراً واجباً وأنها ترى من حق كل مخلص أن يقتل من غير عقاب من يكون خطراً عليها ذات يوم . . . وكأنهم لم يعلموا أن محمداً لم يسئ ، استعمال ما اتفق له من السلطان العظيم ، قضاء لشهوة القسوة الدنيئة ، وأنه لم يأل جهداً ـفي الغالب ـ في تقويم من يجور من أصحابه ، والكل يعلم أنه رفض ـبعد غزوة بدرـ رأي عمر بن الخطاب في قتل الأسرى ، وأنه عندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم في مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ ، وأنه صفح عن قاتل عمه حمزة ، وأنه لم يرفض قط ما طلب إليه من اللطف والسماح[١])).

وفي الختام نرى أن ما ذهب إليه المستشرق الإنكليزي السير وليم موير في كتابه : « حياة محمد » هو خير ما يمكن أن نختم به النظرة الإستشراقية المنصفة لأخلاق الرسول وشمائله ، إذ يقول :

((وباختصار فإنه مهما ندرس حياة النبي محمد ﷺ نجدها على الدوام عبارة عن كتلة فضائل

---

(١) توماس كارليل : ص ٨٥

(١) سيديو : (نقلا عن كتاب الإسلام بين الإنصاف و الجحود ، ص ١٣٤

مجسمة مع نقاء سريرته وخلق عظيم، وستبقى تلك الفضائل عديمة النظير على الإطـــلاق في جميع الأزمان : في الماضي وفي الحاضر والمستقبل(١)).

(١) وليم موير : حياة محمد